



قَلَائِدُ الْأُمَسِ

"أبيات وخواطر"

بندربن فهد الايداء





مُقَدِّمَةٌ

لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْقَلَانِدُ إِلَّا بَقَايَا مِنْ نَفْسِي، جَمَعَهَا الدِّيَوَانُ، وَفَرَّقَتْهَا الْمَشَاعِرُ،
وَالْأَوْقَاتُ لَكِنَّهَا تُعَبِّرُ عَنْ شَيْءٍ كَانَ يَعْتَمِلُ فِي صَدْرِي يَوْمًا، سَتَقْرَأُ عَنِ الْحُبِّ،
وَالْغَضَبِ، وَالْمَوْعِظَةِ، وَالرِّثَاءِ، وَالثَّنَاءِ، وَالْهَجَاءِ، مَحْطَّاتٌ حَزِنْتُ عِنْدَهَا وَفَرِحْتُ،
عَظِبْتُ فِيهَا وَرَضِيتُ، أَحْبَبْتُ فِيهَا وَكَرِهْتُ، قَلَانِدُ الْأَمْسِ أَنْشُرَهَا الْيَوْمَ، وَمَا لَمْ
أَنْشُرْهُ كَثِيرٌ، وَمَا ضَاعَ أَكْثَرُ، إِنَّهَا أَكْبَرُ مِنْ مَسْأَلَةِ بَوَّاحٍ أَوْ شِعْرِ، إِنَّهَا دُرُوسٌ وَصَفَحَاتٌ
لَا زِلْتُ أَقْرَأُهَا وَأَتَعَلَّمُ مِنْهَا .

فَعَالَجْتُ الزَّمَانَ أُرِيدُ أَمْسِي
وَزَادَ الشَّوْقُ صَوْتًا بَعْدَ هَمْسِي
سَاخِذُ إِنِّ لَقَيْتُكَ كُلَّ أُنْسِي
بِهَا ضَعْفِي يُقَاسِمُ بَعْضَ بَأْسِي
كَوْشِي الثَّوْبِ يَبْلَى بَعْدَ لَبْسِ
لِيُطْفَأَ بِالْمَاسِي ضَوْءُ شَمْسِي
بِهَا سَيْفٌ بِلا غَمْدٍ وَتُرْسِ
مَعَ الْآيَامِ دَرْسًا بَعْدَ دَرْسِ
أُصَبِّحُ فِي تَذَكُّرِهَا وَأُمْسِي

رَحَلْتُمْ فَارْتَحَلْتُ بِكُلِّ تَعْسِ
وَتَاهَتْ خُطَوَاتِي وَبِهَا التِّيَاعُ
لِأَنِّي إِنِّ تَرَكْتُ لَكَ فُؤَادِي
قَلَانِدُ أَمْسِنَا كَانَتْ بَقَايَا
بِهَا الْآيَامُ مَرَّتْ فِي خَيَالِ
بِهَا لَيْلٌ سَيَحْطِمُ مِنْ قَنَاتِي
بِهَا فَرَحٌ وَإِحْسَانٌ وَشُكُوى
قَلَانِدُ لَمْ تَزَلْ فِي الْقَلْبِ تُعْطِي
طَوَيْتُ بِهَا مَرَا حِلَّ مِنْ حَيَاتِي

أبو عبد الإله / بندر بن فهد الأيداء

١٦ ربيع الثاني لعام ١٤٤٢هـ

1 Dec 2020 Glasgow_UK

Snap & Twitter: @BandrALayda

Email: B.F.Alayda@outlook.com

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾^(١)

إِنْ أَمْضَتْكَ شَفَرَاتُ الْبَلَاءِ فَدَاوِ نَفْسَكَ بِالضَّرَاعَةِ، فَفِي الْآيَةِ بَشَارَةٌ بِرَفْعِ الْأَغْلَالِ، وَوَضْعِ الْأَصَارِ، حِينَ تُغْلِنُ اللَّجَأَ الصَّادِقَ فِي مُحَرَابِ الْعُبُودِيَّةِ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَشَعَّبَتْ بِكَ مَسَارِبُهَا، فَصَارَ دُعَاؤُكَ بِلَا وَقُودٍ يُذَكِّيهِ، أَوْ حَرَارَةٍ تَرْفَعُهُ؛ لِيَصْعَدَ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، عِنْدَهَا يُكْرِمُكَ اللَّهُ بِلَفْحَاتِ الْبَلَاءِ؛ لِتَتَعَرَّضَ لِنَفْحَاتِ رَحْمَتِهِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، فَكَيْفَ لَوْ كُنْتَ مَعَ اللَّهِ بِتِلْكَ الْحَرَارَةِ دَائِمًا؟!

أَيُّقَى مِنْ أَلَمِكَ شَيْءٌ؟!

وَاللَّهُ مَا كَانَ الْبَلَاءُ قِيدًا إِلَّا لِيُحَرِّرَكَ، وَلَا نَارًا إِلَّا لِيُحْرِقَ خَطَايَاكَ، وَلَا مُقْلِقًا إِلَّا لِتُحَاسِبَ نَفْسَكَ، فَافْهَمْ هَذِهِ الْأَسْرَارَ، وَاحْذَرْ مِمَّنْ زَارَهُ الْبَلَاءُ فَأَعْرَضَ عَنْ هَذِهِ الْمَعَانِي، وَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ عَلَى رَبِّهِ، وَكَانَ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- مِمَّنْ ﴿قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).



(١) [سورة الأنعام: آية ٤٣].

(٢) [سورة الأنعام: آية ٤٣].

مَعَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ

وَشَحَّ غَمُضِي عَلَى جَفْنِي مِنْ أَلْمِي
وَأُطْفِئَ النُّورَ لَمَّا أَنْ عَشَى قَلَمِي
"بَيْنَ حُبِّكَ جِرَانًا بِذِي سَلَمِي"
وَلَفَّعَتْ بِمِرْوَطِي صَمْتَهَا كَلَمِي
مَا خَافَتِ اللَّهَ فِي حِلٍّ وَلَا حَرَمٍ
عَنِ الْمَسِيرِ إِلَى أَفْرَاحِهَا قَدَمِي؟!
وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي مُعْدَمٌ وَظَمِي
وَدُونَ زَادَكَ مَاتَ السَّعْدُ مِنْ سَقَمِي
وَمَا الْعَزَاءُ عَلَى الْبَلَوَى بِمُتَّهَمٍ
فَكَيْفَ يُبْصِرُ شَمْسًا مَنْ تَرَاهُ عَمِي؟
مَنْ الرَّجَاءِ رَجَاءٌ غَيْرُ مُنْصَرِمٍ
وَعَايِنَ الْحَتْفَ قَلْبٌ بِالْبَلَاءِ صُمِي
إِذَا تَلَبَّدَتِ الْأَيَّامُ بِالْحِمَمِ
يَا مَنْ لَهُ الْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ وَالنَّعَمِ
فَمَنْ يُحِبُّ بَيْئًا فِي اللَّظَى الْحَطَمِ
أَجِبْ حَزِينًا عَنِ السَّلَوَاءِ مُنْظَمِ
فَإِنْ خَذَلْتَ فَوَاهَاثِمَ وَانْدَمِي
نَادَتِكَ مِنْ طَرْفِهَا ثُمَّ انْتَهَتْ بِفَمِي
مَنْ التَّقَلُّبِ بِالْأَهْوَالِ لَمْ يَنْمِ
حَتَّى أُبَشِّرَ ... هَذَا الصُّبْحُ فَابْتَسِمِ

قَدْ ارْتَوَى الِهْمُ مِنْ أَسْيَافِهِ بِدَمِي
وَكَفَّنَ الْحُزْنَ أَحْلَامِي وَشَيَّعَهَا
قَدْ انْتَهَى الْوَجْدُ مِنْ سَلَمِي وَقَصَّيْتُهَا
يَا دَوْحَةَ الصُّبْحِ سُدِّي فَالْدُّجَى عَبَثَتْ
وَأَوْضَعَتْ بِفُؤَادِي كُلَّ صَارِمَةٍ
أَعْجِمَتْ لُغَةَ الْأَمَالِ وَانْقَطَعَتْ
هَذِي الْمَفَازَةُ رَبِّي كَيْفَ أَقْطَعُهَا؟!
بَغِيرِ هَذِيكَ ضَلَّ الرِّكْبُ مَنْزِلَهُمْ
كَمْ قَدْ كَتَبْتُ مِنَ الْإِشْفَاقِ تَعْزِيَةً
سَأَلْتُ شُؤُونِي حَتَّى جَفَّ مَنَبُعُهَا
يَا مَالِكَ الْمُلْكِ إِنِّي قَدْ آتَيْتُ وَلِي
يَا كَاشِفَ الْكَرْبِ مَالَتْ كُلُّ أَشْرِعَتِي
يَا فَارِجَ الْغَمِّ مَنْ إِلَّاكَ نَقِصْدُهُ
يَا وَاسِعَ الْفَضْلِ جُدْ لِي مِنْكَ عَافِيَةً
(أَمَّنْ يُجِيبُ) سَرْتُ مِنْ قَلْبِ مُنْكَسِرٍ
(إِنِّي قَرِيبٌ) بِهَا نَادَيْتُ يَا أَمَلِي
مَنْ دُونَ لُطْفِكَ إِنِّي هَالِكٌ أَبَدًا
صَدْرِي يَبْنُ بِأَضْلَاعِ مُحْطَمَةٍ
ارْحَمْ فَقِيرًا ثَوَى فِي لُجٍّ مُهْلِكَةٍ
فَقَدْ عَقَدْتُ بِحُسْنِ الظَّنِّ قَافِيَتِي

عُبُودِيَّةُ الْبَلَاءِ

هَلْ مَسَّكَ الضَّرُّ حَتَّى آذَنْتَ بِهَلَاكِ؟
أَضَاقَ صَدْرُكَ حَتَّى لَكَأَنَّهُ يَتَنَفَّسُ مِنْ خُرْمِ إِبْرَةٍ؟
هَلْ زَارَكَ "الْبَلَاءُ"؟!

فَإِنْ كَانَ فَمَا عَسَاكَ أَكْرَمَتُهُ مِنْ عُبُودِيَّاتٍ؟

إِنَّ لِهَذَا الضَّيْفِ حَقًّا مِنْ عُبُودِيَّاتِ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ؛ لِيَرْضَى عَنْكَ مَنْ أَرْسَلَهُ
إِلَيْكَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فَإِنَّ هَذَا الضَّيْفَ لَا يَقْتَاتُ طَعَامًا سِوَى الْأَرْوَاحِ، فَمَنْ
سَخِطَ أَرْدَاهُ قَتِيلًا، وَمَنْ رَضِيَ نَفَخَ فِيهِ رُوحَ الْإِيمَانِ، فَهُوَ دَاءٌ وَدَوَاءٌ، وَنِعْمَةٌ وَبَلَاءٌ
... أَلَيْسَ هَذَا عَجِيبًا؟!

وَالْمَنْزِلَةُ بِقَدْرِ النُّزْلِ، فَإِنْ ثَقُلَ وَطَالَ فَهَذِهِ مِنْحَةٌ لِمَنْ اسْتَيْقَظَ قَلْبُهُ لِيَخْرُجَ
ذَهَبًا خَالِصًا، وَأَمَّا الْغَافِلُ فَقَدْ عَظُمَتْ مِحْنَتُهُ، فَخَرَجَ رَمَادًا اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي
يَوْمٍ عَاصِفٍ، وَمِنْ كُنُوزِ هَذَا الضَّيْفِ أَنَّهُ يَهْدُبُ شَمَائِلَكَ، وَيَعْرِفُكَ عَجْزَكَ، ثُمَّ إِنَّهُ
لَا يَمْضِي بِالصُّرَاخِ وَالْعَوِيلِ، بَلْ بِعُبُودِيَّاتِ الْبَلَاءِ، فَإِنْ رَحَلَ انْكَشَفَ عَنْكَ الْغِطَاءُ،
وَعَلِمْتَ تَفْرِيطَكَ بِحَدِيثٍ: "تَعَرَّفَ عَلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ" (١).



يَا أَجْمَلَ الْأَسْمَاءِ

اللَّهُ يَا أَجْمَلَ الْأَسْمَاءِ فِي خَلْدِي
يَا كَاشِفَ الضَّرِّ مِمَّنْ مَسَّهُ سَقَمٌ
أَنْتَ الْمَلَاذُ إِذَا مَا أَلْهُمَّ حَاصِرَنِي
رُوحِي لَدَيْكَ تُنَادِي وَالْحَتُوفُ لَطَى
إِذَا تَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابُ أَنْتَ لَهَا
إِنِّي بِغَيْرِكَ أَشْقَى مِنْكَ عَافِيَتِي
أَنْتَ الْمُرَجَّى إِذَا احْتَزَّ الْهَوَى جَلْدِي
أَشْكُو إِلَيْكَ، يَا رَبَّاهُ خُذْ بِيَدِي
فَأَمْنُنْ بِلُطْفِكَ فَالْإِحْسَانُ مِنْكَ نَدِي
كَأَنَّمَا أَحْرَقْتُ مِنْ حُزْنِهَا جَسَدِي
لَأَنَّكَ اللَّهُ رَبِّي خَالِقِي سَنَدِي
وَأَنْتَ قَصْدِي فَأَسْعِدْنِي إِلَى الْأَبَدِ



وَأَثَارُهُ

تَأَمَّلْ انْهَمَاكَ النَّاسُ فِي عَيْشِهَا وَلَهْثَهَا عَلَى الْمَالِ؛ كَمْ كَدَحَتْ وَجَمَعَتْ؟!،
حَتَّى ذَوَى عُودِهَا، وَتَصَرَّمَتْ أَيَّامُهَا؛ فَاسْتُصِلَتْ مِنَ الْعُمُرِ شَافَتُهُ، فَغَرَبَتْ
شَمْسُهُ، وَطُوِيَتْ صَحِيفَتُهُ، أَوْ كَادَتْ، وَآتَى بَرِيدُ الْآخِرَةِ بِسَاعِي الرَّحِيلِ؛ فَندَمَ
وَقَتَ الْحَصَادِ مَنْ بَذَرَ التَّالِفَ، وَجَمَعَ الْكَاسِدَ، وَوَجَدَ أَلَمَ الْحَسْرَةِ، مَنْ أَضَاعَ
حَيَاتَهُ فِي تَشْيِيدِ الْفَانِي وَتَرْيِينِهِ!

فَيَا مَنْ تَعِيشُ فِي زَمَنِ الْإِمْكَانِ: وَاللَّهُ مَا ثَقُلَتْ الْمَوَازِينُ هُنَاكَ إِلَّا لِمَنْ تَخَفَّفَ
مِنَ التَّبِعَةِ هُنَا، فَمَنْ عَاشَ مَعَ اللَّهِ -جَلَّ جَلَالُهُ- فَقَدْ كَمَلَ عِزُّهُ وَنَعِيمُهُ، وَكُفِيَ هَمُّهُ
وَفَاقَتُهُ، وَبَقِيَ أَثَرُهُ حِينَ عَفَتِ الْأَثَارُ، وَيَوْمَ التَّغَابُنِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى ﴿إِنَّا نَحْنُ
نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (١٢) (١).

رِسَالَةٌ إِلَى فَرَنْسَا

يَا دَوْلَةَ الرَّجْسِ يَا أَكْذُوبَةَ الْأَدَبِ
يَا مَنْ نَسَجْتُمْ خُرَافَاتٍ فَصَدَّقَكُمْ
أَتَمَكُرُونَ؟! فَمَكُرُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ
حُرِّيَةِ الْفِكْرِ فِي سَبِّ النَّبِيِّ وَفِي صَلَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
تَاللَّهِ بَالَتْ فَرَنْسَا فِي مَبَادِئِهَا
تَاللَّهِ قَدْ أَكَلَتْ أَصْنَامَهَا وَبَدَى
تَهْذِي فَرَنْسَا وَمَا تَدْرِي بِمَا صَنَعَتْ
كَأَنَّهَا نَسِيَتْ مَا أَجْرَمَتْ وَفَرَّتْ
دَيْنٌ قَدِيمٌ وَلَمَّا نَقَضْهُ فَإِذَا
يَا دَمَّرَ اللَّهُ مِنْ "بَارِيسَ" رَأَيْتَهَا
وَأَرْغَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ كُلَّ نَابِحَةٍ
هَلْ تَشْتُمُونَ الَّذِي أَهْدَاكُمْ وَلَنَا
وَكَانَ شَمْسًا لِأَهْلِ الْأَرْضِ قَاطِبَةً
وَلَنْ تَغِيبَ لِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ
"إِنَّا كَفَيْنَاكَ" إِنَّ اللَّهَ قَالَ لَهُ
قَدْ كَانَ مَبْعُوثُهُ نُورًا وَمَرْحَمَةً
الصَّادِقُ الثَّابِتُ الْمَأْمُونُ قُدُّوتُنَا
"مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ" سَيِّدُنَا
قَدْ طَابَتِ النَّاسُ وَالْدُنْيَا بِطَلْعَتِهِ
إِنْ قُلْتُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ فِي شَفَتِي

يَا سَوْءَةَ الْأَرْضِ يَا حَمَالَةَ الْحَطَبِ
التَّائِهُونَ أُولُو الْأَوْهَامِ وَالْجَرَبِ
أَخْلَافِ "مَكُرُونَ" أَوْ أَذْنَابِهِ الْعَرَبِ
شَتَمِ الشُّذُودِ فَأَمْرُ الْقَوْمِ فِي عَجَبِ
وَصَارَ مِيزَانُهَا بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ
وَجَهْ الصَّلِيبَةِ الْمَوْشُومِ بِالصُّلْبِ
كَأَنَّ تَارِيخَهَا الْمَلْعُونِ لَمْ يَشِبْ
عِنْدَ "الْجَزَائِرِ" أَوْ فِي "مِصْرَ" أَوْ "حَلَبِ"
دَيْنٌ جَدِيدٌ يُعْطِي سَالِفَ الْحَقِّ
وَعَامَلَ اللَّهَ "إِبْدُؤُ" الْكُفْرِ بِالْغَضَبِ
بِالذُّلِّ وَالْخَوْفِ وَالْأَمْرَاضِ وَالنُّكْبِ
وَلِللَّوَرَى ذَهَبًا مِنْ خَالِصِ الذَّهَبِ
مُذْ أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ وَاللَّهُ لَمْ تَغِبْ
وَقَاصِمٌ كُلِّ هَمَّازٍ وَمَنْ يَعِبِ
وَحَقُّهُ الْحِفْظُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْهَدَبِ
جَلَّى بِهِ اللَّهُ لَيْلَ الظُّلَمِ وَالرَّيْبِ
هُوَ الْخِيَارُ عَظِيمُ الْقَدْرِ وَالنَّسَبِ
وَسَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْحَشْرِ وَالْكَرْبِ
وَاللَّهُ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ تَطْبِ
أَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ الْمَمْزُوجِ بِالرُّطْبِ

"فِدَاؤُهُ كُلُّ أُمِّ بَيْنَنَا وَأَبٍ"
 وَشَدَّ عُرْوَتَهَا بِالْحُبِّ وَالْغَضَبِ
 لَمْ يَنْقَطِعْ أَبَدًا فِي حُبِّكُمْ أَرْبِي
 تِلْكَ الْمَحَبَّةُ فِي قَوْلٍ وَفِي أَدَبٍ
 وَكُنْتَ غَيْثًا أَتَى فِي بَلْقَعِ يَبٍ
 فِي حَمَاءِ الْوَهْنِ بَيْنَ الْكَأْسِ وَالطَّرِبِ
 كَانَتْ عَلَى هَامِشِ التَّارِيخِ وَالْكِتَابِ
 أَوْ شَاتَهُمْ سُرِقَتْ بِالرَّمَحِ وَالْقُضْبِ
 بِالْعِلْمِ وَالْجِدِّ لَا بِالْجَهْلِ وَاللَّعِبِ
 وَقَبْلَ جَيْشِكَ جَيْشُ الرُّعْبِ فِي لَجَبٍ
 كَذَابِرِ الْأَمْسِ إِنْ نَادَوْهُ لَمْ يُجِبِ
 خَيْلُ الصَّحَابَةِ يَوْمَ الْفَتْحِ وَالْحُرْبِ
 وَصَارَ صَوْتُكَ مَسْمُوعًا بِلا حُجُبِ
 يَا سَيِّدِي سَبَبٌ يَا طَيِّبَ السَّبَبِ
 مَا أَمْطَرْتُ فِي الدُّنَا رَيَّانَةَ السُّحُبِ

تَفْدِيهِ نَفْسِي وَتَفْدِيهِ مَحَاجِرُنَا
 أَرْسَى مِنَ الْوَحْيِ أَرْكَانًا مُؤَصِّلَةً
 يَا أَكْرَمَ النَّاسِ فِي نَفْسٍ وَفِي نَفْسٍ
 قَدْ جَاءَ رَبُّكَ بِالْآيَاتِ فَاتَّضَحَّتْ
 بَيِّنَاتٌ مُجْمَلٌ قَوْلِ اللَّهِ فِي سُنَنِ
 أَوْى بِكَ اللَّهُ أَقْوَامًا قَدْ ائْتَدَتْ
 جَمَعْتَ بِالْوَحْيِ أَوْزَاعًا مُشْتَتَةً
 يُقَاتِلُونَ إِذَا مَا نَاقَةُ عُقِرَتْ
 حَتَّى أَتَيْتَ فَشَادَ اللَّهُ مَجْدَهُمْ
 تَرَكْتَ دَارَةَ مَنْ عَادَاكَ قَدْ خَرِبَتْ
 إِذَا نَزَلْتَ فَلَيْلُ الظُّلَمِ مُنْقَشِعٌ
 سَلُّوا الْأَبَاطِرَةَ الْمَاضِينَ مَا فَعَلْتَ
 دَاسَتْ سَنَابِكُهُمْ لَمْ تُبْقِ بَاقِيَةً
 مَا كُلُّ فَضْلٍ يُرَى إِلَّا وَأَنْتَ لَهُ
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهِي كُلَّ غَادِيَةٍ

اسكتلندا - المملكة المتحدة

١٩ ربيع الأول ١٤٤٢ هـ / ٥ نوفمبر ٢٠٢٠ م



سِرُّ تَمَيُّزِ الصَّاحِبَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْرٍ كَانَ لَنَا نَافِعًا وَطَوَاعِيَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْفَعُ لَنَا؛ نَهَانَا أَنْ نُحَاقِلَ بِالْأَرْضِ فَنُكْرِيهَا عَلَى الثُّلُثِ، وَالرُّبْعِ، وَالطَّعَامِ الْمُسَمَّى، وَأَمَرَ رَبَّ الْأَرْضِ أَنْ يَزْرِعَهَا، أَوْ يُزْرِعَهَا، وَكَرِهَ كِرَاءَهَا، وَمَا سِوَى ذَلِكَ»^(١).

وَفِي رَوَايَةٍ: «نَهَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْرٍ كَانَ بِنَا رَافِقًا»^(٢).

قُلْتُ: جَاءَ النَّهْيُ عَنْ تَأْجِيرِ الْأَرْضِ الزَّرَاعِيَّةِ مِنْ جَنْسٍ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، لَاحِتِمَالِ وَقُوعِ الْغَرَرِ وَفَسَادِ الثَّمَرِ قَبْلَ صِلَاحِهِ، بِدَلِيلِ قَوْلِ رَافِعٍ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كِرَاءِ الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا نَهَى عَنْهَا بَعْضُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، أَمَّا بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَلَا بَأْسَ»^(٣).

وَالْمَسْأَلَةُ فِيهَا تَفْصِيلُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، لَكِنْ مَحَلُّ الشَّاهِدِ الَّذِي أُرِيدَ هُنَا هُوَ قَوْلُ الصَّحَابِيِّ «وَطَوَاعِيَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْفَعُ لَنَا» يَا اللَّهُ! كَمْ هِيَ مُؤَثَّرَةٌ هَذِهِ الْعِبَارَةُ؛ كَانُوا يُكْرَهُونَ الْأَرْضَ وَيَتَنَفَّعُونَ بِهَذَا وَحِينَ نَهَاَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْتَثَلُوا فَوْرًا رُغْمَ حَاجَتِهِمْ وَقَالُوا طَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ الْأَنْفَعُ لَنَا! أَيُّ قُلُوبٍ نَقِيَّةٍ يَحْمِلُونَهَا! بَلْ حَتَّى ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا بَلَغَهُ النَّهْيُ مِنْ رَافِعٍ قَالَ «مَنْعَنَا رَافِعٌ نَفْعَ أَرْضِنَا»^(٤).

(١) رواه البخاري ٢٣٢٧ ومسلم.

(٢) رواه مسلم ١٥٤٨.

(٣) رواه مسلم ١٥٤٧.

(٤) رواه مسلم ١٥٣٦.

كَمْ مَرَّةً نَحْتَاجُ أَنْ نُكْرِرَ عِبَارَةَ رَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَيَاتِنَا، وَتَجَارَاتِنَا، وَوُظَائِفِنَا وَتَعَامُلَاتِنَا وَمَا نَهْوَى وَنَقُولُ حِينَ يَبْلُغُنَا النَّهْيُ : «لَقَدْ كُنَّا فِي أَمْرٍ فِيهِ مَنَفَعَةٌ لَنَا وَلَكِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَانْفَعُ لَنَا».

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ سَادَاتِنَا الصَّحَابَةِ وَنَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ قُلُوبَنَا وَأَعْمَالِنَا وَأَنْ يَرْزُقَنَا الْفِقْهَ فِي الدِّينِ .

ويلز - المملكة المتحدة

الأول من شعبان ١٤٣٩هـ / ١٧ أبريل ٢٠١٨م



أُمِّي الَّتِي سَبَقَتْ

أُمِّي الَّتِي سَبَقَتْ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ وَبِلِ السَّحَابِ بِكُلِّ جُودٍ يَهْطُلُ
مَهْمَا رَأَيْتُ مِنَ الْجَمَالِ بَدِيعُهُ إِلَّا رَأَيْتُ بِأَنَّ أُمِّيَ أَجْمَلُ



غُرْبَةٌ

كوالالبور ٢٠١٣/١/١ م

رُبَّمَا أَنَسَ الْغَرِيبُ بِدَارِ غُرْبَتِهِ ... لَكِنَّ أَهْلَ الْغُرْبَةِ الْحَقَّةِ هُمْ أَهْلُ الدِّيَانَةِ؛
فَطُوبَى لَهُمْ!!

وَهَذَا الْعُمْرُ بِالْأَوْهَامِ سَارَا
فَجَازَتْنَا النَّدَامَةُ وَالْخَسَارَا
وَتُضَرِّمُ فِي حَنَائِيَا الصَّدْرِ نَارَا
وَمَنْ طَلَبَ الْحَقِيقَةَ مَا تَمَارَى!
سَيُثْقَلُ مَنْ سَيَحْمِلُهُ اضْطِبَارَا
وَكَمْ أَلْقَى الْجِدَالَ بِنَا الْعِثَارَا
قَرَأْنَا التَّيَّةَ فِي صُحُفِ الْحَيَارَى
وَيَنْطِقُ فِي شَرِيعَتِهِ السُّكَارَى
أَضَلَّ اللَّهُ سَعْيَهُمْ وَبَارَا
وَقَدْ كَانُوا عَلَى النَّاسِ اخْتِبَارَا
وَدَغَ عَنْكَ الْمَوَائِدَ وَالْمَزَارَا
فَإِنَّ الدَّمْعَ فِي عَيْنِي حَارَا
غَرِيبٌ يَبْتَنِي الْأَسْفَارَ دَارَا
وَفِي أَيَّامِهِ يَرْجُو اغْتِبَارَا
رِثَاءً أَوْ بُكَاءً وَاحْتِضَارَا
وَقَطَّعْنَا بِمَرْكِبِهَا الْبَحَارَا

سُقِينَا الْحُبَّ مِنْ سَلَمَى وَسَارَا
وَنَادَمْنَا الْحَيَاةَ بِكَأْسِ عِشْقِي
بَكَيْنَا وَالْدُّمُوعُ لَهَا أَنْيُنُّ
وَجَادَلْنَا مِرَاءً لَيْتَ شِعْرِي!
فَيَا صَبْرًا تَعَالَ فَإِنَّ مَا بِي
فَكَمْ أَلْقَى الْهَوَى مِنْهَا كِبَارَا
وَكَمْ ضَاعَتْ بِنَا الْأَوْقَاتُ حَتَّى
يُسَبُّ بِدَارَةِ التَّوْحِيدِ رَبِّي
رَكُوبَةُ مُلْجِدٍ وَبُغَاثُ فِكْرٍ
بَقَاؤُهُمْ عَلَى الدُّنْيَا وَبَالٌ
فَخَلَّ تَذَكُّرَ الْأَوْغَادِ وَارْحَلُ
وَشَدَّ الرَّحْلَ لَا أَلْقَاكَ نِضْوَا
فَلِي قَلْبٌ شَكَى هَجْرًا وَبُعْدَا
لَهُ مِنْ أَمْسِهِ ذِكْرَى وَسَلْوَى
كَأَنِّي مَا عَرَفْتُ الشُّعْرَ إِلَّا
وَكَمْ دُقْنَا مِنَ الْأَحْزَانِ صِرْفَا

شَرِبْنَا هَمَّ أُمْتِنَا صِغَارًا
 مَاسٍ شَيَّبَتْ رَأْسِي وَلَكِنْ!
 سَلُّو سُورِيَّةَ الْأَحْرَارِ مَاذَا؟!
 وَعَنْ دَارٍ بِهَا الْإِسْلَامُ يَبْكِي
 وَعَنْ أَحْوَاظِنَا مَا أَنْصَفُوهُ؟!
 وَأَيْنَ الْعَالَمُ الْوَقَافُ فِينَا
 أَكَانَتْ غُرْبَتِي وَطَنِي وَبُعْدِي
 سَلَامًا .. يَا بِلَادَ الْوَحْيِ مِنِّي
 وَلَا وَاللَّهِ لَا أَنْسَى رُبَاكُمْ
 يَكَادُ الْحُبُّ يَقْتُلُنِي إِلَيْكُمْ
 وَكَمْ غَادَرْتُ مِنْ نَفْسِي حَيْنًا
 فَإِنَّ اللَّيْلَ سَجَّى كُلَّ أَرْضٍ
 أَرَانِي أَنْسَجُ الْأَحْزَانَ شِعْرًا
 وَأَقْطِفُ غُرْبَتِي شَوْكًا وَوَرْدًا
 سَأَلْتُ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا نَعِيمًا
 وَأَنْ أَبْقَى غَرِيبًا فِي ثَبَاتٍ

وَقَاسَيْنَا مَآسِيَهَا كِبَارًا
 لَهَا بِأَسِي مِنَ الْأَعْمَاقِ ثَارًا
 تُجِبْكُمْ عَنْ مَصَائِبِهَا الْعَذَارَى
 عَنَّا فِيهَا الْمَجُوسُ مَعَ النَّصَارَى
 وَجَيْشُ الْفُرْسِ يَقْتُلُهُ جَهَارًا
 لِمَاذَا عَنْ قَضَايَاهُمْ تَوَارَى؟!
 عَنِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ أَنْتَصَارًا؟!
 فَإِنِّي مَا تَرَكْتُكُمْ اخْتِيَارًا
 وَإِنْ جُرْتُ الْمَرَّاحِلَ وَالْقِفَارَا
 وَقَلْبِي مِنْ لَطَى الْأَشْوَاقِ طَارَا
 لَغَيْرِ وَصَالِ مَكَّةَ مَا اسْتَدَارَا
 سِوَى أَرْضٍ بِهَا الْمُخْتَارُ سَارَ
 فَتَزَوَّرُ ابْتِسَامَتِي أَزُورَارَا
 وَهَمًّا لَا يُطِيقُ لَهَا قَرَارَا
 وَعِنْدَ اللَّهِ فِي الْجَنَّاتِ دَارَا
 لَعَلِّي أَنْ أَفُوزَ بِهَا نَهَارَا



المَحْرَقَةُ

يُحْكِي أَنَّ أَحَدَهُمْ جَمَعَ كَثِيرًا مِنَ الْمَالِ؛ لِيُنِيَّ بَيْتًا يَكُنُّهُ مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ،
فَاخْتَارَ الْمَوْقِعَ، وَبَدَأَ الْبِنَاءَ، وَلَمْ يَكْتَفِ بِهَذَا، بَلْ جَعَلَهُ مُمَيَّزًا فِي تَصْمِيمِهِ وَتَشْطِيبِهِ
وَتَأْثِيثِهِ، وَاجْتَهَدَ أَنْ يَكُونَ مُرِيحًا لَهُ إِذَا هَبَّتْ عَلَيْهِ الْعَوَاصِفُ الرَّعْدِيَّةُ أَوِ الرَّمْلِيَّةُ،
وَحِينَ انْتَهَى مِنْهُ، جَاءَ وَبِمَحْضِ إِرَادَتِهِ فَأَحْرَقَهُ كُلَّهُ؟!

وَمِثْلُهُ امْرَأَةٌ كَانَتْ تَعْلَمُ بِقُدُومِ سِنِي جَدِّبٍ، سَتَأْكُلُ أَبْدَانَهُمْ قَبْلَ أَقْوَاتِهِمْ،
فَاجْتَهَدَتْ بِزِرَاعَةِ الثَّمَارِ، فَاخْتَارَتْ التُّرْبَةَ الْخَصْبَةَ، وَبَذَرَتْ الْحَبَّ وَسَقَتَهُ، وَتَعَاهَدَتْهُ
بِكُلِّ عَنَايَةٍ وَحِرْصٍ، وَحِينَ جَاءَتْ سَاعَةُ الْحَصَادِ ذَهَبَتْ إِلَى حَقْلِهَا فَأَحْرَقَتْهُ كُلَّهُ؟؟
هَلْ هُوَ لَا مَجَانِينَ أَمْ مَاذَا؟

هَلْ يَعْقِلُونَ؟!

أَلَا أَخْبَرُكُمْ بِمَنْ هُوَ أَذْهَى وَأَجَنُّ مِنْهُمَا؟

إِنَّهُ الْمُرَائِي وَالْمُرَائِيَّةُ، وَلَا عَجَبَ؛ فَالرِّيَاءُ وَحُبُّ السُّمْعَةِ يَحْرِقُ كُلَّ عَمَلٍ
صَالِحٍ يَقُومُ بِهِ الْمُسْلِمُ.

الرِّيَاءُ هُوَ الْمَحْرَقَةُ، وَيَالَهَا مِنْ مَحْرَقَةٍ!! تَلْتَهُمْ أَصْحَابُهَا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ
تَحْرِقَهُمْ فِي الْآخِرَةِ!!

مَحْرَقَةُ تَمْحُقُ الْبَرَكَاتِ وَالْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ وَالْأَثَرَ الطَّيِّبَ وَحُسْنَ الْعَاقِبَةِ!
لِمَاذَا نُحْرِقُ أَعْمَالَنَا بِأَيْدِينَا؟

وَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ تَسْحَقَ أَعْمَالُكَ بِسَبَبِ لَحْظَةٍ رِيَاءٍ لَا تَنْفَعُكَ شَيْئًا، وَإِنْ نَفَعَتْ
لَا يَدُومُ نَفْعُهَا؟

أَيْنَ النَّظَرُ فِي الْعَوَاقِبِ يَا خَائِفًا مِنَ الْعُقُوبَةِ؟!
 لِمَذَا اسْتَبَدَلْتَ التُّبْرَ بِالتُّرَابِ وَالْحَقِيقَةَ بِالسَّرَابِ؟!
 لِمَذَا ارْتَضَيْتَ لُبْسَ الْأَسْمَالِ، وَتَرَكْتَ الْإِسْتَبْرَقَ وَالْحَرِيرَ وَالتَّيْجَانَ؟!
 كَيْفَ رَضِيتَ بِهَذَا طَائِعًا مُخْتَارًا؟!
 ثَوْبُ الرِّيَاءِ يَشْفُ عَمَّا تَحْتَهُ فَإِذَا التَّحَفَتَ بِهِ فَإِنَّكَ عَارٍ
 إِنْ أَخُوفَ مَا خَافَهُ عَلَيْنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ "الرِّيَاءُ" وَهُوَ الشَّرْكُ الْخَفِيُّ،
 وَهَلْ يَخَافُ عَلَيْنَا نَبِيُّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ أَمْرِ هَيْنٍ؟!
 قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ أَخُوفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمُ الشَّرْكُ الْأَصْغَرُ». قَالُوا: وَمَا الشَّرْكُ
 الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جَزَى النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ:
 اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنتُمْ تَرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟»^(١).
 هَلْ سَمِعْتُمْ قِصَّةَ قَارِي الْقُرْآنِ وَالْمُتَصَدِّقِ وَالْمُجَاهِدِ؟! أَوَّلَ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ
 النَّارُ^(٢)؛ لِأَنَّهُمْ أَدْخَلُوا أَنْفُسَهُمْ هَذِهِ الْمَحْرَقَةَ فِي الدُّنْيَا، وَلَمْ يَخْرُجُوا مِنْهَا!

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ ٢٣٦٣٠، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي السَّلْسَلَةِ ٩٥١: إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعَمُهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُجِبَ عَلَى وَجْهِهِ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعَمُهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُجِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعَمُهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُجِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ". (رواه مسلم ١٩٠٥)

أَيُّ رَغْبَةٍ تِلْكَ الَّتِي تَجْعَلُكَ تُؤَثِّرُ ثَنَاءَ النَّاسِ عَلَى رِضَا اللَّهِ تَعَالَى؟
 مَنْ هَذَا الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ تَدْخُلَ النَّارَ مِنْ أَجْلِ ثَنَائِهِ عَلَيْكَ؟
 وَمَاذَا يُقِيدُكَ ثَنَاءُ النَّاسِ إِذَا أَنْتَ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ؟!

الله - تَعَالَى - يقول: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾^(١) إِنَّ مَنْ تَعَمَّلَ لِأَجْلِهِ
 يَعْلَمُ، أَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْآيَةُ كَفِيلَةً بِمُدَاوَاةِ قَلْبِكَ؟!

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذْنِبُونَ،
 لَخِفْتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ الْعُجْبُ الْعُجْبُ»^(٢).

إِنَّ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ تِلْكَ الْمَحْرَقَةِ ضَعْفُ تَعْظِيمِ اللَّهِ فِي الْقُلُوبِ! إِذْ لَوْ عَظَّمْتَهُ
 لَمَا قَصَدَتْ غَيْرُهُ!

أَيُّهَا الْقَلْبُ الْقَاسِي الْمُغْطَى بِالرِّيَاءِ، وَحُبِّ الثَّنَاءِ هَلْ مِنْ عَوْدَةٍ قَبْلَ الرَّحِيلِ؟
 قَالَ - تَعَالَى -: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صِدْقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ
 مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ
 فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

لِنُرَاجِعْ أَنْفُسَنَا، وَنُصْلِحَ مَا هَدَمْنَاهُ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، نَحْنُ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ
 إِلَيْهَا إِذَا وَسَدْنَا الشَّرَى، تَدَارَكُوها بِالتَّوْبَةِ وَأَصْلَحُوها بِالْإِخْلَاصِ ﴿إِلَّا الَّذِينَ
 تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾^(٤).

(١) [سورة البقرة: آية ١٩٧].

(٢) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ وَالْبَزَارُ، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ: ٦٥٨.

(٣) [سورة البقرة: آية ٢٦٤].

(٤) [سورة النساء: آية ١٤٦].

أَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّجَلَّ أَنْ يُجَنِّبَنِي وَإِيَّاكُمْ هَذِهِ الْمَحْرَقَةَ أَنْ نَدْخُلَهَا أَوْ يُلَفِّحَنَا لَهَا،
لَإِنَّ هَذَا عُنْوَانُ الْخَسَارَةِ الْحَقِيقِيَّةِ ﴿وَقَدْ مَنَّا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً
مَنْثُورًا﴾ (٢٣) ﴿١﴾.



رِحْلَةُ الْخُلُودِ

مَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ عَلَى عَبْدٍ أَحْرَمَ بِالْغَزْوِ لِأَرْضِ الرِّبَاطِ، تَجَرَّدَ مِنَ الدُّنْيَا،
وَتَكَفَّنَ بِالْآخِرَةِ، وَلَبَسَ سِلَاحَهُ مُلَبِّيًّا، وَلَمْ يَتَحَلَّلْ مِنْ إِحْرَامِهِ حَتَّى يَهْرِيقَ دَمَهُ
تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ، فَعِنْدَهَا قَدْ تَمَّ حُجُّهُ وَقَضَى تَقَاتُّهُ!

الشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ رِحْلَةُ الْخُلُودِ، وَجَوَارُ الْكَرِيمِ، وَمُعَانَقَةُ الْقَنَادِيلِ، وَتَرْكُ
السَّرَابِ إِلَى الرِّيِّ الصَّادِقِ، إِنَّهَا - لَوْ تَأَمَّلْتَ - قَصْرٌ بَابُهُ مِقْصَلَةُ حَدِيدٍ مُرْعِبٍ،
وَفِنَاؤُهُ وَغُرْفُهُ نَعِيمُ الْأَبَدِ وَفِرَاقُ الْكَبَدِ، فَلَا عَيْنٌ رَأَتْهُ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْهُ، وَلَا خَطَرَ
عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، فَاسْكُبْ دَمَكَ فَهَذَا جَوَارُ عُبُورِكَ إِلَى الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ، فَأَنْتَ مُفَارِقٌ
عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلَوْ أَنْصَفْتَ مَا طَلَبَتْهَا بِالتَّوَّاهِ وَالْدُّمُوعِ حَتَّى فَاتَكَ ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ
شُهَدَاءَ﴾ (٢)، وَتَخَلَّفْتَ عَنْ بَيْعَةٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى﴾ (٣) وَلَاتَ حِينَ مَنَدَمٍ!
وَلَا نَمُوتُ عَلَى حَدِّ الضُّبَى أَنْفًا حَتَّى لَقَدْ خَجَلْتُ مَنَا مَنَايَانَا



(١) [سورة الفرقان: آية ٢٣].

(٢) [سورة آل عمران: آية ١٤٠].

(٣) [سورة التوبة: آية ١١١].

رفیقُ المجد

الإمام عبد الله بن محمد القرعائي رحمه الله المتوفى سنة ١٣٨٩ هـ داعية الجنوب، وصاحب المسيرة الإصلاحية في بلاد الجنوب من المملكة العربية السعودية، وقد ألقت كتاباً^(١) صدرته بهذه القصيدة:

سَمَاءٌ لَا يُطَاوِلُهَا سَمَاءٌ	"وَنَهْرٌ لَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ"
وإِشْرَاقٌ بِهِ تَحْيَا نُفُوسٌ	وَسَلْسَالٌ بِهِ يَرَوَى الظَّمَاءُ
رَفِيقُ الْمَجْدِ أَهْدِيكَ التَّحَايَا	عَلَى قَلْبٍ لَهُ مِنْكَ انْتِمَاءُ
لَهُ نَبْضٌ يَكَادُ يَذُوبُ وَجَدًا	عَلَى لُقْيَاكَ إِنْ غَابَ اللَّقَاءُ
فَجِئْتُ إِلَيْكَ وَالْأَيَّامُ تُطَوِي	عَلَى شَوْقٍ يُخَالِطُهُ بُكَاءُ
وَأَسْرَجْتُ الْقَصِيدَ بِكُلِّ حُبٍّ	وَيُشْجِينِي مَعَ الْحَبِّ الرِّثَاءُ
وَأَسْكُبُ هَاهُنَا دَمْعِي مِدَادًا	يُسَطِّرُهُ كِتَابِي وَالْوَفَاءُ
عَلَى نَجْدٍ رُبِيتَ بِكُلِّ فَضْلٍ	وَأَمَّ نَشَأَتَكَ كَمَا تَشَاءُ
وَأَسْقَتَكَ الْعُلُومَ فَتَى طَرِيًّا	فَطَابَ الْأَصْلُ وَاشْتَدَّ الْبِنَاءُ
وَأَطْلَقْتَ الْعَزِيمَةَ فَهِيَ بَحْرٌ	فَلَا أَرْضٌ تُقَلِّكَ أَوْ سَمَاءُ
حَنَانِيكَ الْجَنُوبُ وَلَيْتَ شِعْرِي	فَكَمْ فِي سَاحِلِهَا سَطَرَ الْإِبَاءُ
وَكَمْ فِيهَا تَرَكْتَ مِنَ الْمَعَالِي	صُرُوحًا سَوْفَ يَكْتُبُهَا الضِّيَاءُ
عَلَى التَّوْحِيدِ مِنْهَاجًا وَصَبْرًا	وَبِالْوُثْقَى صَبَاحُكَ وَالْمَسَاءُ
وَمَحْتَسِبًا بِأَمْرِ اللَّهِ عُمْرًا	"وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ"

(١) هو كتاب المسيرة لداعية جنوب الجزيرة الإمام عبد الله بن محمد القرعائي رحمه الله "حياته ودعوته وقصص ومخطوطات تنشر لأول مرة" دار المنهاج بالرياض، والقصيدة أنشدها أبو عبد الملك في شريط صاحب القنديل من إنتاج وتوزيع تسجيلات التقوى بالرياض.

قُرُونِي (بَوَابَةُ الشَّهَادَةِ)

وَأَتَتْ تُبَاهِي فِي مَلَاخَتِهَا الْقَمَرَ
وَرَحَلْتُ أَمْشِي تَابِعًا طِيبَ الْأَثَرِ
مِنْ عِطْرِهِ غَارَتْ أَكَالِيلُ الزَّهْرِ
وَبَدَا فُؤَادِي مِنْ حَيْنِي يَنْفَطِرُ
قَدْ فَارَقَ الْأَبْوِينَ لَكِنْ مَا شَعَرَ
وَأَنَا أَقْلَبُ بِالْهُمُومِ وَبِالضَّجَرِ
وَقَفِي قَلِيلًا حَدَّثَنِي بِالْعَبْرِ
وَاسْتَنْهَضِي هِمَمًا بِإِقْدَاحِ الشَّرِّ
وَعَنِ الْكَمَائِنِ وَالْقَذَائِفِ وَالظَّفَرِ
قَدْ عِشْتُ دَهْرِي بَيْنَ أَجْفَانِ الْخَطَرِ
مَا كُلُّ مَوْتٍ يَا حَبِيبِي يُنْتَظَرُ!!
عُرْسٌ وَأَسْلَائِي تَكُونُ لَهُ الْمَهْرُ
وَرُبَايَ تَجْرَحُهَا الْمَدَافِعُ وَالْغَيْرُ
وَدَمُ الشَّهِيدِ عَلَى سُفُوحِي يَنْهَمِرُ
(خَطَابُ) قَائِدُهُمْ إِلَى الْمَجْدِ الْأَعَزِّ
وَتَنَازَعُوا كَأْسَ الشَّهَادَةِ وَالظَّفَرِ
سَتَظَلُّ تَرْوِيهَا الْمَنَابِرُ وَالسَّيْرُ
جَادَتْ لَكُمْ أَشْجَارُ (شَالِي) بِالثَّمَرِ
وَلَوَاءُ نَصْرٍ فَوْقَ (سِرْجِي) قَدْ عَبَرَ
وَشَكِيمَةُ الْأَسَدِ الْهَاصِرِ إِذْ رَأَى

نَشَرْتُ عَلَيَّ ضِيَاءَهَا عِنْدَ السَّحَرِ
فَنَهَضْتُ تَطْلُبُ خُطُوتِي خُطُوتَهَا
وَبِجَانِبِي نَهْرٌ يَسِيلُ بِصَمْتِهِ
فَتَعَثَّرْتُ قَدَمِي وَكُلُّ جَوَارِحِي
وَعَدَوْتُ كَالطِّفْلِ الْيَتِيمِ بَرَاءَةً
مَاذَا أَقُولُ وَكَيْفَ أُبْرِدُ حَسْرَتِي
أَرْبِيبَةَ الْمَجْدِ الْأَثِيلِ تَمَهَّلِي
وَاسْتَمْطِرِي ذِكْرِي الْأَحِبَّةِ كُلَّهُمْ
وَعَنِ الْغُرَاةِ الْفَاتِحِينَ تَحَدَّثِي
فَتَلَفَّتْ نَحْوِي وَقَالَتْ: إِنِّي
أَنَا قَدْ عَشِشْتُ الْمَوْتَ لَكِنْ إِنْتَبِهْ!
الْمَوْتُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَدِينِهِ
هَذِي رُبَاكُمُ قَدْ تَضَوَّعَ طَيْبُهَا
وَلَكُمُ بَكَيْتٌ وَجَفَّ دَمْعِي بِالْبُكََا
شَتَّانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَصَابَةِ
شَادُوا الْمَكَارِمَ وَالسَّمَاحَةَ بِالْقَنَى
وَدِمَاؤُهُمْ فَوْقَ الثُّلُوجِ حِكَايَةٌ
سَاجِدُونَ يَا صَحْبِي وَفَاءٌ مِثْلَمَا
مَرَّتْ عَلَى (فِيدُنُو) عَنَايِدُ الضِّيَا
هَذِي الْأَبَاطِخُ شَاهَدَتْ وَثَبَاتَكُمْ

حَتَّى انْقَضَتْ تِلْكَ الْحَيَاةُ وَسَافَرْتُ
يَا لَيْتَنِي غُودِرْتُ حِينَ رَحِيلِكُمْ
بَوَابَةَ الشُّهَدَاءِ جُرْحِي غَائِرٌ
بَوَابَةَ الشُّهَدَاءِ حُبِّي صَادِقٌ
يَا مَصْنَعَ الْأَبْطَالِ يَا عِطْرَ الشَّدَى
حَبَّتْ إِلَيْكَ مَشَاعِرُ رَقْرَاقَةٍ
وَصَبَابَتِي نَحْوَ الْجِهَادِ صَبَابَةٌ
لَوْ تَعْلَمِينَ بِمَا يَدُورُ بِخَاطِرِي
مَا زِلْتُ أَسْمَعُ بِالْجِهَادِ وَأَهْلِهِ
وَالْيَوْمَ قَدْ فَارَقْتُ أَطْوَاكَ الصَّبَا
هَلْ يَنْتَهِي ذَاكَ الْعَذَابُ وَتَنْقُضِي
فَلَرُبَّمَا تَأْتِي السُّعُودُ بِلَحْظَةٍ
يَا كَوْكَبًا مَلَأَ السَّمَاءَ وَضَاءَةً
فَالْوَعْدُ وَالْإِنْفَاءُ حَانَ مَجِيئُهُ

أَرْوَاحُكُمْ!! أَنْعِمَ بِخَاتِمَةِ السَّفَرِ
يَا لَيْتَنِي مَعَكُمْ أَفُوزُ وَأَنْتَ صِرُ
وَالْقَلْبُ تَنْكَاهُ الْهُمُومُ إِلَى السَّحَرِ
مَهْمَا تَبَاعَدْنَا سَيَبْقَى مُسَبِّطُ
يَا دُرَّةَ حَوَاتِ الْمَكَارِمِ وَالْدَّرُ
وَمَشُوقَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَعْمُرُ
تَخْشَى الرَّحِيلَ وَمَا قَضَتْ مِنْهُ الْوَطْرُ
مِنْ ذِكْرِيَّاتِ الْعِشْقِ أَيَّامَ الصَّغَرِ
مَا زِلْتُ أَدْعُو أَنْ تَنَالِينَ الظَّفَرَ
وَبَدَا يَلُوحُ عَلَى مُحَيَّاي الْكِبَرِ
تِلْكَ الْأَجَادِبُ ثُمَّ يَأْتِينِي الْمَطَرُ؟
لَكِنَّهَا لِلْسَّائِرِينَ عَلَى الْأَثَرِ
أَقْرَأُ سِلَاقِي مَنْ عَشِقْتُ وَمَنْ أَسْرُ
وَالسَّعْدُ وَالْإِسْعَادُ رَاحَ لِمَنْ نَفَرُ



وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ

عَجِبْتُ لِحَالِنَا وَغَفْلَتِنَا! نُرِيدُ الْمَرَاتِبَ الْعَالِيَةَ وَالْمَنَازِلَ السَّامِيَةَ وَالْبِضَاعَةَ
مُزْجَاةً، لَمْ تَسْلَمْ مِنْ شَائِبَةِ الذُّنُوبِ، حَمَلْنَا عَلَى ظُهُورِنَا قِلَالَ الْمُخَالَفَاتِ؛
فَغَاصَتْ أَقْدَامُنَا فِي الطِّينِ، فَثَقُلَ عَلَيْنَا السَّيْرُ! فَمَتَى نُدْرِكُ الْقَافِلَةَ؟!
هَكَذَا الدُّنْيَا لَا تَزْدَادُ مِنْهَا حِمْلًا إِلَّا أزدَدَتْ إِلَيْهَا إِخْلَادًا، فَأَيُّ مُعْجَزَةٍ تُوَصِّلُكَ
وَالطَّرِيقُ لَا حِبَّ شَاقُّ؟!

وَأَنْتَ كَمَا عَلِمْتَ مِنْ نَفْسِكَ؟

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾^(١) فَفَتَّشْ فِي جَرَابِكَ، فَإِنْ بَقِيَ فِيهِ مَا
يَجْعَلُكَ فِي سَاقَةِ الْقَوْمِ فَإِنَّكَ عَلَى حَبْلٍ مِنْ نَجَاةٍ، وَإِلَّا ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾^(٢)،
وَلَوْ أَنْصَفْتَ مَا تَأَخَّرْتَ ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾^(٣)، فَأَرْسِلْ دَمْعَكَ وَعَضِّ
أَنَامِكَ عَلَى فَوَاتٍ ﴿وَمَا يُقْنَهُهَا إِلَّا ذُرْحُظٌ عَظِيمٌ﴾^(٤).



(١) [سورة التوبة: آية ٤٦].

(٢) [سورة الشورى: آية ٣٠].

(٣) [سورة التوبة: آية ٤٦].

(٤) [سورة فصلت: آية ٣٥].

الصُّحْبَةُ

أَكَانَتْ الصُّحْبَةُ دَعْوَى بِلَا بُرْهَانٍ؟

أَمْ مَشَاعِرَ فَارِغَةٍ؟

أَمْ ابْتِسَامَاتٍ بِلَا رُوحٍ؟

أَهَذَا مَبْلَغُ الْعِلْمِ بِهَا؟!!

إِنَّ هَذَا الْمِيثَاقَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِصَاحِبِ الْوَفَاءِ الَّذِي إِنْ تَغَيَّرَتْ فُصُولُ حَيَاتِكَ
بِالْجَذْبِ أَوْ الرِّيْعِ رَأَيْتَهُ ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٤)،
لَا يَتَغَيَّرُ وَلَوْ بَعُدَتْ بِهِ الشُّقَّةُ، وَنَأَتْ بِهِ الدَّارُ، وَانْقَطَعَتْ بِهِ الْأَسْبَابُ، تَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ
وَأِنْ أَفْقَرْتَ دُنْيَاهُ، وَتَرَاهُ بَدْرًا وَإِنْ كَسَفَتْ شَمْسُهُ، يَتَمَنَّى لَكَ الْخَيْرَ، وَيَعْرِفُ لَكَ
الْمَنْزِلَةَ، وَيُحْسِنُ بِكَ الظَّنَّ، إِنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ رَأَاهُ حَقًّا لَكَ عَلَيْهِ، وَإِنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ
رَأَاهُ فَضْلًا مِنْكَ، سَعَادَتُهُ فِي إِسْعَادِكَ، وَمَا أَخَذْتَ مِنْ مَالِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِمَّا تَرَكْتَ، لَا
مَنَانًا فَيُؤْذِي، وَلَا عَتَابًا فَيَذْوِي، مِنْ أَهْلِ الدِّيَانَةِ وَحِفْظِ الْأَمَانَةِ، أَتُرَاكَ وَجَدْتَهُ؟!
إِذَنْ فَلَا تُضَيِّعُهُ وَإِلَّا فَلْيَسْعَكَ بَيْتُكَ، وَابْنُكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ.



مَا عَاشُوا طَوِيلًا

بَحَثْتُ عَنِ الْوَفَاءِ وَعَنْ بَنِيهِ
 وَعَنْ قَوْمٍ كَرَامٍ لَا أَرَاهُمْ
 يُلَاقُونَ الْأَحِبَّةَ فِي صَفَاءٍ
 وَإِنْ غَابُوا فَمَا غَابَ التَّآخِي
 فَهُمْ فِي رَاحَةٍ وَسُكُونٍ بَالٍ
 فَإِنْ جَالَسْتَ جَالَسْتَ الْمَعَالِي
 وَقَدْ أَيَقَنْتُ بَعْدَ عَنَاءٍ بَحْثٍ
 وَكَيْفَ إِلَيْهِمْ أَهْدَى السَّبِيلَا
 سَوَى نَزْرًا يَسِيرًا أَوْ قَلِيلَا
 وَيُعْطُونَ الْجَزِيلَةَ وَالْجَمِيلَا
 وَطِيبُ فِعَالِهِمْ يَبْقَى دَلِيلَا
 وَهُمْ مِنْ صَفْوَةِ الْأَجْيَالِ جِيلَا
 وَإِنْ فَارَقْتَ فَارَقْتَ الْأَصِيلَا
 بِأَنَّ الْقَوْمَ مَا عَاشُوا طَوِيلَا



طَعْمُ الْهَوَى

اللَّيْلُ أَقْبَلَ بِالْحَبِيبِ وَعَسَعَسَا
 أَخْشِيَّتُهُ فَحَبَسَتْ دَمْعَكَ وَاجِمَا
 طَعْمُ الْهَوَى مَا كَانَ إِلَّا لَوْعَةً
 وَتَقُولُ إِنَّكَ دُقْتَ هَمًّا عَلَقَمَا
 فَلَمْ أَرَكَ مُسَهَّدًا يَلْطَى الْأَسَى
 مَا كَانَ ضَرْكَكَ لَوْ عَذَرْتَ وَإِنْ قَسَا
 تُودِي الْحَيَاةَ وَتَسْتَرْقُ الْأَنْفُسَا
 وَأَظُنُّ تَمَرًا قَدْ أَكَلْتَ وَكُسْكُسَا



بَيْنَ شَهَادَتَيْنِ

هَلْ تَأَمَّلْتَ يَوْمًا سِجَلَاتِ الْمَوَالِيدِ؟! وَتَصَوَّرْتَ كَيْفَ كَانَتْ فَرَحُهُ أَهْلِهِمْ
بِقُدُومِهِمْ؟

وَهَلْ تَأَمَّلْتَ سِجَلَاتِ الْمَوْتَى، وَوَضَعْتَ قَلْبَكَ فِي أَتُونِ أَحْزَانِ ذَوِيهِمْ عِنْدَ
فَقْدِهِمْ؟

مَا أَحْقَرَ هَذِهِ الدُّنْيَا!

قَصِيرَةٌ وَإِنْ طَالَتْ، قَلِيلَةٌ وَإِنْ كَثُرَتْ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَهَادَتَيْ الْمِيلَادِ وَالْوَفَاةِ دَقَائِقُ
عُمْرِكَ، وَمَزْرَعَتُكَ لِأَحْرَتِكَ، فَهَلَّا بَذَرْتَهَا بِالطَّاعَةِ، وَسَقَيْتَهَا بِالْخَشْيَةِ؛ لِتَحْمَدَ
الْحَصَادَ فِي الْآخِرَةِ، إِنَّ حَيَاتِنَا الْبَرْزَخِيَّةَ أَطْوَلُ مِنْ حَيَاتِنَا الدُّنْيَوِيَّةِ، وَمَا بَعْدَ الْبَرْزَخِ
لَهُوَ الْحَيَوَانُ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ، فَقُلْ لِي كَيْفَ أَثَرَتِ الْفَانِي عَلَى الْبَاقِي، وَالتُّرَابَ بِالتَّبَرِّ،
وَالْأَلْمَاسَ بِالْحَدِيدِ الصَّدِيِّ! ثُمَّ انْظُرْ هَلْ سَتَرْتُكَ أَثَرًا يَبْقَى بَعْدَ الرَّحِيلِ؟

وَهَلْ سَتَحُوزُ الشَّهَادَاتِ الْعَالِيَةَ فِي الْعِلْمِ وَالِدَّعْوَةِ وَالْجِهَادِ؟

أَمْ سَتَقْصُرُ بِكَ الْهِمَّةُ إِلَى حَضِيضِ الْأَصْفَارِ، فَلَا تَخْرُجُ إِلَّا بِشَهَادَتَيْ الْمِيلَادِ وَالْوَفَاةِ؟!!

أَوْ تَحْسَبُ أَنَّكَ بِذَلِكَ عَلَى شَيْءٍ؟

إِنَّكَ عَلَى الطَّرِيقِ؟!!



الْعُزْلَةُ الطَّيِّبَةُ

تَشْكُو الْحَنَائَا مِنَ الْأَصْحَابِ هُجْرَانَا وَالْجَفْنُ مِنْ دَمْعِهِ مَا زَالَ مَلَانَا
وَيَعْتَرِي النَّفْسَ أَشْوَاقٌ وَتَسْلِيَةٌ مَمْرُوجَةٌ بِلَظَى اللَّوَعَاتِ أَحْيَانَا
سَأْتَرُكَ النَّاسَ لَا أَبْغِي مَوَدَّتَهُمْ لَأَقْطَعَ السَّيْرَ مَسْرُورًا وَجَذَلَانَا



أَبْغِي رِضَاكَ

إِلَيْكَ إِلَهِي مَا شَكَوْتُ وَأَطْلُبُ فَلُطْفِكَ رَبِّي مَا أُرِيدُ وَأَرْغَبُ
وَكُلُّ بَلَاءٍ تَبْتَلِيهِ فَنِعْمَةٌ وَكُلُّ عَطَاءٍ جُدْتُمُوهُ فَطَيِّبُ
نَسِيرُ وَتُبْعِدُنَا الذُّنُوبُ بِجَهْلِنَا لَكِنَّ عَفْوَكَ يَا مُهَيِّمُنْ أَقْرَبُ
يَا مَنْ لَهُ كُلُّ الْمَحَامِدِ وَالثَّنَا وَمَعِينُهَا بِجَلَالِكُمْ لَا يَنْضُبُ
أَنَا عَبْدُكَ الْمَسْكِينُ جِئْتُ وَأَدْمُعِي تَهْمِي وَكُلِّي يَا إِلَهِي يَهْرَبُ
أَبْغِي رِضَاكَ وَمَدَّ جُودِكَ سَيِّدِي مَالِي سِوَاكَ وَقَدْ رَجَاكَ الْمُذْنِبُ
حَاشَا لِجُودِكَ يَا رُؤُوفُ تَرُدَّنِي فَأَنَا عَلَى جَمْرِ الْهُمُومِ أَقْلَبُ



وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ

حَمَلْتَ مَتَاعَكَ، وَلَيْسَتْ إِحْرَامُكَ، وَاخْتَرْتَ رُقُفَتَكَ، وَتَجَاوَزْتَ الْمِيقَاتَ،
وَزَوَّدْتَ الرَّاحِلَةَ!

إِنَّهَا - لَوْ تَدَبَّرْتَهَا - نَذِيرٌ لِسَفَرِكَ الطَّوِيلِ هُنَاكَ، فَمَتَاعُكَ الْعَمَلُ، وَإِحْرَامُكَ
الْكُفْنُ، وَرُقُفَتُكَ «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»، وَالْمِيقَاتُ الصَّرَاطُ، وَزَادَ الرَّاحِلَةَ الْحَقُّ
وَالْإِخْلَاصُ، وَنَحْنُ نَنْظُرُ مِنْ طَرَفٍ خَفِيِّ لِهَذِهِ الْمَعَانِي فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ! فَكَيْفَ
سَنَعِيشُهَا بِأَيَّامِ اللَّهِ!؟

﴿وَلَا يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٤٧) ﴿حَيْثُ الْبَصَرُ حَدِيدٌ
لِحَقِيقَةٍ غَابَتْ عَنْ دُنْيَانَا بِغَفْلَتِنَا! فَاللَّهُمَّ دُلَّنَا بِكَ عَلَيْكَ، وَارْحَمْ وَقُوفَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ.
أَمِينَ.



مَنِ

وَتَرَكْتُ فِيكَ مَا عَرَسَتْ بِأَضْلُعِي
لَكِنَّكَ تَبْقَيْنَ فِي قَلْبِي مَعِي
فُخْذِي سُجُونِكَ يَا حَبِيبَهُ أَوْ دَعِي
مَا صَادِقٌ فِي الْوَدِّ مِثْلُ الْمُدَّعِي

وَدَّعْتُكَ قَبْلَ الْمَغِيبِ بِأَدْمُعِي
حَتَّى مَتَى أَلْقَاكَ لَا أَذْرِي مَتَى
خَلَفْتُ فِيكَ مُهْجَةً مُشْتَاقَةً
قَدْ نَلْتَقِي هَذَا رَجَائِي يَا مَنِ



رَفِيقَةُ الْعُمَرِ . . . أُمُّ عَبْدِ الْإِلَهِ

أَنْتِ الْمَثَالُ لِكُلِّ ذَاتِ سِوَارٍ
أَنْتِ الَّتِي كَانَتْ وَلَا زَالَتْ عَلَى
مَهْمَا كَتَبْتُ قَصَائِدًا وَمَدَائِحًا
تَبْدِينَ فِي سِطَةِ النَّسَاءِ تَفَرُّدًا
مَا كَانَ حُسْنُكَ أَفْلًا! كَلَّا وَلَوْ
دِينَ يُزَيِّنُهُ الْحِجَابُ مَعَ التَّقَى
فَحَيَاؤُكَ وَحِجَابُكَ فَخْرٌ بِهِ
يَا طِيبَ هَاتِيكَ الشَّمَائِلَ إِنَّهَا
يَا مَعْدِنَ الْإِحْسَانِ وَالْإِثَارِ
عَرْشٍ مِنَ الْإِجْلَالِ وَالْإِكْبَارِ
مَا زِلْتُ أَشْكُو قَلَّةَ الْأَشْعَارِ
كَالْكُوكَبِ الدَّرِيِّ فِي الْأَسْحَارِ
غَطَّيْتَ هَذَا الْحُسْنَ عَنْ إِسْفَارِ
وَنَدَى يُفُوقُ الْوَرْدَ فِي الْأَزْهَارِ
لِلصَّالِحَاتِ إِذَا اقْتَدَنَ بِفَخَارِ
"تُزْرِي بِعَرْفِ بَشَامَةٍ وَعَرَارِ"



فَمَا صَبْرِي يُفِيدُ

سَرَى مِنْ وَجْدِهَا الْعَاتِي حَرِيقُ
سَرَى أَلَمِي وَأَسْقَامِي وَحَتْفِي
إِذَا مَا أُرْسَلْتُ يَوْمًا وَقَالَتْ :
لَهَا سِرُّ بِهِ سَلَبْتُ فُؤَادِي
مَشَاعِرُهَا لَدَيَّ مَحَلُّ رُوحِي
سَيَقَى حُبُّهَا فِي الْقَلْبِ وَرَدًا
فَمَا صَبْرِي يُفِيدُ وَمَا يُطِيقُ
وَقَلْبِي دُونَهَا مَيْتٌ غَرِيقُ
(أَحْبُكَ) زَادَ فِي نَفْسِي الشَّهيقُ
وَبَعْضُ السَّلْبِ مَحْبُوبٌ شَفِيقُ
فَلَا عَبْتُ بِهَا أَبَدًا يَحِيقُ
زَكِيًّا طَيِّبًا وَلَهُ عَبِيقُ



مَسَاءُ الْحُبِّ

مَسَاءُ الْحُبِّ يَا قَمَرِي
 وَيَا رُوحًا لِأَيَّامِي
 أُحِبُّكَ مِنْ صَمِيمِ الْقَدْرِ
 أُحِبُّكَ يَا مُعَلِّمَتِي
 أُحِبُّكَ يَا مُجَمِّلَتِي
 أُحِبُّكَ يَا مُعَطِّرَتِي
 لَظَى الْأَحْزَانِ مَسْتَنِي
 فَحُبُّكَ طَيِّبٌ يَبْقَى
 وَيَا سَمْعِي وَيَا بَصْرِي
 بِهَا أَحْيَا مَدَى عُمْرِي
 بِ حُبًّا عَالِي الْقَدْرِ
 مَعَانِي الصِّدْقِ وَالصَّبْرِ
 بِحُسْنِ الْعَهْدِ وَالْبَشْرِ
 عَطُورِ الْمِسْكِ وَالزَّهْرِ
 وَلَكِنْ كُنْتُ لِي مَطْرِي
 وَإِنْ وُسِّدْتُ فِي قَبْرِي

٢١ ديسمبر ٢٠١٧ Manchester



لَهَا فِي الْقَلْبِ

لَهَا فِي الْقَلْبِ مَنَزَلَةُ السَّحَابِ
 لَهَا نَفْسِي الْفِدَاءُ فَلَا أَرَاهَا
 يُجَمِّلُهَا الْحَيَاءُ وَفِي يَدَيْهَا
 يُجَمِّلُهَا التَّقَى وَلَهَا شُؤُونٌ
 لَهَا مِنْ حُسْنِهَا أَمْرٌ مَهِيْبٌ
 أَحْسُ بِلَوْعَةٍ إِنْ غَبْتُ عَنْهَا
 وَغَيْثٌ جَاءَ فِي أَرْضٍ يَبَابِ
 سِوَى حُورِيَّةٍ نَزَلَتْ بِبَابِي
 أَرَى رُوحِي تَسِيرُ بِلا حِجَابِ
 مِنَ الْإِجْبَاتِ تَأْخُذُ كُلَّ مَا بِي
 مُحَسَّدَةٌ عَلَيْهِ بِلا نِقَابِ
 فَحَسْبِي اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْغِيَابِ

ويلز_ المملكة المتحدة

٢٢ ربيع الآخر ١٤٣٩هـ

إِلَى سَاكِنَةِ الْقَلْبِ

كُلُّ مَا فَيْكَ يَرْقُ كُلُّ يَوْمٍ فَيْكَ فَرَقُ
حِينَ تُبْدِينَ حَنَانًا وَجَمَالًا مِنْكَ حَقُّ
حِينَ أَلْقَى مِنْكَ بَوْحُ وَشُعُورًا مِنْكَ دَفْقُ
يَوْمَ لَا أَلْقَاكَ أَسْرُ وَإِذَا أَلْقَاكَ عِشْقُ
أَنَا لَا أَهْدِيكَ حَرْفًا بَلْ فَوَادًا مُسْتَرْقُ
فِيهِ حُبٌّ فِيهِ بَذْلُ فِيهِ نُبْلٌ فِيهِ عِشْقُ
فِيهِ تَغْيِيرٌ وَسَلَوَى فِيهِ جَفْنٌ مَا يَرْقُ
يَشْتَكِي هَمًّا أَرَاهُ بَيْنَ أَضْلَاعِي يَشْقُ
مَزَقْتَنِي فِي حَيَاتِي بَعْضُ الْأَمِّ تَدِيقُ
مَا رَتَقْنَا مِنْ جِرَاحِي صَابَهَا بَثٌّ وَفَتْقُ
لَيْتَنِي قَبْلَ لَظَاهَا جِئْتُكَ بِالْحُبِّ سَبْقُ
لَيْتَنِي صَافَحْتُ وَجْهَهَا طَيَّبَ الْقَسَمَاتِ طَلْقُ
لَيْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَا نَعِيمَ الْعُمْرِ أَفْقُ
مَبْسَمٌ فِيهِ وَفَاءُ وَلُغَاتِ الْعَيْنِ صِدْقُ
أَنْتِ أَنْشُودَةَ صَبْرٍ أَنْتِ حُسْنٌ فِيهِ عُمُقُ
أَنْتِ يَاقُبَّةَ قَلْبِي بَلَسَمٌ فِيَّ وَرِزْقُ
أَنْتِ عِطْرٌ فَاحَ مِسْكََا طَابَ مِنْكَ الْيَوْمَ عِرْقُ
مَنْ قَدِيمٌ كَانَ حُبِّي صَامِتًا وَالْآنَ نُطْقُ
طَافَ بِي غَيْمٌ فَحَلَّى الْيَوْمَ مَا أَخْفَيْتُ بَرْقُ
أَنْتِ إِنْ جَاءَ هَتَوْنُ مِنْ غِيَاثٍ بَلَّ طُرْقُ

أَنْتِ وَرْدٌ أَنْتِ تَيْنٌ أَنْتِ نَخْلٌ فِيهِ عِنْدُ
أَنْتِ رِيَانَةٌ رُوحِي أَنْتِ نَفْسٌ مَا تَعُقُّ



نَاءَتِ الْأَيَّامِ

نَعَالَ فَأَقْبِلْ فَالْدُّمُوعُ هَوَاطِلُ فَأَنَا عَلَى وَضَلِ الْحَبِيبِ أَنَاضِلُ
وَأَنَا الَّذِي مَا زِلْتُ أَفْتَقِدُ الْكَرَى وَعَلَى الْجُفُونِ مِنَ الشُّهَادِ مَكَاحِلُ
وَلَعَمْرٍ رَبِّكَ مَا تَرَكْتَ لِخَافِقِي نَبْضًا غَدَا بَيْنَ الضُّلُوعِ يُوَاصِلُ
وَأَسَائِلُ الدُّنْيَا لِمَوْطِنِكُمْ فَلَا أَدْرِي لِمَا صَارَ الْجَوَابُ يُمَاطِلُ
غَابَتْ شُمُوسُكَ يَا مُحِبُّ فَلَا أَرَى غَيْرَ الظَّلَامِ فَلَيْلُنَا يَتَطَاوِلُ
إِنْ نَاءَتِ الْأَيَّامُ وَابْتَعَدَ اللَّقَا فَلَنَا مِنَ الْحُبِّ الْقَدِيمِ مَنَازِلُ
إِنْ هَاجَتِ الْأَشْوَاقُ يَوْمًا نَادِيهَا فَلَهَا وَعُودِيَا عَظِيمٌ أَوَائِلُ



بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْخِيَالِ

لَقَدْ سَافَرَ بِهِ خَيَالٌ فَكَّرَهُ إِلَى سَوَاحِلِ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ، وَكَانَ فِي غَايِرِ أَيَّامِهِ يَنْسُجُ
 أَحْلَامَهُ عَلَى زُورَقِ خَشَبِيٍّ، بَيْنَ ضَفَّتَيْ نَهْرٍ فِي وَقْتِ الشُّرُوقِ، وَالسَّمَاءِ تَغْمِزُ لَهُ
 بِالْحَاطِطِ الْبُرُوقِ، وَيُمَسِّكُ مِجْدَافَهُ، وَتُمَسِّكُ حَبِيبَتُهُ مِجْدَافَهَا، وَيَمَضِيَانِ فِي هُدُوءٍ،
 كَنَسَمَتَيْنِ عَلِيلَتَيْنِ، يُعْلَلَانِ رَوْحَهُمَا بِالسَّحْرِ الْحَلَالِ، وَيَرْتَشِفَانِ كُوُوسَ الْمَوَدَّةِ
 وَالذَّلَالِ، وَيَبْنِيَانِ الْحَنَايَا لَوَاعِجِ الْأَشْوَاقِ، وَحَدِيثِ الْعُشَاقِ، فَهُمَا تَوَاقُمًا رُوحَ لَكِنْ فِي
 جَسَدٍ، وَبَلَسْمَ جُرُوحٍ لَكِنْ مِنْ شَهْدٍ! مَا أَرْوَعَ السَّفَرُ!! وَمَا أَطْيَبَ الصُّحْبَةَ!! وَلَكِنْ:
 حِينَ أَبْصَرَ وَقَعَهُ الْمَرِيرَ، الَّذِي تَسَاوَى فِيهِ الْبَصِيرُ وَالضَّرِيرُ، تَبَدَّدَ حُلْمُهُ
 الشَّاتِي، وَانْقَشَعَتْ تِلْكَ الْغَمَامَةُ، وَسُلِبَتْ مِنْ بَيْنِ شَفَتَيْهِ الْإِبْتِسَامَةُ، وَأَبْصَرَ
 نَفْسَهُ وَسَطَ الْمُحِيطِ، كَأَنَّهُ فِيهِ وَرَقَةٌ خَرِيفٍ صَفْرَاءُ، تَعْبَثُ بِهَا الْأَمْوَاجُ، حَتَّى
 أَمْسَكَ بِجَذَعٍ مُتَهَالِكٍ لَشَجَرَةِ صَنْوَبَرٍ لَهُ رَائِحَةٌ ذَكِيَّةٌ، تُنَافِسُ الْمُلُوحَةَ فِي مُدَاعَبَةِ
 أَنْفِهِ، وَاللَّيْلُ مُسْبِلٌ عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَرِدَاءَهُ، وَكَمْ يَكْرَهُ الْإِسْبَالَ! وَنَادَى حَبِيبَتِي هَلْ
 تَسْمَعِينَنِي؟ فَأَنَا هُنَا أَصَارُعُ الْمَوْتَ؛ لِيَبْقَى قَلْبِي يُنَادِيكَ حَتَّى حِينَ تَخْرُسُ أَنْفَاسُ
 الْحَيَاةِ! وَنَادَى وَنَادَى، وَلَكِنْ لَا مُجِيبَ! وَكَرَّرَ نِدَاءَهُ مَعَ النَّجِيبِ، وَلَا مُجِيبَ!!
 فَأَيَّقَنَ أَنَّ ذَلِكَ الْجَذَعَ الَّذِي يَتَمَسَّكُ بِهِ هُوَ أَوَّلُ خَشَبَةِ لِرُزُوقِ أَحْلَامِهِ!! أَوْ هُوَ مَا
 تَبَقَّى لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ الْوَرْدِيَّةِ؟؟



حَافِظَاتُ الْقُرْآنِ

يَا بُنَاةَ الْمَجْدِ بِالْقُرْآنِ يَا نِعَمَ الْبَنَاتِ
يَرْتَدِينَ التَّاجَ مَنْقُوشًا عَلَيْهِ الْحَافِظَاتُ



أَثْمَرْتُ تِلْكَ الْمَسَاعِي وَأَنْتَهَى ذَاكَ التَّعَبُ
وَتَلَوْنَا وَدَعَوْنَا اللَّهَ يَارَبِّ اسْتَجِبْ
وَبَلَّغْنَا بِكِتَابِ اللَّهِ مَا كُنَّا نَحِبُ
شَفَعَ الْقُرْآنَ فِينَا رَقْنَا فِيهِ الرَّتَبُ



قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ دَوْمًا إِنَّهُ يَوْمُ السُّرُورِ
افْرَحُوا يَا حَافِظَاتٍ رَدَّدُوا هَذَا الْخُبُورُ
يَوْمَ كُنْتُنَّ هُدَاةً فِي سَمَاءِ الطُّهْرِ نُورُ
إِنَّ أُمَّا أَنْجَبَتْ أَمْثَالَكُمْ لَا لَنْ تَحُورُ



رُبَّمَا يَخْفِقُ قَلْبُ مَسَّهُ سَوَاطِ الْأَيْنِ
لَيْسَ يَشْفِي حُزْنَهُ غَيْرُ رَبِّ الْعَالَمِينَ
يَسْكُبُ الدَّمْعَ هَتُونًا مِنْ تَبَارِيحِ السِّنِينَ



إِنَّهَا سَادِسَةٌ^(١) لَكِنَّهَا الْأُولَى مَحَلْ
مِنْ مَعَانِيهَا ارْتَوَى غُصْنُ الْأَمَانِي وَالْأَمَلْ
مُهَجُّ الْعَيْنِ فِدَاهَا وَالْمَاقِي وَالْمُقَلْ
وَتَرَقَّتْ فِي سِبَاقٍ لِلثَّرِيَا ذَا الْهِمَمِ



(١) دار التحفيظ السادسة بالرياض، وقد علمت لاحقاً أنها أنشدت وأكل ثمنها وانتشرت بدون حفظ للحقوق عفى الله عنهم .

قَلْبِكَ أَوَّلًا

التَّخَفَّتِ السَّمَاءُ بِالْغُيُومِ، وَغَابَ قُرْصُ الشَّمْسِ خَلْفَ حِجَابِ السَّحَابِ،
وَانْكَفَأَتْ حَبَّاتُ الْمَطَرِ كَالْجُمَانِ، اهْتَزَّتِ الْأَرْضُ وَرَبَّتْ، وَسَالَتْ أَكْتَافُ الْأَوْدِيَةِ،
وَأَثْمَرَ الْبُسْتَانُ بَعْدَ سِنِي جَذْبِ طَوَالٍ، لَقَدْ كَانَ غَيْثًا نَافِعًا لَمَّا كَانَتْ أَرْضُنَا طَيِّبَةً،
فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ، وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ (وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ)، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَحْيَا قَلْبَكَ
بَغِيْثِ الْوَحْيِ، فَإِنَّ أَلْبَسْتَهُ الْخَشْيَةَ غَابَتْ عَنْهُ نِيرَانُ الْمَعْصِيَةِ، وَسَالَتْ عَنْهُ حُظُوظُ
النَّفْسِ، فَيَنْكَفِي سَاجِدًا لِرَبِّهِ تَحْتَ أَعْتَابِ الْعُبُودِيَّةِ، تَهْزُهُ قَوَارِعُ الْآيَاتِ، وَتَسْمُو
بِهِ إِلَى الْفِرْدَوْسِ ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾^(١) عِنْدَهَا تَنْبُتُ الْجَوَارِحُ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِهِيجٍ.
فَاعْمَدِ إِلَى قَلْبِكَ أَوَّلًا، وَطَيِّبْهُ قَبْلَ أَنْ تَسْكُبَ فِيهِ زُلَالُ الْوَحْيِ؛ لِتَجِدَ الثَّمَرَةَ،
وَالَا فَقَدْ عَكَرَتْهُ بِأَدْوَاءِ الْمُخَالَفَةِ، فَتَغْيِرَ الْحَصَادُ، وَأُقِيمَتِ الْحُجَّةُ.



تَهْنِئَةُ الْعِيدِ

إِلَيْكَ سَكَبْتُ مِنْ رُوحِي التَّهَانِي
وَأَسْرَجْتُ الْخُيُولَ إِلَيْكَ لَكِنْ
وَبَعْضُ الشَّوْقِ نُرْسِلُهُ وَيَبْقَى
فَأَنْتَ لَنَا مَعَ الْأَيَّامِ قَلْبٌ
يَطِيبُ بِطَبِيبِكُمْ عِيْدِي وَأُنْسِي
عَلَى لَحْنِ الْخُلُودِ وَحَادِيهِ
أُبَارِكُ عِيْدَكُمْ وَالْعِيْدُ أَنْتُمْ
وَأَبْدَعْتُ الْقَرِيضَ عَلَى لِسَانِي
بِأَشْوَاقِي وَحُبِّي وَامْتِنَانِي
مِنَ الْأَشْوَاقِ أَكْبَرُ فِي جَنَانِي
لَهُ نَبْضٌ بِخَالِصَةِ الْمَعَانِي
كَمِثْلِ الْوَرْدِ يَعْْبَقُ فِي جَنَانِي
وَأَنْغَامًا بِهَا صَدَحَ الْيَمَانِي
وَعَوْدًا أَحْمَدًا فِي كُلِّ أَنِي

(١) [سورة الرعد: آية ٤].

يَا رَبِّ

إِلَهِ رَازِقِي أَبَدًا وَرَبِّي
وَعَفَّارِ الذُّنُوبِ الطُّفِّ بَعْدِ
سَأْرَحَلُ مِنْ هُنَا أَبْغِي لِقَاءَ
وَأُذِرِي الدَّمَعَ بِالْأَسْحَارِ خَوْفًا
كِتَابُ اللَّهِ يَجْلُو مَا أَعَانِي
وَيَهْدِينِي وَيَسْقِينِي كُؤُوسًا
فَإِنِّي مُذْنِفٌ بِالشَّوْقِ أَرْوِي
فَتِلْكَ الرُّوحُ أَنْ يَشْدُو رُبَاهَا

وَرَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَنْتَ قُرْبِي
تَرَدَّتْ رُوحُهُ تَتَرَى بِجُبِّ
تَفِيضُ بِفَيْضِهِ أَبْحَارُ حُبِّي
وَأَجْمَعُ بِالرَّجَاءِ حُطَامَ لُبِّي
وَيُذْهِبُ لَوْعَتِي وَيُزِيلُ كَرْبِي
مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى لِرَبِّي
وَأَدْعُو خَالِقِي دَوْمًا بِدَرْبِي
وَأَنْ يَحْيَا مِنَ الْإِخْبَاتِ قَلْبِي



طَيْبُ الْخَطَرَاتِ

أَنَا مَيِّتٌ أَحْيَا بِبَعْضِ رُفَاتِي
وَالِي مَتَى أَشْكُو الْجِرَاحَ وَهَذِهِ
هَلْ كَانَتْ الدُّنْيَا حَيَاةً حُزْنُهَا
يَا بَعْضَ أَيَّامِي الَّتِي فَارَقْتُهَا
كَمْ ذَا أَحِنُّ لِدَلِكِ الْمَاضِي الَّذِي
أَوَّاهُ مِنْ أَلَمٍ يُحِيطُ بِخَافَتِي

فَإِلَى مَتَى أَشْكُو فِرَاقَ حَيَاتِي
رُوحِي تَسِيلُ عَلَى لَظَى الْعَبَرَاتِ
دَامَ وَكُلُّ سَعَادَةٍ بِمَمَاتِ
مُذْ كُنْتُ طِفْلًا طَيِّبَ الْخَطَرَاتِ
فَارَقَ فِيهِ سَكِينَتِي وَثَبَاتِي
أَشْكُوهُ لِلْبَارِي مَعَ الصَّلَوَاتِ



خَرَابُ الْعُمَرَانِ

إِنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُؤْخَذُ بِالْعُنْفِ وَلَا تَصْبِرُ عَلَى الضَّيْمِ، وَإِنْ هِيَ اضْطَرَّتْ إِلَى الصَّبْرِ حِينًا فَسَتُشَوَّرُ عَلَيْهِ حَتْمًا، فَإِنْ هِيَ ثَارَتْ فَلِمَنْ ظَلَمَهَا الْوَيْلُ؛ لِأَنَّهَا لَا تُبَالِي حِينِيذٍ بِشَيْءٍ، وَلَا يَقِفُ أَمَامَهَا شَيْءٌ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ مَعَهَا، وَمَنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَهُ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ لَمْ يُغْلَبْ أَبَدًا^(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾^(٢).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ (٣/ ٣٤٩): يَقُولُ تَعَالَى: وَكَمَا أَهْلَكْنَا أَوْلِيَّكَ الْقُرُونَ الظَّالِمَةَ الْمُكَذِّبَةَ لِرُسُلِنَا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِنَظَائِرِهِمْ وَأَشْبَاهِهِمْ وَأَمْثَالِهِمْ، ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾^(٣)، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ»^(٤)، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾^(٥) اهـ.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالُمُوا...»^(٦).

(١) (ذكریات علي الطنطاوي: ١/ ٢١٣ بتصرف).

(٢) [سورة هود: آية ١٠٢].

(٣) [سورة هود: آية ١٠٢].

(٤) رواه البخاري (٤٦٨٦).

(٥) [سورة هود: آية ١٠٢].

(٦) رواه مُسْلِمٌ (٢٥٧٧).

وَأَيُّكَ وَالظُّلْمَ الْمُبَيَّنَ إِنِّي أَرَى الظُّلْمَ يَغْشَى بِالرَّجَالِ الْمَغَاشِيَا
وَلَا تَكُ حَفَّارًا بِظُلْفِكَ إِنَّمَا تُصِيبُ سَهَامُ الْغِيِّ مَنْ كَانَ غَاوِيَا

إِنَّ الظُّلْمَ مُؤَذِّنٌ بِخَرَابِ الْعُمَرَانِ، وَإِنَّ الْعُدْوَانَ عَلَى النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ ذَاهِبٌ بِأَمْوَالِهِمْ فِي تَحْصِيلِهَا وَاكْتِسَابِهَا لِمَا يَرَوْنَهُ حِينَئِذٍ مِنْ أَنَّ غَايَتَهَا وَمَصِيرَهَا انْتِهَائُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَإِذَا ذَهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ فِي اكْتِسَابِهَا وَتَحْصِيلِهَا انْقَبَضَتْ أَيْدِيهِمْ عَنِ السَّعْيِ فِي ذَلِكَ، وَعَلَى قَدَرِ الْإِعْتِدَاءِ وَنَسْبَتِهِ يَكُونُ انْقِبَاضُ الرَّعَايَا عَنِ السَّعْيِ فِي الْإِكْتِسَابِ، فَإِذَا كَانَ الْإِعْتِدَاءُ كَثِيرًا عَامًّا فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الْمَعَاشِ كَانَ الْقُعُودُ عَنِ الْكَسْبِ كَذَلِكَ؛ لِدَهَابِهِ بِالْأَمَالِ جُمْلَةً، بِدُخُولِهِ مِنْ جَمِيعِ أَبْوَابِهَا^(١).

مَضَتْ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الظَّالِمِينَ بِأَنْ يَأْخُذَهُمْ، وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ عَنَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢). ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ بُدِيلاً﴾^(٣). ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

وَعِنْدِي قُرُوصُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مِثْلُهُ فَبُؤْسَى لِيذِي بُؤْسَى وَنُعْمَى لِأَنْعَمٍ وَجَازَاهُمْ اللَّهُ مِنْ جِنْسِ أَعْمَالِهِمْ ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٥).

وَأَعْلَمُ وَأَيُّقِنُ أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ وَأَعْلَمُ بِأَنَّ كَمَا تُدِينُ تُدَانُ وَلِيَعْلَمَ مَنْ تَوَلَّى أَمْرَ الْعِبَادِ بِأَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ مَاضِيَةٌ فَلَا يَعْتَرُ ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ

(١) (مقدمة ابن خلدون ص ٢٩٤).

(٢) [سورة إبراهيم: آية ٤٢].

(٣) [سورة الفتح: آية ٢٣].

(٤) [سورة التوبة: آية ١٤].

(٥) [سورة الكهف: آية ٤٩].

هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ (١).

فَأَهْلِكُوا بَعْدَ بَعْضِ حَصِّ دَابِرِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ صَرْفًا وَلَا انْتَصَرُوا
وَلْيَعْلَمْ الْمَظْلُومُ أَنَّ لَهُ رَبًّا لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، فَلَتَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ، وَلْيَسْكُنْ خَاطِرُهُ،
فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٥٢﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ
مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٣﴾ (٢).

لَقَدْ أَخَذَ هَؤُلَاءِ فُرْصَتَهُمْ كَامِلَةً، لَكِنَّهُمْ حَرَمُوا التَّوْفِيقَ، وَعَمِيتَ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ،
وَوَغُلَّتْ أَسْمَاعُهُمْ، وَكَانُوا مِنَ الْغَافِلِينَ، حَتَّى طَلَبُوا ثَبَاتَ مُلْكِهِمْ فِي أَسْبَابِ زَوَالِهِ
وَهَلَاكِهِمْ ﴿٥٤﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿٥٥﴾ (٣).

إِلَى حَتْفِي سَعَى قَدَمِي أَرَى قَدَمِي أَرَا قَ دَمِي
إِنَّ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي لَا تُبَدَّلُ وَلَا تُغَيَّرُ تُبَشِّرُنَا بِهَلَاكِ الظَّالِمِينَ ﴿٥٦﴾ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا
كَأَن لَّمْ نَعْنِ بِالْأَمْسِ ﴿٥٧﴾ (٤).

طَرِيدُ عَشِيرَةٍ وَرَهِينُ جُرْمٍ بِمَا جَرَمْتَ يَدِي وَجَنَى لِسَانِي
ذَكَرَ السُّيُوطِيُّ فِي (تَارِيخِ الْخُلَفَاءِ): ص (١٩٢): أَنَّ الْجَرَّاحَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ كَتَبَ
إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: إِنَّ أَهْلَ خُرَاسَانَ قَوْمٌ سَاءَتْ رَعِيَّتُهُمْ، وَإِنَّهُ لَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا
السَّيْفُ وَالسَّوْطُ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ يَأْذَنَ فِي ذَلِكَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: أَمَّا
بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ، تَذَكَّرْتُ أَنَّ أَهْلَ خُرَاسَانَ قَدْ سَاءَتْ رَعِيَّتُهُمْ، وَأَنَّهُ لَا يُصْلِحُهُمْ

(١) [سورة الزمر: آية ٥١].

(٢) [سورة آل عمران: آية ٢٦].

(٣) [سورة النساء: آية ٣٩].

(٤) [سورة يونس: آية ٢٤].

إِلَّا السَّيْفُ وَالسَّوْطُ، فَقَدْ كَذَبْتَ؛ بَلْ يُصْلِحُهُمُ الْعَدْلُ وَالْحَقُّ، فَاْبْسُطْ ذَلِكَ فِيهِمْ.
وَالسَّلَامُ.

وَكَتَبَ بَعْضُ عُمَالِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ مَدِينَتَنَا قَدْ خَرِبَتْ،
فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْطَعَ لَهَا مَا لَا يَرُمُّهَا بِهِ فَعَلْ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: أَمَّا بَعْدُ
فَقَدْ فَهِمْتُ كِتَابَكَ وَمَا ذَكَرْتَ أَنَّ مَدِينَتَكُمْ قَدْ خَرِبَتْ، فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا،
فَحَصِّنْهَا بِالْعَدْلِ، وَتَقَّ طَرِقَهَا مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّهُ مَرَمَّتُهَا، وَالسَّلَامُ^(١).

إِنَّهُ لَا يَتِمُّ مُلْكٌ وَلَا يَثْبُتُ إِلَّا إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى الْعَدْلِ وَالْحَقِّ الْمُتَمَثِّلِ
فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَمَنْ أَرَادَ طَرِيقًا غَيْرَ هَذَا فَهُوَ ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي
الْظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾^(٢). وَكَانَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

وَكَانَتْ كَعَنْزِ السُّوءِ قَامَتْ لِحَنْفِهَا إِلَى مُدِيَّةٍ تَحْتَ الثَّرَى تَسْتَشِيرُهَا

قَالَ ابْنُ خَلْدُونٍ فِي مُقَدِّمَتِهِ (ص ١٦٠): إِنَّ الْعَرَبَ لَا يَحْصُلُ لَهُمُ الْمُلْكُ إِلَّا
بِصَبْغَةٍ دِينِيَّةٍ مِنْ بُيُوتِ أَوْ وِلَايَةٍ أَوْ أَثَرٍ عَظِيمٍ مِنَ الدِّينِ عَلَى الْجُمْلَةِ، وَالسَّبَبُ فِي
ذَلِكَ أَنَّهُمْ لِحُلُقِ التَّوْحُشِ الَّذِي فِيهِمْ أَصْعَبُ الْأُمَمِ انْقِيَادًا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لِلْغِلْظَةِ
وَالْأَنَفَةِ، وَبُعْدِ الْهَمَّةِ وَالْمُنَافَسَةِ فِي الرِّيَاسَةِ، فَقَلَّمَا تَجْتَمِعُ أَهْوَاؤُهُمْ. فَإِذَا كَانَ
الدِّينُ بِالنُّبُوَّةِ أَوْ الْوِلَايَةِ كَانَ الْوَارِعُ لَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَذَهَبَ حُلُقُ الْكِبَرِ وَالْمُنَافَسَةِ
مِنْهُمْ، فَسَهَّلَ انْقِيَادَهُمْ وَاجْتِمَاعَهُمْ.

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

(١) (حلية الأولياء ٥/ ٣٠٥).

(٢) [سورة الأنعام: آية ١٢٢].

الْحَقِّ ﴿١﴾. وَالَّذِينَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾
 ﴿٢٩﴾ ﴿٢﴾. كَانَ الْقُرْآنُ يُقْرَأُ فِي مَمَالِكِهِمْ وَفِي قَنَاطِيهِمْ وَلَكِنْ ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾
 ﴿٨٢﴾ ﴿٣﴾. نَصَحَهُمُ الْعُلَمَاءُ وَالصَّالِحُونَ ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾
 ﴿١١﴾ ﴿٤﴾. شِيدُوا يُبُوتَهُمْ وَعَمَّرُوهَا بِالظُّلْمِ حَتَّى خَرِبَتْ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾
 ﴿٥٢﴾ ﴿٥﴾. وَأُتُوا مِنْ مَأْمَنِهِمْ ﴿وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾
 مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴿٦﴾. وَأُضْحَى تَارِيخُهُمْ هَبَاءً، وَأُبْعِدُوا ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾
 فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴿٧﴾. إِنَّ الظَّلْمَةَ لَا يُؤْتَمِنُونَ عَلَى شَيْءٍ، فَكَيْفَ بَعْدَ اللَّهِ
 وَوَرَاثَةِ أَرْضِهِ؟! ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾
 ﴿١٢٤﴾ ﴿٨﴾. وَمَا أَصَابَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ هَلَاكِ
 وَتَشْرِيدٍ فَهُوَ قَلِيلٌ ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
 ﴿٤٧﴾ ﴿٩﴾.

مَا زِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرٍ فَادِحٍ حَتَّى آتَى الْأَمْرُ الَّذِي لَا يُدْفَعُ
 فَظَلَلْتَ تَنْظُرُ لَا رِمَاحَكَ شَرَّعَ فِيمَا عَرَاكِ وَلَا سُيُوفَكَ قُطَّعَ
 أَيُّهَا الظَّالِمُونَ: "قَدْ كَانَتْ سُيُوفُكُمْ لَا تَجِفُّ، وَنَقْمَتُكُمْ لَا تُؤْمَنُ، وَمَدَائِنُكُمْ
 لَا تُرَامُ، وَعَطَايَاكُمْ لَا تُفْقَدُ، وَمَنْزِلُكُمْ مَرْهُوبٌ، وَمُلْكُكُمْ غَالِبٌ، وَضِيَائُكُمْ

(١) [سورة الشورى: آية ٤٢].

(٢) [سورة الروم: آية ٢٩].

(٣) [سورة الإسراء: آية ٨٢].

(٤) [سورة الإسراء: آية ٩٩].

(٥) [سورة النمل: آية ٥٢].

(٦) [سورة الزمر: آية ٤٧].

(٧) [سورة المؤمنون: آية ٤١].

(٨) [سورة البقرة: آية ١٢٤].

(٩) [سورة الطور: آية ٤٧].

لَا يَنْكَسِفُ، فَهَآ هُوَ ضِيَآؤُكُمْ قَدْ خَمَدَ، وَنَقَمْتُكُمْ لَا تُخْشَى، وَعَطَايَاكُمْ لَا تُرْجَى،
وَسُيُوفُكُمْ لَا تَقْطُرُ، وَمَدَائِنُكُمْ لَا تَمْتَنِعُ، وَصَوْتُكُمْ قَدْ انْقَطَعَ، وَمُلْكُكُمْ قَدْ اتَّضَعَ"
﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٥) (١).



بُقْعَةُ النُّورِ

أَهْلُ الْبَاطِلِ كَابَدُوا الْغُرْبَةَ عَنِ الْوَطَنِ، وَاسْتَوْطَنُوا جِبَهَاتِ الْخَوْفِ لِيَقْتُلُوا
الْمُسْلِمِينَ! فَهَلْ بَذَلْتَ عَشْرَ مَا عَانُوا لِنُصْرَةِ إِخْوَانِكَ؟!
أَلَمْ يَهْلِكْ مَنْ قَضَى حَيَاتَهُ فِي أَذْغَالِ إِفْرِيقِيَا يَدْعُو لِعِبَادَةِ الْمَسِيحِ؟! وَأَنْتَ
تُضِنُّ بِشَهْرِ يَتِيمٍ تُفَرِّغُهُ لِدَعْوَةِ تَوْحِيدِ الرَّحْمَنِ!!
أَلَمْ تَعْجَبْ مِمَّنْ رَكِبَ الْبَحْرَ وَجَارَ الْوَعِرَ وَأَكَلَتْهُ السُّنُونُ لِيَتَعَلَّمَ مُوسِيقَى
الْجَازِ وَفَنَّ الْبَالِيَةَ؟! وَأَنْتَ لَمْ تُكَلِّفْ نَفْسَكَ حُضُورَ دَوْرَةِ عِلْمِيَّةٍ بِجَوَارِ بَيْتِكَ!!
إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَرِيمٌ يُكَافِئُ بِالْكَثِيرِ عَلَى الْقَلِيلِ، فَاجْتَهِدُوا لِحَقِّكُمْ عَشْرَ
جُهْدٍ أَعْدَائِكُمْ لِبَاطِلِهِمْ ثُمَّ انْظُرُوا آيَةَ أُمَّةٍ سَتَكُونُوا!! فَإِنَّ بُقْعَةَ النُّورِ تَهْتِكُ سَدَفَ
اللَّيْلِ.



مَجَزَّةُ الْحَوْلَةِ

حَمَص - مَجَزَّةُ قَرْيَةِ الْحَوْلَةِ صَبَاحُ السَّبْتِ ٥/٧/١٤٣٣ هـ - ٢٦ مايو ٢٠١٢ م

كُلُّ أَزْهَارِ الْحَيَاةِ	فِي صَبَاحِ السَّبْتِ مَاتَتْ
مُسْبِلًا فِينَا رِدَاهُ	وَعَدَا النُّورُ ظِلَامًا
مِثْلَ دِرْعَا أَوْ حَمَاهُ	وَبَدَتْ قَرْيَةُ "حَوْلَةٍ"
وَسَقَاهَا الْكُفْرُ دَاهُ	مَالَتْ الْأَغْصَانُ فِيهَا



أَيَّ صَبْرٍ تَحْمِلِينَ؟!	أَهْ يَا جُرْحَ الْمَآسِي
ثُمَّ أَتَبَعْتِي الْوَتِينَ	قَدْ قَطَعْتَنِي بُكَاءٌ
بَعْدَ أَنْ ذُقْتُ الْأَيْنِ	وَدَفَنْتَنِي رُفَاتًا
مِنْ صُرَاخِ الْمُسْلِمِينَ	مِنْ نِدَاءَاتِ الشُّكَاكِ



لَابَسًا ثَوْبَ الْعِزَاءِ	ذَلِكَ الصُّبْحُ تَوَلَّى
قَدْ بَكَتْ مِنْكَ السَّمَاءُ	أَيْهَا الصُّبْحُ تَأَنَّى
كَاسِفًا شَمْسَ الضِّيَاءِ	وَتَرَدَّى مِنْكَ سَعْدٌ
لَكِنْ مِنْ دِمَاءِ	وَجَرَى نَهْرٌ مِنَ الْأَطْفَالِ



فِي صَبَاحِ السَّبْتِ جَاءَ الْكُفْرُ يَلْعَنُهُ الضَّبَابُ
 دَخَلَ "الْحَوْلَةَ" لَمَّا أَنْ تَوَارَتْ بِالْحَجَابِ
 قَتَلُوا السُّنَّةَ ذَبْحًا وَاسْتَبَدُّوا بِالْعَذَابِ
 ذَابَ قَلْبِي يَا أَهْيَلِ الشَّامِ بَعْدَ السَّبْتِ ذَابَ



أَسَخَنَ اللَّهُ عُيُونًا قَدْ تَعَامَتْ عَنْ جِهَادٍ
 عَنْ جِهَادِ الرَّفْضِ وَالْكَفَّارِ أَرْبَابِ الْفَسَادِ
 إِنَّ مَنْ يُنْصَرُ حَقًّا لَيْسَ إِلَّا ذُو اعْتِقَادٍ
 إِنَّ مَنْ يُضِلُّهُ رَبِّي لَنْ تَجِدَ فِي الْقَوْمِ هَادٍ



يَا دِيَارَ الشَّامِ صَبْرًا قَدْ بَدَى فَتْحُ الْفُتُوحِ
 نَحْوَ "بَرْدَى" نَحْوَ "إِدْلِبَ" فَوْقَ هَاتِيكَ السُّفُوحِ
 وَشَدَى بِالنَّصْرِ أَسَدٌ وَجَرَى طُوفَانُ نُوحِ
 إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ آتٍ بَعْدَ هَاتِيكَ الْجُرُوحِ



الشيخة عام ٧١٧هـ

٢٢ رجب ١٤٣٣ هـ / ١٦ يناير ٢٠١٢ م

إِنَّ فِتَاتِ الشَّرِّ الَّتِي تَفَوَّقَتْ فِي ظُلْمِهَا لَيْسَتْ وَلِيدَةُ الْحَاضِرِ، وَلَيْسَتْ بِدَعَا
مِنَ الطُّغْيَانِ، بَلْ لَهَا جُذُورٌ ضَارِبَةٌ فِي أَحْقَابِ التَّارِيخِ، وَإِنْ كَانَتْ تَتَفَاوَتْ، كَمَا
قَالَ طَرْفَةُ :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِ بَعْضَنَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وَأَنَا أَقُولُ: حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَعْظَمُ مِنْ بَعْضِ.

تَأَمَّلْتُ وَاقِعَ إِخْوَانِنَا فِي الشَّامِ الْمُبَارَكَةِ، وَمَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ مِنْ ظُلْمٍ وَعَسْفٍ
قَلَّ نَظِيرُهُ، ظُلْمٌ فِي دِينِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَكُلِّ ضُرُورِيَّاتِهِمْ الْخَمْسِ!!

عَجِبْتُ وَأَنَا أَتَابِعُ كَغَيْرِي مَقَاطِعَ الشَّبِيحَةِ النُّصِيرِيَّةِ، وَهُمْ يُعَذِّبُونَ إِخْوَانَنَا،
وَيُجْبِرُونَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ وَعَلَى تَأْلِيهِ النُّطْفَةِ الْقَذَرَةِ بِشَارِ الْأَسَدِ، وَعَجَبِي مِنْ مُبَالِغَةِ
هَؤُلَاءِ الْجَلَاوِزَةِ فِي سَبِّهِمْ لِلَّهِ - تَعَالَى - وَالْمُجَاهَرَةِ بِذَلِكَ، وَإِرْغَامِ الْعِبَادِ عَلَيْهِ فِي
مَشَاهِدَ لَوْ رَأَاهَا أَبُو جَهْلٍ لَقَفَّ شَعْرَ رَأْسِهِ! مَا أَحْلَمَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ.

إِنَّ الْمَشْهَدَ السُّورِيَّ الْآنَ قَدْ تَكَرَّرَ عَامَ ٧١٧ هـ!! نَعَمْ تَكَرَّرَ وَبِتَفَاصِيلِهِ .. يَا
لِلْعَجَبِ!! لَكِنْ :

كَانَتْ النِّهَايَةُ وَالْعَاقِبَةُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَتَحَقَّقَ وَعْدُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَتَخَلَّفُ ﴿وَكَانَ
حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧) ﴿١﴾ وَسَأَعْرِضُ هَذَا الْمَشْهَدَ التَّارِيخِيَّ، الَّذِي وَقَعَتْ
أَحْدَاثُهُ فِي الشَّامِ نَفْسِهَا قَبْلَ سَبْعَةِ قُرُونٍ؛ لِأَنْشُرَ التَّقَاوُلَ فِي نَفُوسِكُمْ وَنُفُوسِ

(١) [سورة الروم: آية ٤٧].

إِخْوَانَنَا فِي الشَّامِ، وَخُذُوا هَذِهِ الْقِطْعَةَ التَّارِيخِيَّةَ وَقَارِنُوهَا بِوَاقِعِنَا، وَسَتَجِدُونَ التَّشَابُهَ التَّامَّ، وَسَتَعْلَمُونَ حِينَهَا أَنَّ الْفَجَرَ قَرِيبٌ، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا .

كُنْتُ أَقْرَأُ فِي تَارِيخِ ابْنِ كَثِيرٍ (الْبِدَايَةُ وَالنَّهْيَاةُ)، الْمَجْلَدِ السَّابِعِ: صَفْحَةُ ٤٩٥-٤٩٦ فَذَهَلْتُ لِمَا ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ حَيْثُ يَقُولُ :

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ٧١٧هـ - خَرَجَتِ النُّصَيْرِيَّةُ عَنِ الطَّاعَةِ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ سَمَّوْهُ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ الْمَهْدِيِّ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَتَارَةً يُدْعَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ - تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا - وَتَارَةً يُدْعَى أَنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ صَاحِبُ الْبِلَادِ، وَطَفِقَ يُكْفِّرُ الْمُسْلِمِينَ، وَيَدْعِي أَنَّ النُّصَيْرِيَّةَ عَلَى الْحَقِّ، وَاسْتَوَلَى هَذَا الرَّجُلُ عَلَى عُقُولِ كَثِيرٍ مِنْ كِبَارِ النُّصَيْرِيِّينَ الضُّلَّالِ، وَعَيْنَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مِائَةُ أَلْفٍ، وَبِلَادًا كَثِيرَةً وَنِيَابَاتٍ، وَحَمَلُوا عَلَى مَدِينَةِ (جَبَلَةِ)، فَدَخَلُوهَا، وَقَتَلُوا خَلْقًا مِنْ أَهْلِهَا، وَخَرَجُوا مِنْهَا يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا عَلِيٌّ، وَلَا حِجَابَ إِلَّا مُحَمَّدٌ، وَلَا بَابَ إِلَّا سَلْمَانُ، وَسَبُّوا الشَّيْخِينَ. وَصَاحَ أَهْلُ الْبَلَدِ: "وَإِسْلَامَاهُ وَأُسْلُطَانَاهُ وَأَمِيرَاهُ"، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ نَاصِرٌ وَلَا مُنْجِدٌ، وَجَعَلُوا يَبْكُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ فَجَمَعَ هَذَا الضَّالُّ الْأَمْوَالَ، فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ - قَبَّحَهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ - وَقَالَ لَهُمْ: لَمْ يَبْقَ لِلْمُسْلِمِينَ ذِكْرٌ وَلَا دَوْلَةٌ، وَلَوْ لَمْ يَبْقَ مَعِيَ سِوَى عَشْرَةِ نَفَرٍ لَمَلَكْنَا الْبِلَادَ كُلَّهَا. وَنَادَى فِي تِلْكَ الْبِلَادِ إِنَّ الْمُقَاسِمَةَ بِالْعُسْرِ لَا غَيْرَ؛ لِيُرْغَبَ النَّاسُ فِيهِ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِخَرَابِ الْمَسَاجِدِ وَاتِّخَاذِهَا خِمَارَاتٍ، وَكَانُوا يَقُولُونَ لِمَنْ أَسْرُوهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا عَلِيٌّ، وَاسْجُدْ لِأَلْهَكَ الْمَهْدِيِّ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ حَتَّى يَحْقِنَ دَمَكَ، وَيَكْتُبَ لَكَ

فَرَمَانَ، وَتَجَهَّزُوا وَعَمِلُوا أُمُورًا عَظِيمَةً جَدًّا. فَجُرِّدَتْ لَهُمُ الْعَسَاكِرُ، فَهَزَمُوهُمْ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَجَمْعًا غَفِيرًا، وَقُتِلَ الْمَهْدِيُّ أَصْلَهُمْ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ مُقَدَّمَهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ، كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ (٢) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٤) ﴿١﴾ ثم يقول الله عَزَّجَلَّ فِي نَهَايَةِ الْمَقْطَعِ: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ ظَلَمًا لِلْعَبِيدِ﴾ (١٠) ﴿٢﴾ انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قُلْتُ: وَنَحْنُ -والله- سَنَكْتُبُ وَنُورِّخُ لِسَبِيحَةِ الْعَصْرِ وَنَهَايَتِهِمُ الْقَرِيبَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ، كَمَا فَعَلَ ابْنُ كَثِيرٍ، فَإِنَّ فُصُولَ ظُلْمِهِمْ قَدْ اكْتَمَلَتْ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَعْدُ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.



مِنْحُ الْمَحْنِ

الشَّدَائِدُ تَصْنَعُ الرَّجَالَ، وَتُقَوِّي الْقُلُوبَ، وَفِيهَا يَعْلَمُ الْعَبْدُ عَظَمَةَ رَبِّهِ وَحَقِيقَةَ نَفْسِهِ، لِيَنْطَرَحَ بَيْنَ يَدَيْ خَالِقِهِ . . . صَدَّقَنِي!! عِنْدَهَا تُصْبِحُ الْمِحْنَةُ مَنَحَةً، وَالشَّدَّةُ رَخَاءً، وَالْيَأْسُ تَفَاؤُلًا، وَانْتِظَارُ الْفَرَجِ مُتْعَةً، وَالْحَزَنُ سَهْلًا، وَالضِّيقُ سِعَةً، حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ عَنْكَ السَّنُونُ الْعِجَافُ، وَبَدَأَتْ تَعَاثُ وَتَعَصِّرُ، عَلِمْتَ أَنَّ مَا فَاتَكَ مِنْ لَذِيذِ الْمُنَاجَاةِ لَا يُقَدَّرُ بِشَمْنٍ، وَسَتَمُرُّ بِكَ أَوْقَاتٌ تَوَدُّ لَوْ أَنَّكَ تَعُودُ لِذَلِكَ الصَّفَاءِ فَاللَّهُمَّ أَلِنْ قُلُوبَنَا لِذِكْرِكَ وَأَسْعِدْهَا بِطَاعَتِكَ.

(١) [سورة الحج: الآيات ٣-٤].

(٢) [سورة الحج: آية ١٠].

جِرَاحُ الشَّامِ

٢٠ - ٨ - ١٤٣٣ هـ

وَالْقَلْبُ يَنْزِفُ مِنْ ذِكْرِي جِرَاحَاتِي
 حُزْنٌ يُبِينُ مِنَ الْأَلَامِ أَهَاتِي
 وَالنَّارُ تُحْرِقُنِي وَالْمَوْجُ بِي عَاتِي
 يَجُرُّ فِي سَاعَةِ الْإِشْفَاقِ صَيِّحَاتِي
 يَوْمَ الرَّحِيلِ وَلَا عِنْدَ اللَّقَاءِ
 فَالْدَمْعُ سَالَ عَلَى شَامِ الْبُطُولَاتِ
 يَسُومُهَا الْكُفْرُ أَنْوَاعَ الْعَذَابَاتِ
 فَاغْتِيلَ صُبْحٌ وَإِشْرَاقُ ابْتِسَامَاتِ
 تَرَى الْبَرَاءَةَ صَرَغِي بَيْنَ أَمْوَاتِ
 أَوَاهُ مِنْ كَمَدٍ تَذَكَّرِيهِ أَنَاتِي
 تُسَبِّى الْحَرَائِرُ يَا أَهْلَ الْمُرُوءَاتِ!!
 وَمَاتَ بُوْحِي عَلَى أَنْقَاصِ أَبْيَاتِي
 وَاسْتَنْهَضِي الْعَزْمَ نَادِي يَا لَثَارَاتِ
 نَحْوَ الْإِلَهِ بِإِيْمَانٍ وَإِخْبَاتِ
 تِلْكَ الْحُثَالَةُ مِنْ بَعْضِ الْعِصَابَاتِ
 يَبْنِي الشَّامُ بِصَوْلَاتٍ وَجَوْلَاتِ
 ضَمَانَهُ اللَّهُ تَرْيَاقُ الْجِرَاحَاتِ

مَا عُدْتُ أَفْرَحُ فِي يَوْمِي وَسَاعَاتِي
 إِذَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الضُّلُوعِ طَغَى
 أَيْنَ السَّبِيلُ؟! وَكَيْفَ الْهَمُّ يُعْتِقُنِي؟
 وَاللَّيْلُ أَغْرَقَنِي فِي بَحْرِهِ وَمَضَى
 كَأَنَّ عَيْنِي لَمْ تَبْكِ عَلَى أَحَدٍ
 كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَبْكِي بِأَذْمِعِهَا
 أَرْضُ لَهَا اللَّهُ فِي أَيَّامِ مَحْتَتِهَا
 هَذِي الدَّمَا لَوْنَتْ سَاحَاتِ غُوطَتِهَا
 قَوَافِلُ الذَّبْحِ عَاثَتْ فِي طُفُولَتِهَا
 قَتَلًا وَحَرْقًا لِأَهْلِ السُّنَّةِ اجْتَمَعُوا
 فِي كُلِّ يَوْمٍ نَرَى بُؤْسًا وَمَذْبَحَةً
 يَا شَامُ قَدْ مَاتَتِ الْكَلِمَاتُ فِي شَفَتِي
 يَا شَامُ قَوْمِي وَدَاوِي جُرْحَ أُمْتِنَا
 فُكِّي وَثَاقَكَ بِالتَّوْحِيدِ وَأَنْطَلِقِي
 لَا تَرْقُبِي النَّصْرَ مِنْ (كُوفِي) وَزُمَرَتِهِ
 فَجَيْشُكَ الْحُرُّ يَشْفِي غَيْظَ مَنْ ظَلَمُوا
 كُونِي مَعَ اللَّهِ تَبْقَى فِي ضَمَانَتِهِ



إِشْرَاقَةُ . . الْبَحْرِ الْحَزِينِ

رَأَيْتُ مِيَاهَكَ مِثْلَ الدُّمُوعِ
وَهَذَا الضِّيَاءُ يَلْفُ السَّحَابِ
يَجِيءُ الصَّبَاحُ فَتَحِيَا الْجِرَاحِ
وَتُبْدِي الْأَنِينَ بِصَوْتِ حَزِينِ
وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ وَعْدٌ عَظِيمِ
وَحَوْلَ ضِفَافِكَ يَرَوِي الْحَبِيبِ
وَحَوْلَ شِفَاهِكَ يُعْصِي الْإِلَهِ
كَأَنَّكَ مَا كُنْتَ بَيْنَ الْغُرَاةِ
وَحَالَطَ مَاؤُكَ دَمَّ الشَّهِيدِ
سَابِكِي وَتَبْكِي عَلَيْكَ السُّنُونُ
تَسِيلُ تَسِيلٌ وَلَا تَنْقُضِي
يَقُولُ: أَيَا بَحْرُ مَا تَكْتَفِي
وَجُرْحُ الْكَرَامَةِ لَا يَنْتَهِي
وَحِينًا تَمْتَمُ حَرْفًا خَفِي
وَأَخْشَى بِأَنِّي بِهِ لَا أَفِي
وَأَنْتَ مِنَ الْحُبِّ لَا تَرْتَوِي
كَأَنَّكَ مَا كُنْتَ حُرًّا أَبِي
وَكُنْتَ غَضُوبًا عَلَى الْمُعْتَدِي
وَصَارَ الْقَتِيلُ بِكُمْ يَرْتَقِي
وَتَهْفُو إِلَى مَجْدِكُمْ أُمَّتِي



بُذُورُ الصَّيْفِ

يَذْنُو الْبَذَرُ مِنْ نَافِذَتِي بِمُحْيَاهُ الْأَخَّاذِ وَخَدَّيْهِ الْجَمِيلَيْنِ، فَسَامَرَهُ قَلْبِي بِمَتَاعِهِ؛
 عَلَيْهِ يَرْحَلُ بِهَا نَحْوَ الْفَضَاءِ الْبَعِيدِ فَلَا يَرَاهَا، مَضَى فِي سَاعَاتِ السَّحَرِ أَخْذَا قِلَالَ
 أَحْزَانِي، وَمَعَهُ بُذُورُ الصَّيْفِ فِي جَرَابٍ رَدِيٍّ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، النُّجُومُ تُشِيعُهُ وَالْأَفْلَاكُ
 تُحْيِيهِ، لَكِنْ: وَبَيْنَا هُوَ فِي رِحْلَتِهِ تَنَاثَرَتِ الْبُذُورُ وَانْكَسَرَتِ الْقِلَالُ، فَشَرِبَتْ بَسَاتِينَهُ
 دُمُوعَ الْآلَمِي، وَاکْتَسَتْ سُهُولَهُ أَسْمَالَ أَسْقَامِي، وَأَقْفَرَتْ أَرْضُهُ بِتِلْكَ الْبُذُورِ،
 فَاِنْطَقَ نُورُهُ، وَشَجِبَ وَجْهُهُ، وَصَارَ فَضَاؤُهُ الرَّحْبُ سِجْنًا ضَيِّقًا، فَالْتَبَسَتْ عَلَيَّ
 الشُّهُورُ، وَاضْطَرَبَتِ الْأَيَّامُ، وَتَوَقَّفَ التَّارِيخُ، وَبَكَى الزَّمَانُ! فَمَنْ يُعِيدُ الْبَذَرُ مِنْ
 جَدِيدٍ! وَمَنْ يَرَسُمُ الْبَسْمَةَ عَلَى شَفَتَيْهِ لِتَعُودَ لَهُ وَلِقَلْبِي الْحَيَاةُ.

فِي صَبَاحِ الْحُبِّ أَقْبَلَ لَا تَكُنْ مِنِّي بَعِيدُ
 فَبُذُورُ الصَّيْفِ عَاثَتْ تَحْتَ أَكْوَامِ الْجَلِيدِ
 وَغَدَا الْبُلْبُلُ يَشْدُو مِنْ تَغَارِيدِ النَّشِيدِ
 إِنَّ مَا بِي لَوْعَةٌ أَيُّهَا الْحُلْمُ السَّعِيدُ
 إِنَّهَا جُرْحٌ قَدِيمٌ أَيُّهُ الْمَجْدُ التَّلِيدُ
 لَا تَعَاتِبْنِي فَإِنِّي فِي وَئَامٍ لَا يَبِيدُ
 قَدْ نَسَجْنَا مِنْ خُيُوطِ الشَّمْسِ أَثْوَابَ الْجَدِيدِ
 أَيُّهَا الدَّمْعُ تَأَنَّى فِي حَنَائِنَا مَزِيدُ
 رُبَّمَا غَلَّتْنِي الدُّنْيَا بِأَغْلَالِ الْحَدِيدِ
 رُبَّمَا... لَكِنِّي... هَلْ سَاطَرُكُهَا شَهِيدُ؟

وَأَنْثُرُ الْعِطْرَ وَرُودًا فَوْقَ هَاتِيكَ الرَّبِّي
 وَبَدَا رَوْضُ الرَّيْعِ بِاسْمًا فِيهِ السَّنَى
 فَيَغْنِيهَا خُلُودًا فَوْقَ أَغْصَانِ النَّدَى
 إِنَّهَا طَيْفٌ تَوَجَّهَ نَحْوَ أَبْوَابِ السَّمَاءِ
 فِي حَيَاةٍ أَنْهَتِ الْمَاضِي عَلَيْهِ وَأَنْتَهَى
 إِنِّي أَشْكُو مِنَ الْأَلَامِ فِي طُولِ الْمَدَى
 وَلَسْنَاهَا حَرِيرًا بَعْدَ أَسْمَالِ الْبَلَى
 هَمَّةٌ فَوْقَ الثَّرْيَا أَوْ طُمُوحٌ فِي الثَّرَى
 وَشَكُونَاهَا كَلَامًا ثُمَّ صَاحِبَنَا الْعَدَى
 وَأَرَى الْحُلْمَ عَيْنَانَا رَاحِلًا نَحْوَ الْمُنَى



الرَّقْمُ ٢٨

هَلَّا تَفَكَّرْتَ مَعِيَ قَلِيلًا: مَاذَا يَعْنِي لَكَ هَذَا الرَّقْمُ (٢٨)؟

وَمَا جَوْهَرُهُ وَشَرَفُهُ؟

وَكَيْفَ تَسْتَفِيدُ مِنْهُ؟

هَذَا هُوَ عَدَدُ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ. فَاعْجَبْ أَنَّ اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ مُدْفَقَقٌ عَلَى النُّطْقِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ سِجْنِ هَذَا الرَّقْمِ! فَكَمْ انْضَوَى تَحْتَ عِبَاءَتِهِ مِنْ عَيْيٍ وَفَصِيحٍ، وَجَاهِلٍ وَعَالِمٍ، ثِيَّاتٍ مِنَ الْبَيَّانِ وَأَبْكَارًا، كَمْ تَحَدَّثَ النَّاسُ وَالْفُؤَا؟ كَمْ تَبَايَعُوا؟ وَتَعَاقَدُوا؟ وَتَنَابَرُوا؟ وَتَذَاكَرُوا؟ وَتَذَامَرُوا؟ كَمْ وَكَمْ!!

لَنْ أُحْصِيَ الْمُخْرَجَاتِ الْهَائِلَةَ فِي غَابِرِ الدَّهْرِ وَحَاضِرِهِ، وَلَكِنْ أَعْلَمُ أَنَّهَا تَعَانَقَتْ وَتَلَقَّحَتْ فِي رَحِمِ هَذَا الرَّقْمِ الشَّرِيفِ! نَعَمْ لَقَدْ كَانَ أَكْبَرَ شَرَفِهِ قَوْلُ رَبَّنَا عَنْ كِتَابِهِ: ﴿بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (١٩٥) ^(١)، وَعَنْ رَسُولِهِ الْعَرَبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ ^(٢) فَكُنْ أَسَاسًا كَهَذَا الرَّقْمِ؛ لِتَجْمَعَ شَتَاتِ حَيَاتِكَ عَنْ وَحْلِ الْجُزْئِيَّاتِ، كُنْ شَرِيفًا لَا تَنْسَجُ مِنْهُ إِلَّا مَا يُرْضِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



(١) [سورة الشعراء: آية ١٩٥].

(٢) [سورة إبراهيم: آية ٤].

تُغَالِبُ عَيْنِي

تُغَالِبُ عَيْنِي دَمْعَهَا وَهُوَ أَغْلَبُ
وَأَرْثِي عَلَى أَوْقَاتِ عُمْرٍ أَضَعْتُهَا
وَتُبْسَلُ نَفْسِي بَيْنَ قَوْسٍ وَحَرْبَةٍ
عَوَازِلُ نَفْسِي أَلَقْتَ الْيَوْمَ شَاهِدًا
عَلَى زَمَنِ سَادَتْ بِهِ شَرْعَةُ الْخَنَى
وَصَارَ دَلِيلُ النَّاسِ قِنَّ قِمَامَةٍ
فَكَانَ غُرَابًا حَوْلَهُ أَلْفُ جَاهِلٍ
تَمُوتُ مِنَ اللَّأَوَاءِ فِي الشَّامِ أَعْيُنٌ
فِيَا وَجَعِي مِنْ كُلِّ هَمٍّ سُقِيَتْهُ
عَلَى أُمَّةٍ مَسْلُوبَةِ الْحَقِّ وَالْقَنَا
تَصَرَّمْتَ الْيَّامَ وَانْتَالَ عِقْدُهَا
عَلَى أَيِّ فَجَرٍ تَسْتَنْيرُ قَصَائِدِي؟!
لَكَ الْحَمْدُ مَا كَانَتْ شِكَايِي لِغَيْرِكُمْ
لَكَ الْحَمْدُ وَالْأَلْطَافُ مِنْكَ تَلْفُنِي
لَكَ الْحَمْدُ مَا اعْتَاضَ الْفَوَادُ بِغَيْرِكُمْ
فِيَا عَوْضِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ تَرَكْتُهُ
وَيَا فَالِقَ الْإِصْبَاحِ وَالْحَبِّ وَالنَّوَى
وَيَا رَاحِمًا ضَعْفِي وَقَلَّةَ حِيلَتِي

وَتُشْرِقُ فِي صَدْرِي هُمُومٌ وَتَغْرُبُ
عَلَى كَدَرٍ وَالْقَلْبُ فِيهَا مُعَذَّبٌ
وَدَاهِيَةٍ فِيهَا أَصِيحُ وَأَنْدُبُ
عَلَى زَمَنِ فِيهِ الْعِتَابُ الْمُحَبَّبُ
وَصَارَ بِهِ الْمَغَوَارُ مَنْ كَانَ يَلْعَبُ
يُشَكِّكُ فِي النَّقْلِ الصَّحِيحِ وَيَكْذِبُ
يَقُودُهُمْ نَحْوَ الْمَهَاوِي وَيَنْعَبُ
وَفِينَا مَوَاتٌ لَمْ يَحْسُوا وَيَعْضَبُوا
عَلَى أُمَّةٍ سَالَتْ دِمَاهَا وَتَشْجُبُ
مُجَافِيَةً عَنْ رَبِّهَا.. كَيْفَ تَغْلِبُ؟!
وَصِرْتُ كَبِيرَ الْهَمِّ وَالْهَمُّ مَتَعِبُ
إِذَا كَانَ نُورُ الْفَجْرِ يُرِيدُهُ غَيْهَبُ
وَمَا كَانَ بَثِّي نَحْوَ غَيْرِكَ مَذْهَبُ
إِذَا مَا ادْلَهَمَّتْ بِي خُطُوبٌ تَلْهَبُ
وَأِنْ مَسَّهُ ضُرٌّ وَلَوْ كَانَ يَضْعُبُ
وَيَا أَمَلِي فِيمَا أُرْجِي وَأَطْلُبُ
وَيَا رَازِقًا أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ
وَيَا غَافِرًا ذَنْبِي الَّذِي كُنْتُ أَذْنِبُ

أَعَزُّ بَذْلِي إِنْ سَجَدْتُ وَأَقْرَبُ
وَأَنْتَ كَرِيمٌ حِينَ تُدْعَى وَتُرْغَبُ
أَرُدُّ بِهِ دِينًا يُضَاعُ وَيُنْهَبُ

مِنْ جُودِكَ اللَّهُمَّ يَمَّمْتُ حَاجَتِي
وَعَوَّدْتَنِي الْإِحْسَانَ فَضْلاً وَمِنَّةً
أَعِنِّي عَلَى قَوْلٍ مِنَ الْحَقِّ ثَابِتٍ

Wales - Bangor المملكة المتحدة

الثلاثاء ٢٢ ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ



أُمِّي

وَزَيْدَ بَأْنَهُ يُكْسَى جَمَالاً
فَيَطْرَبُ خَاطِرِي بِالْحُبِّ حَالاً
مُيُولُ الْبَدْرِ أَنْ يَلْقَى اكْتِمَالاً
فَعَشَانِي فَلَا أَخْشَى ضَلَالاً
أَيَا أُمَّاهُ أَعْظَمُ أَنْ يُقَالَ
وَوَصْفُ الْأُمِّ أَرْقَى أَنْ يُطَالَ
وَفِي الْمَحْرَابِ تَلْقَيْنَ الْمَنَالَ
مِنَ الْقُرْآنِ يَبْقَى لَنْ يُزَالَ
وَأَلْقَى الْبَشْرَ فِي وَجْهِ تَلَالَا
تُقَرُّ عُيُونُكُمْ مِنِّي دَلَالَا
لِيَرْضَى اللَّهُ إِنْ تَرْضَى "تَعَالَى"

تَهَادَى الشَّعْرُ فِي لَوْحِي جَلالاً
وَأَضَحَتْ كُلُّ قَافِيَةٍ تُغْنِي
وَتَرْقُصُ رِيشتِي فَيَمِيلُ قَلْبِي
فَصَارَ النُّورُ فِي دَرْبِي دَلِيلاً
فَفِي قَلْبِي مِنَ الْأَشْوَاقِ أَمْرٌ
وَأَلْفُ الثَّنَاءِ عَلَى شِفَاهِي
تُنَاجِينَ إِلَهَ بِكُلِّ لَيْلٍ
وَأَلْبَسَكُمْ إِلَهُ الْحَقِّ تَاجاً
وَتَبَّتْكُمْ بِهِ الْبَارِي ثَبَاتاً
سَافِضٌ مِنْ جَنَاحِ الدُّلِّ حَتَّى
وَأَسْعَى فِي رِضَاكُمْ كُلَّ جَهْدِي

الْمِثَالُ مِنَ الرِّجَالِ ... أَبُو جَمَالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ

١٣٦٦ هـ - ١٤٤٠ هـ

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا اهْتَزَّ شَوْقُنَا إِلَيْكَ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ

كُنْتُ أُحِبُّهُ كَثِيرًا وَلَا زِلْتُ، وَأَعْتَبَرُهُ وَالِدِي الثَّانِي؛ لِأَنَّ خَالِي رَحِمَهُ اللَّهُ لَمْ يَكُنْ رَجُلًا عَادِيًّا فِي عِبَادَتِهِ وَحَنَانِهِ وَتَرْبِيَّتِهِ وَكَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ وَصِلَتِهِ لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، صَدَّقُونِي إِنِّي أَكْتُبُ عَنْهُ وَكَأَنِّي أُرْثِي شَيْئًا فِي دَاخِلِي قَدْ رَحَلَ، إِنَّهُ شُعُورٌ غَرِيبٌ أَنْ تَشْعُرَ بِالْمَوْتِ وَأَنْتَ حَيٌّ، وَأَنْ تَعِيشَ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ وَأَنْتَ تَتَنَفَّسُ.

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدْتُ لَهَا الْمُنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلًا

اتَّصَلْتُ بِهِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ؛ لِأَطْمَئِنَّ عَلَى صِحَّتِهِ، كَانَ هَذَا آخِرَ مَرَّةٍ أَسْمَعُ فِيهَا صَوْتَهُ، وَكَانَ لِقَاؤُنَا الْأَخِيرُ فِي الصَّيْفِ الْمَاضِي، حِينَ جِئْتُ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ، وَبَشَّرْتُهُ بِحُصُولِي عَلَى دَرَجَةِ الْمَاجِسْتِيرِ، وَأَنِّي عَلَى وَشِكِّ السَّفَرِ لِدِرَاسَةِ الدُّكْتُورَاهِ، وَفِي اللِّقَاءِ أَذْكُرُ حِينَ أَنْشَدْتُهُ أَبْيَاتًا مِنْ قَصِيدَةِ أَبِي طَالِبٍ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَسْتَمِعُ إِلَيَّ بِكُلِّ حَوَاسِهِ كَعَادَتِهِ مَعَ مَنْ يُحَدِّثُهُ.

لَمْ أَسْتَطِعْ حُضُورَ جَنَازَتِهِ لِأَنِّي كُنْتُ خَارِجَ الْبِلَادِ ... أَلَيْسَ هَذَا مُؤْلَمًا؟!
أَلَا إِنَّمَا أَفْنَى دُمُوعِي وَشَفَنِي خُرُوجِي وَتَرْكِي مَنْ أَحَبُّ وَرَأِيَا
وَمَا لِي لَا يَسْتَنْفِذُ الشَّوْقُ عَبْرَتِي إِذَا كُنْتُ مِنْ دَارِ الْأَحِبَّةِ نَائِيَا

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَغِيمِشٍ بْنُ سَالِمٍ سَبِيلَهُ الْعَزِيزِيُّ أَبُو جَمَالٍ ذَلِكَ الْجَبَلُ الَّذِي نُفِخَتْ فِيهِ الرُّوحُ، مَعْدِنُ نَفِيسٍ، مَخْمُومُ الْقَلْبِ، صَدُوقُ اللِّسَانِ، صَاحِبُ تَالِهِ وَعِبَادَةِ وَقِيَامِ لَيْلٍ، وَقِرَاءَةِ قُرْآنٍ، وَسَعَايَةِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، أَحْسَبُهُ كَذَلِكَ وَلَا أَزْكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ

أَفْضَلُ؟ قَالَ: "كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ" قَالُوا: صَدُوقِ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: هُوَ التَّقِيُّ النَّتْقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ"^(١).

وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ لِفَقْدِكَ وَاحِدٌ فِي كُلِّ بَيْتٍ أَنَّهُ وَزْفِيرُ
عَجَبًا لِأَرْبَعِ أَذْرُعٍ فِي خَمْسَةِ فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشَمُّ كَبِيرُ
أَحْسَبُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَارَكَ لَهُ فِي عُمُرِهِ وَوَلَدِهِ فَكَانَ مِنْهُمْ -تَبَارَكَ اللَّهُ- طَالِبُ
الْعِلْمِ وَحَافِظُ الْقُرْآنِ وَالطَّبِيبُ وَالْمُهَنْدِسُ وَالْمُعَلِّمُ وَالشَّاعِرُ وَالطَّيَّارُ وَالضَّابِطُ،
مُتَمَيِّزُونَ دِينًا وَخُلُقًا رَجَالًا وَنِسَاءً؛ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ تَتَلَمَذَ فِي مَدْرَسَتِهِ أَصَابَهُ بَرِيقٌ مِنَ
النَّجَاحِ، وَهَذَا بَعْدَ تَوْفِيقِ اللَّهِ لِصَلَاحِهِ وَبِرِّهِ وَصَلَاتِهِ لِرَحِمِهِ، فَهُوَ فِي هَذَا الْبَابِ قَلَّ
نَظِيرُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ، ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾^(٢).

كَأَنَّ أَبِي -بَعْدَ- لَمْ يَذْهَبِ
وَصَحْنُ الرَّمَادِ .. وَفِنَجَانُهُ
عَلَى حَالِهِ بَعْدَ لَمْ يُشْرَبِ
وَنَظَارَتَاهُ ... أَيْسَلُو الزُّجَاجُ
عُيُونًا أَشْفَى مِنَ الْمَغْرِبِ

وُلِدَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَامَ ١٣٦٦ هـ فِي ضَوَاحِي الْعُلَا شَمَالِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ فِي بَيْتِ
دِينٍ وَتَقْوَى، كَانَ الْإِبْنُ الذَّكَرَ الثَّلَاثِ لِجَدِّي نَعِيمَشْ ذُو الْعَائِلَةِ الْكَبِيرَةِ، لَقَدْ كَانَتْ
الْحَيَاةُ قَاسِيَةً حِينَهَا سَيِّمًا عَلَى أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَأَصْحَابِ الْمَوَاشِي الَّذِينَ يَرْحَلُونَ
بِاسْتِمْرَارٍ تَتَبَعًا لِمَسَاقِطِ الْأَمْطَارِ، لَقَدْ كَانَ هَمُّهُ كَبِيرًا فِي أَنْ يَبْرَّ وَالِدِيهِ وَأَهْلَهُ، وَأَنَّ

(١) رواه ابن ماجه (٤٢١٦) وصححه الألباني في السلسلة (٩٨٤).

(٢) [سورة الكهف: آية ٨٢].

يَكُونُ عَوْنًا لَهُمْ بَعْدَ اللَّهِ، كَانَ جَدِّي رَجُلًا مُتَعَلِّمًا، فَعَلِمَهُ مَبَادِي الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ وَالْحِسَابِ، حَتَّى صَارَ يَكْتُبُ لَهُ رَسَائِلَهُ، وَفِي عَامِ ١٣٨٤ هـ سَافَرَ إِلَى الرِّيَاضِ وَالتَّحَقَّقَ بِالْحَرَسِ الْوَطَنِيِّ، لَمْ تَكُنْ فِكْرَةُ الدَّرَاسَةِ النَّظَامِيَّةِ وَقَتِيذِ تَسْتَهْوِي أَتْرَابِهِ، لَكِنَّهُ كَانَ مُخْتَلِفًا عَنْهُمْ، كَانَ يَخْرُجُ بَعْدَ دَوَامِهِ عَصْرًا، يَبْحَثُ عَنْ مَدْرَسَةٍ لِيَلْتَحَقَّ بِهَا، فَيَرُدُّ طَلَبَهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ شَهَادَةً، حَاوَلَ أَنْ يَدْرُسَ بِأَجْرَةٍ فِي إِحْدَى الْمَدَارِسِ الْأَهْلِيَّةِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ، وَالتَّقَى بِالْمُدِيرِ، فَرَفَضَ طَلَبَهُ، لَكِنَّهُ انْتَظَرَ عِنْدَ بَابِ الْمَدْرَسَةِ حَتَّى انْتَهَى الدَّوَامُ، ثُمَّ حَضَرَ فِي الْيَوْمِ التَّالِي؛ فَعَجِبَ الْمُدِيرُ لِإِصْرَارِهِ، وَحِينَ سَأَلَهُ قَالَ لَهُ: أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ، اخْتَبِرْنِي!. فَأَجْرَى لَهُ اخْتِبَارًا وَبَعْدَهَا أَلْحَقَهُ مُبَاشَرَةً بِالصَّفِّ الْخَامِسِ.

لَمْ تَكُنْ مَعَهُ سَيَّارَةٌ، فَكَانَ يَخْرُجُ مِنْ مُعَسَكَرَاتِ الْحَرَسِ الْوَطَنِيِّ كُلِّ عَصْرِ بِسَيَّارَةِ أُجْرَةٍ لِمَدْرَسَتِهِ، حَتَّى أَنْهَى الْمَرْحَلَةَ الْخَامِسَةَ، وَعِنْدَمَا بَدَأَ فِي الصَّفِّ السَّادِسِ اضْطُرَّ عَمَلُهُ لِتَرْكِ الدَّرَاسَةِ؛ لِلإِثْقَالِ إِلَى جَا زَانٍ بِسَبَبِ أَحْدَاثِ الْيَمَنِ، وَكَانَتْ أَقْرَبُ مَدْرَسَةٍ لَهُمْ تَبْعُدُ قَرَابَةَ ١٠٠ كم، وَلَمْ تَكُنِ الطَّرِيقُ إِلَيْهَا مُعَبَّدَةً، فَحَوَّلَ دِرَاسَتَهُ إِلَى نِظَامِ "الْمَنَازِلِ"، وَأَتَمَّ الْمَرْحَلَةَ السَّادِسَةَ، وَوَقْتُهَا كَانَ النَّاجِحُونَ مِنَ الْمَرْحَلَةِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ لَهُمْ شَأْنٌ، وَتُدَاعُ أَسْمَاؤُهُمْ فِي الْمِذْيَاعِ، وَكَانَ خَالِي -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَحَدَهُمْ.

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامًا وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا

وَفِي بَدَايَةِ التَّسْعِينَاتِ الْهَجْرِيَّةِ رَجَعَ إِلَى الرِّيَاضِ، وَأَرَادَ مُوَاصَلَةَ تَعْلِيمِهِ لَكِنَّهُ مَا لَبَثَ حَتَّى انْتَقَلَتْ كَتِيبَتُهُ إِلَى نَجْرَانَ فِي مُهِمَّةٍ أُخْرَى، وَفِي عَامِ ١٣٩٥ هـ ابْتَعَثَ الْحَرَسُ الْوَطَنِيُّ مَجْمُوعَةً مِنَ الضُّبَّاطِ لِأَمْرِيكََا وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مِنْ ضُبَّاطِ

الصَّفِّ سِوَى اثْنَيْنِ، اخْتِيارًا لِمَيِّزِهِمَا، وَكَانَ خَالِي **رَحْمَةُ اللَّهِ** أَحَدَهُمَا، وَمَكَثَ فِيهَا سَنَةً وَأَنْتَاءَهَا تُوفِّيَ وَالِدُهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ إِلَّا بَعْدَ وُصُولِهِ لِلْمَمْلَكَةِ، رَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ، وَفِي بَدَايَاتِ ١٤٠٠ هـ أَمَّ **رَحْمَةُ اللَّهِ** الْمَرْحَلَةَ الْمُتَوَسِّطَةَ، ثُمَّ انْقَطَعَ بَعْدَهَا لِاشْتِغَالِهِ بِمُتَابَعَةِ أَوْلَادِهِ، وَلِرِعَايَةِ بَعْضِ الْأُسْرِ الَّتِي كَانَتْ فِي حَاجَتِهِ **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

مَضَتْ سَنَوَاتٌ طَوِيلَةٌ وَهُوَ يَقْسِمُ رَاتِبَهُ لِيُؤَاسِيَ بِنَصْفِهِ بَعْضَ قَرَابَتِهِ، وَلَيْسَدَ مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ خِلَّتْهُمْ، وَيَفُكُ ضَائِقَتَهُمْ، بِدَأْبٍ لَمْ يَنْقُطْ وَسَعَادَةٍ بِالْعَطَاءِ، لَمْ يُعْلَمْ أَوْلَادُهُ حِينَهَا، وَكَانُوا رُبَّمَا اخْتَاجُوا بَعْضَ الْكَمَالِيَّاتِ فَلَمْ يَجِدُوهَا فَيَتَعَجَّبُونَ، لَكِنْ بَعْدَ أَنْ كَبُرُوا عَلِمُوا أَنَّ خَالِي **رَحْمَةُ اللَّهِ** كَانَ يُؤَاسِي بِمَالِهِ كَثِيرًا مِنَ الْعَوَائِلِ وَالْأُسْرِ الْمُحْتَاجَةِ، وَيَتَابِعُ حَتَّى تَفَاصِلَ حَيَاتِهِمْ.

يُعْطِي عَطَاءَ الْمُحْسِنِ الْخَصِلِ النَّدِيِّ عَفْوًا وَيَعْتَذِرُ اعْتِذَارَ الْمُذْنِبِ

كَانَ فِي صَلَاتِهِ لِلرَّحِمِ مَثَلًا يُقْتَدَى بِهِ، وَأَحْسِبُ أَنَّ لَهُ نَصِيحًا مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسْطَلَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ" ^(١).

قَالَ النَّوَوِيُّ **رَحْمَةُ اللَّهِ**: بَسَطُ الرِّزْقِ: تَوْسِيعُهُ وَكَثْرَتُهُ، وَقِيلَ: الْبَرَكَهُ فِيهِ، وَأَمَّا التَّأخيرُ فِي الْأَجَلِ فَفِيهِ إِشْكَالٌ مَشْهُورٌ، وَهُوَ أَنَّ الْأَجَالَ وَالْأَرْزَاقَ مُقَدَّرَةٌ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ^(٢)، وَقَدْ أَجَابَ الْعُلَمَاءُ بِأَجْوِبَةٍ، الصَّحِيحُ مِنْهَا أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ تَكُونُ بِالْبَرَكَهَةِ فِي عُمُرِهِ، وَالتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَاتِ، وَعِمَارَةِ أَوْقَاتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَصِيَانَتِهَا عَنِ الصِّيَاعِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٠٦٧) وَمُسْلِمٌ (٢٥٥٧).

(٢) [سورة الأعراف: آية ٣٤].

لَمْ يَكُنْ خَالِي رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ التَّجَارَةِ، لَكِنَّ اللَّهَ كَثَّرَ رِزْقَهُ، وَبَارَكَ لَهُ فِيهِ، رُغْمَ عَائِلَتِهِ الْكَبِيرَةِ، وَوُظِيفَتِهِ الْوَحِيدَةِ، وَمَعَ هَذَا مَا احتَاجَ لِأَحَدٍ، فَبَنَى بَيْتًا، وَاشْتَرَى آخَرَ، وَبَنَى لَهُ اسْتِرَاحَةً. شَهْمًا نَبِيلاً، يُعْطِي وَلَا يَأْخُذُ، بَلْ وَيُقْرِضُ النَّاسَ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْهُمْ، وَمَاتَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ دَيْنٌ لِأَحَدٍ، وَأَمَّا فِي الْعُمُرِ فَقَدْ عَاشَ ٧٤ عَامًا مُبَارَكَةً، مَضَتْ فِي الاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَةِ وَالْبِرِّ وَالسَّعَايَةِ عَلَى الْمُحْتَاجِينَ، لَقَدْ بَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، بَلْ وَشَهِدَ زَوْاجِ إِحْدَى حَفِيدَاتِهِ وَهُوَ بِقُوَّتِهِ وَصِحَّتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

كَانَ مِنْ صِلَتِهِ لِرَحِمِهِ أَنَّهُ يَزُورُ أَقَارِبَهُ الْأَذْنِينَ فَلَاذْنِينَ، لَا يَقْطَعُ أَحَدًا حَتَّى لَوْ تَعَرَّضَ لِإِسَاءَةٍ، بَلْ يُتْبِعُهَا بِإِحْسَانٍ؛ لِعِلْمِهِ بِأَنَّ الْوَاصِلَ لَيْسَ بِالْمُكَافِي، وَكَانَ اتِّصَالُ الْجُمُعَةِ عَلَامَةً لَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَتَعَاهَدُ بِهِ إِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ وَقَرَابَتَهُ، حَتَّى أَنَّهُمْ إِذَا فَقَدُوا هَذَا الْإِتِّصَالَ - وَلَوْ جُمُعَةً وَاحِدَةً - عَلِمُوا أَنَّ خَطْبًا عَظِيمًا أَلَمَ بِهِ.

وَهَلْ أَبْكِيكَ أَمْ أَشْدُو بِفَخْرٍ وَكَلْنَا حَالَتِي لَهَا دَلِيلُ
فَلَا شَدْوِي إِذَا أَقْدَمْتُ يَكْفِي وَلَا دُونَ الرَّدَى حُزْنٌ يَحُولُ
وَمَا نَفَعَ الْبُكَاءُ وَلَا التَّبَاهِي إِذَا كَانَ الرَّحِيلُ هُوَ الرَّحِيلُ

أَمَّا فِي الْكَرَمِ وَالضِّيَافَةِ فَحَدِيثُ عَنْهُ لَا يَنْتَهِي، لَقَدْ كَانَ مَنْزِلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَشْبَهُ بِالْمِيقَاتِ لِكُلِّ قَادِمٍ إِلَى الرِّيَاضِ مِنْ قَرَابَتِهِ وَغَيْرِهِمْ، فَيَهَيِّئُ لَهُمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَالْمَبِيتَ حَتَّى الْمَالِ، وَإِنْ طَالَ مُكُوثُهُمْ عِنْدَهُ لَا يَزِيدُهُ ذَلِكَ إِلَّا انْشِرَاحًا وَحُبًّا لَهُمْ، وَأَنَا شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ. أَذْكَرُ حِينَ كُنْتُ أَدْرُسُ فَضْلًا صَنِيفًا بِالْجَامِعَةِ فِي الرِّيَاضِ سَكَنْتُ عِنْدَهُ، وَكَانَنِي - وَاللَّهِ - بَيْنَ أُمِّي وَأَبِي، وَفِي إِحْدَى الْأَيَّامِ وَقَعَ لِي حَادِثٌ بِسَيَّارَتِي، وَكَانَتْ بِحَاجَةٍ لِلْإِصْلَاحِ فَتَفَاجَأْتُ بِهِ يَدْعُونِي وَيُغْلِقُ عَلَيَّ الْبَابَ، ثُمَّ يُعْطِينِي مَا لَا لِأُصْلِحَ بِهِ سَيَّارَتِي.

لَهُ ضِحْكَةٌ عِنْدَ النَّوَالِ كَأَنَّهَا تَبَاشِيرُ بَرْقٍ بَعْدَ بُعْدٍ مِنَ الْعَهْدِ
كَأَنَّ (نَعَمْ) فِيهِ حِينَ يَقُولُهَا مُجَاجَةٌ مِنْكَ خِصَصَ فِي ذَائِبِ الشَّهْدِ

كُنْتُ مُنْذُ صِغَرِي أَعَامِلُهُ كَوَالِدِي، إِذَا أَخَذْتُ شَهَادَاتِ التَّفَوُّقِ أُحِبُّ أَنْ
أُبَشِّرُهُ، وَأَذْكُرُ مِنْهَا شَهَادَةَ التَّفَوُّقِ لِلصَّفِّ الْأَوَّلِ الْإِبْتِدَائِيِّ الَّتِي أَخَذْتُهَا مَعِيَ إِلَى
الرِّيَاضِ؛ لَكِنِّي يَرَاهَا، لَقَدْ كَانَ مُهَابًا حِينَ يَتَحَدَّثُ، حَتَّى عَتَابُهُ لَمْ يَكُنْ عَادِيًّا، كَانَ
مَقْبُولًا وَإِنْ قَسَى أَحْيَانًا لِصِدْقِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَهُ سَوْرَةٌ مِنْ حِدَّةٍ يُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْتَةَ، يُقْبَلُ
عَلَى مَنْ يُحَدِّثُهُ، فَيُشْعِرُ الْمُتَحَدِّثَ بِأَنَّهُ الْأَهَمُّ لَدَيْهِ، يُحَسِّنُ الْإِنْصَاتَ، أَوَّابًا لِلْحَقِّ،
ذُو هَيْبَةٍ وَتَوَاضِعٍ، إِذَا ذُكِرَ بِاللَّهِ ذَكَرَ، لَا يَرُدُّ الْمَعْرِفَةَ وَلَوْ أَخَذَهَا مِنْ هُوَ أَقْلٌ مِنْهُ،
وَكَانَتْ تَشْرِيبُ إِلَيْهِ الْأَعْنَاقَ عِنْدَ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ رَحِمَهُ اللَّهُ لِحِكْمَتِهِ وَهَيْبَتِهِ
وَرَجَاحَةِ عَقْلِهِ.

سَلَّ عَنْهُ أَقْوَامًا فَكَمْ مِنْ شَاكِرٍ فِيهِ صَنَائِعُهُ وَكَمْ مِنْ حَامِدٍ
يَجْلُو بِحِكْمَتِهِ وَصَائِبِ رَأْيِهِ فِيهِ ظِلَامٌ مَصَادِرٍ وَمَوَارِدٍ
أَحْبَبْتُ مِنْهُ كَاللُّجَيْنِ شَمَائِلًا وَمَائِرًا كَاللَّيْلِ وَفَرَاقِدٍ

عَتَبَ عَلَيَّ مَرَّةً، حِينَ تَرَكْتُ وَظِيفَةً لِأَتَحَقَّ بِالدِّرَاسَةِ فِي الْجَامِعَةِ، كَانَ يَخَافُ
عَلَيَّ الْفَشْلَ وَالتَّعَثُّرَ مِنْ حُبِّهِ لِي، وَجِئْتُهُ بَعْدَ أَنْ صِرْتُ مُحَاضِرًا فِي الْجَامِعَةِ؛ لِأُبَيِّنَ
لَهُ بِأَنِّي مَا تَرَكْتُ تِلْكَ الْوُظِيفَةَ عَنْ عَجْزٍ وَفَشْلٍ، بَلْ لِأُوَصِلَ نَجَاحًا بِنَجَاحٍ،
وَمَرَّةً أَرْسَلْتُ لَهُ بَحْثًا كَتَبْتُهُ عَنْ فِتْنَةِ الْقُبُورِ فَأَرْسَلَ يَدْعُو لِي وَيَقُولُ أَنَّهُ اسْتَفَادَ
مِنِّي مَعْلُومَاتٍ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهَا وَهَذَا مِنْ تَوَاضُعِهِ وَحُسْنِ تَرْبِيَّتِهِ وَتَشْجِيعِهِ لِمَنْ
يُحِبُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَأَذْكُرُ حِينَ كُنْتُ أَدْرُسُ فِي مَالِيزِيَا نَسَقَ لِي النَّادِي السَّعُودِي
فِي كُوَالِ الْمَبُورِ مُحَاضَرَةً عَامَّةً سَتَبْتُ عَبْرَ النَّتِ فَكَانَ يُرَاسِلُنِي مِنَ الرِّيَاضِ يَسْأَلُنِي

عَنْ كَيْفِيَّةِ الْحُضُورِ عَبْرَ النَّتِّ وَيُبْدِي اهْتِمَامَهُ رُغْمَ اشْغَالِهِ وَفَارِقِ التَّوْقِيتِ عَنِ
السُّعُودِيَّةِ فَهَلْ الْأُمُّ عَلَى حَبِّهِ !؟

وَلَا زِلْتُ أَذْكُرُ حِينَ أَهْدَيْتُ لَهُ أَوَّلَ كُتُبِي الْمَطْبُوعَةِ كَيْفَ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَبَرَقَتْ
أَسَارِيرُهُ وَقَالَ لِي بَعْدَ أَنْ أَمْسَكَ كِتَابِي: إِلَى الْأَمَامِ ... كَانَ تَشْجِيعُهُ لِي يَغْنِي لِي
الْكَثِيرَ، كُنْتُ أَجِدُ شَوْقًا حِينَ أَصِلُ الرِّيَاضَ؛ لِأَنِّي سَأَلْتَيْهِ وَأَنْسَ بِمَجْلِسِهِ وَطِيبِ
كَلَامِهِ.

يَا مُوقِدَ النَّارِ يُذَكِّهَهَا وَيُخَمِّدُهَا قُرُّ الشِّتَاءِ بِأَزْيَاحٍ وَأَمْطَارٍ
فَمُ فَاصْطَلِ النَّارَ مِنْ قَلْبِي مُضَرَّمَةً فَالشَّوْقُ يُضْرِمُهَا يَا مُوقِدَ النَّارِ

مِنْ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ تُوفِّي خَالِي سُعُودٌ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَمْ يُرْزَقْ بِذُرِّيَّةٍ، فَكَانَ خَالِي
عَبْدُ اللَّهِ يُحْسِنُ إِلَيْهِ كَثِيرًا بَعْدَ وَفَاتِهِ بِالْدُّعَاءِ لَهُ وَالصَّدَقَةِ عَنْهُ، وَيُوصِي أَوْلَادَهُ
بِذَلِكَ، قَالَ لَهُمْ ذَاتَ مَرَّةٍ: وَاللَّهِ إِنِّي مَا سَجَدْتُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا دَعَوْتُ لِوَالِدِي ثُمَّ
لِعَمَّكُمْ سُعُودٍ، لِأَنِّي أَعْلَمُ بِأَنَّهُ مَا وَرَاءَهُ أَحَدٌ يَدْعُو لَهُ.

قَالَ أَحَدُ زُمَلَانِهِ فِي الْعَمَلِ: كَانَ أَبُو جَمَالٍ فَرِيدًا فِي أَمَانَتِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَمَسْئُولِيَّتِهِ،
بَلْ وَيُعَامِلُنَا مِثْلَ أَبْنَائِهِ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ يَرْفُضُ أَيَّ إِجَازَةٍ خَارِجِيَّةٍ يُقَدِّمُهَا لَهُ أَيُّ شَابٍّ مُوظَّفٍ
غَيْرِ مُتَزَوِّجٍ؛ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الْفُسَادِ، فَكُنَّا نَلُومُهُ حِينَهَا، وَنَقُولُ: هِيَ إِجَازَةٌ نِظَامِيَّةٌ.
فَيَقُولُ: مِنْ جِهَتِي لَا أُوَافِقُ عَلَيْهَا، لِمَاذَا تُسَافِرُ وَحَدَكَ لِلْخَارِجِ؟ تَزَوِّجْ وَأَبْشُرْ.

يَقُولُ أَحَدُ جِيرَانِهِ: خَرَجْتُ مِنْ مَسْجِدِ الْحَيِّ بَعْدَ الظُّهْرِ، وَجَاءَنِي عُمَالُ
النَّظَافَةِ يَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَنَا لِلصَّلَاةِ عَلَى أَبِي جَمَالٍ -وَكَانَ سَيُصَلِّي عَلَيْهِ
بِنَفْسِ الْيَوْمِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي جَامِعِ الرَّاجِحِيِّ- فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ، وَمِنْ
إِحْسَانِهِ الَّذِي عَرَفْنَا بَعْدَ وَفَاتِهِ أَنَّهُ كَانَ يَتَكَفَّلُ بِإِفْطَارِهِمْ كُلِّ صَبَاحٍ، وَكَانَ حَرِيصًا

عَلَى إِخْفَاءِ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ حَتَّى عَنْ أَوْلَادِهِ.

يُخْفِي صَنَائِعَهُ وَاللَّهُ يُظْهِرُهَا إِنَّ الْجَمِيلَ إِذَا أَخْفَيْتَهُ ظَهَرَ

يَقُولُ صِهْرُهُ مَاجِدُ الْبَشِيرُ: فِي كُلِّ عَامٍ كَانَ أَبُو جَمَالٍ يَتَعَاهَدُ عَجُوزًا عِنْدَنَا مُحْتَاجَةً فِي جَدَّةٍ، وَيُرْسِلُ لَهَا مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ وَبِطَاقَاتٍ مَدْفُوعَةٍ لِأَسْوَاقِ الْعُثِيمِ. لَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يُحْسِبُ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ، فَفِي سَنَةٍ وَفَاتِهِ عَجَلَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِ وَصَدَقَاتِهِ لِمَنْ يَتَعَاهَدُهُمْ كُلَّ سَنَةٍ وَجَدَّدَ وَصِيَّتَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَيَّامٍ.

وَرِثَ عَنْ أَبِيهِ أَرْضًا، وَكَانَ مِنْ سَمَاحَةِ نَفْسِهِ إِذْنُهُ لِلنَّاسِ أَنْ يَخْفِرُوا فِيهَا آبَارًا لَهُمْ، يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ تَكُونَ صَدَقَةٌ لَوَالِدَيْهِ، رَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ، بَلْ بَلَغَ مِنْ كَرَمِهِ أَنَّهُ حِينَ رَجَعَ مِنْ أَمْرِيكَ وَاشْتَرَى أَرْضًا فِي مَدِينَةِ الرِّيَاضِ وَخَطَّطَهَا لِبَنِيهَا عَلَى أَحَدِ طَرَاظٍ، وَحِينَ عَلِمَ بِحَاجَةِ أَحَدِ قَرَابَتِهِ لِلسَّكَنِ أَعْطَاهُ نِصْفَ الْأَرْضِ وَبِلَا ثَمَنِ وَرَضِي أَنْ يَسْكُنَ النِّصْفَ الْبَاقِي وَقَدْ كَانَ، فَهَلْ يَفْعَلُ هَذَا إِلَّا النَّادِرُ مِنَ الرِّجَالِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

مُتَفَرِّعٌ مِنْ دَوْحَةٍ كَمْ أَنْجَبَتْ مِنْ أَرْوَاعٍ حُرٍّ كَرِيمٍ مَاجِدٍ
أَثَارُهُمْ يَرَوِي الزَّمَانُ حَدِيثَهَا وَهُوَ الصَّحِيحُ وَمَا لَهَا مِنْ جَاحِدٍ
وَرِثُوا السَّمَاحَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ وَالْأَلَمْعِيَّةَ طَارِفًا عَنْ تَالِدٍ

كَانَ مِنْ دُعَائِهِ (اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَنِّي حَدَّ قُوَّةٍ مِنْ ضَعْفِهِ) أَيُّ: أَمُوتُ وَأَنَا لَا أَحْتَاجُ أَحَدًا وَلَسْتُ عَالَةً عَلَى أَحَدٍ، وَكَانَ لَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا حَتَّى أَوْلَادُهُ، وَإِذَا أَرَادُوا بَرَّهُ مَثَلًا بِشِرَاءِ جِهَازٍ طِبِّيٍّ لَهُ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ كَانَ يَرُدُّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَيَشْتَرِي بِمَالِهِ.

أُصِيبَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي بَدَنِهِ بِأَمْرَاضٍ كَثِيرَةٍ - جَعَلَهَا اللَّهُ كَفَّارَةً لَهُ - فَلَا يَأْتِيهِ مَرَضٌ إِلَّا وَتُنْسِي شِدَّتَهُ مَا قَبْلَهُ، بِدَايَةٍ مِنَ الْجَلْطَةِ الَّتِي أَعْقَبَتْ أَمْرَاضَ الْقَلْبِ الَّتِي أُصِيبَ بِهَا عَامَ ١٤١٨ هـ وَفِي السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الرُّومَاتِزِمِ وَتَلَيُّفِ الرِّثَّةِ، وَسَرَطَانِ الْجِلْدِ فَضْلًا عَنِ السُّكْرِيِّ وَالضَّغْطِ وَأَمْرَاضِ كِبَرِ السِّنِّ.

بَعْدَ دُخُولِهِ الْأَخِيرِ لِلْمُسْتَشْفَى كَانَ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ لَنْ يَخْرُجَ، نَقَصَ عِنْدَهُ الْأُكْسِجِينُ، وَكَانَ يَتَنَفَّسُ بِصُعُوبَةٍ، فَطَلَبَ مِنْ أَوْلَادِهِ الْحُضُورَ حَتَّى مِنْ خَارِجِ الرِّيَاضِ؛ لِئَوْصِيَهُمْ، وَكَانَ لَا يَفْعَلُ هَذَا فِي تَنْوِيمَاتِهِ السَّابِقَةِ.

كَانَ يَغِيبُ عَنِ الْوُعْيِ وَيَضْحُو، فَإِذَا صَحَى انْتَبَهَ وَكَانَ هَمُّهُ الصَّلَاةَ، فَيَتِمِّمُ وَيُصَلِّي الْفَرِيضَةَ، ثُمَّ يُصَلِّي السُّنَنَ الرَّوَاطِبَ وَيُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَيَتَشَهَّدُ كَثِيرًا.

كَانَ يَشْعُرُ بِدُنُو أَجَلِهِ، وَفِي آخِرِ صَحْوَةٍ لَهُ كَانَ يَشْرُقُ بِالْأَدْوِيَةِ الَّتِي يُعْطَاهَا، فَيَقُولُ: (خَلَاصٌ مَا عَادَ هِيَ نَافِعَةٌ!) يَقُولُ هَذَا بِابْتِسَامَةٍ عَجِيبَةٍ وَبِيقِينٍ كَبِيرٍ، حَتَّى إِنَّ الْمَمْرُضَةَ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَحْقِنَ لَهُ الْأَدْوِيَةَ فِي الْوَرِيدِ يَقُولُ: (لَا تَتَعَبْ نَفْسَهَا مَا عَادَ نَافِعَ شَيْءٍ)، وَقَبْلَ غِيَابِهِ الْأَخِيرِ عَنِ الْوُعْيِ نَطَقَ شَهَادَةَ التَّوْحِيدِ، ثُمَّ ابْتَسَمَ وَنَامَ، وَلَمْ يَضْحُ بَعْدَهَا رَحِمَهُ اللَّهُ.

تُوفِيَ بِالرِّيَاضِ عَصْرَ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ٢٧ رَجَبِ ١٤٤٠ هـ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي جَامِعِ الرَّاجِحِيِّ بِالرِّيَاضِ وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ النَّسِيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَكَانَتْ جَنَازَةُ مَشْهُودَةً وَالْجَمِيعُ يُثْنِي خَيْرًا وَيَدْعُو لَهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ.

لِيَهْنَكَ مَا رَأَيْنَا مِنْ شُهُودٍ بِأَرْضِ اللَّهِ كُلُّهُمْ ثَنَاءً

أَوْصَى الْجَمِيعَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ وَبِالصَّلَاةِ جَمَاعَةً، وَأَوْصَى أَهْلَهُ وَبَنَاتِهِ بِالْحِجَابِ وَالسُّتْرِ وَالِاخْتِشَامِ وَكَانَ يَقُولُ وَيُكْرِّرُ دَائِمًا: إِنَّ جَمَالَ الْمَرْأَةِ فِي سِتْرِهَا وَحِشْمَتِهَا، وَكَانَ يُوصِي بِنَاتِهِ خَيْرًا لَا سِيمَا الصَّغَارَ مِنْهُنَّ، وَسَأْنَقُلُ لِلْفَائِدَةِ مَا يَصْلُحُ نَشْرُهُ مِنْ وَصِيَّتِهِ الَّتِي كَتَبَهَا فِي ١٢ رَجَبَ ١٤٤٠ هـ أَيَّ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِأُسْبُوعَيْنِ وَالتَّيَّ أَمَرَ أَنْ تُفْتَحَ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَكَانَهَا وَصِيَّةً لَنَا جَمِيعًا، أَرْجُو أَنْ يَكُونَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا، أَوْصَى أَنْ يَكُونَ رِيعَ بَعْضِ أَمْلَاكِهِ وَقَفًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَقَالَ فِي رِسَالَتِهِ:

أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَى الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، حَافِظُوا عَلَى الصَّلَاةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَادْعُوا لِي بِالْمَغْفِرَةِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ، وَأَوْصِي بَنَاتِي وَأُمَّهَاتِهِنَّ بِتَقْوَى اللَّهِ وَبِالْحِشْمَةِ وَالسُّتْرِ وَاللَّبَاسِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْحِجَابِ، وَلَا يَنْظُرْنَ إِلَى مَا يُقَالُ وَيُشَاعُ فِي الْمَوْضِعِ الَّتِي تُخْرُجُ الْمُسْلِمَةُ مِنْ دِينِهَا وَعِفَّتِهَا، وَسِتْرِهَا وَحِجَابِهَا.

أَبِي يَا أَبِي .. إِنَّ تَارِيخَ طِيبٍ

وَرَاءَكَ يَمْشِي، فَلَا تَعْتَبِ ..

عَلَى اسْمِكَ نَمْضِي، فَمِنْ طِيبٍ

شَهِي الْمَجَانِي، إِلَى أَطِيبٍ

كَانَتْ هَذِهِ نَفْثَةُ مَضْدُورٍ، وَأَنَّهُ مَقْرُورٍ، وَبِطَاقَةٍ تَعْرِيفٍ بَسِيطَةٍ وَفَاءً لَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ فَاتَنِي الْكَثِيرُ الْكَثِيرُ، لَكِنْ لَعَلَّ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ سَلَوَى لِي وَلَا مُيَّ وَلَا هِلَهَ وَلِمَنْ يُحِبُّ أَنْ يَتَأَسَّى بِالصَّالِحِينَ. اللَّهُمَّ ارْحَمْ خَالِي رَحْمَةً وَاسِعَةً، اللَّهُمَّ وَسَّعْ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ، وَاجْعَلْهُ مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلَهُ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ... آمِينَ .

قُلْتُ أَرْثِيهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

حَيَاتُكَ بَلَسَمٌ فِي كُلِّ بَابٍ
وَفَقْدُكَ هَدَنِي وَأَبَانَ ضَعْفِي
وَيَتْرُكُنِي أَعْثَرُ ثُمَّ أَكْبُو
سَقَانِي مِنْ كُؤُوسِ الْمَوْتِ صَابًا
أَيَا خَالِي وَيَا أَبَتِي وَيَا مَنْ
زَرَعْتَ لِي الْمَحَبَّةَ مِنْ قَدِيمٍ
بَنَيْتَ بِدَاخِلِي وُدًّا عَظِيمًا
تَمُرُّ بِي الْأَهْلَةُ مُسْرَعَاتٍ
وَأَرْشَفُ مِنْ مَعَانِي الْفَقْدِ صَبْرًا
وَأُبْصِرُ فِي السَّمَاءِ مُزُونٌ غَيْثٍ
تَكْسِرُ كُلُّ أَغْصَانِي بِبُطْءٍ
فَيَا دَمْعًا تَعَالَ فَإِنَّ مَا بِي
وَأَمْطِرُوا كِفَافًا لَعْلَ نَارًا
فَيَوْمَ رَحِيلِكُمْ مَا زَالَ ذِكْرِي
وَمِمَّا هَالَنِي فِي الْحُزْنِ بُعْدِي
يُعَذِّبُنِي الْفِرَاقُ وَلَيْتَ شِعْرِي
أَعَزِّي فِيكَ أُمِّي وَهِيَ أَدْرَى
أَعَزِّي فِيكَ أَوْلَادًا كِرَامًا
أَعَزِّي فِيكَ جِيرَانًا وَأَهْلًا
أَعَزِّي فِيكَ أَيَّتَامًا وَجَوْعَى

وَفَضْلُكَ لَا يَتَرَجَّمُهُ كِتَابِي
وَكَسَرَ فِي لَطَى الصَّخْرَا قِرَابِي
وَيَمْلَأُ بِالْحَصَى الْحَامِي جِرَابِي
وَنَحْوَ سَحِيقِ أَحْزَانِي هَوَى بِي
لَهُ قَلْبٌ كَصَافِيَةِ السَّحَابِ
زَمَانَ طُفُولَتِي وَلَدَى شَبَابِي
وَحُبُّكَ قَدْ لَبَسْتُ بِهِ ثِيَابِي
بِدُونِكَ وَالْحَنَائِي فِي الْتِهَابِ
فَتَغْدُو رُؤْيَتِي مِثْلَ الضَّبَابِ
فَتَكْذِبُنِي بِأَخِيلَةٍ خَلَابِ
وَلَا يَصْفُو طَعَامِي أَوْ شَرَابِي
سِهَامٌ قَطَعْتَنِي بَلْ حِرَابِ
سَتُطْفِئُهَا الدُّمُوعُ عَلَى انْسِكَابِ
كَأَنِّي فِيهِ فِي مَوْجِ عُبَابِ
أُقَاسِي فِيهِ مَعَ أَلْمِي اغْتِرَابِي
بِلَوَعَاتِ الذَّهَابِ بِلَا إِيَابِ
بِطْعَمِ الْفَقْدِ يَا عَالِ الْجَنَابِ
لَهُمْ مِنْ سَمْتِكُمْ أَوْفَى نِصَابِ
وَمَلْهُوْفًا تَمَزَّقَ فِي عَذَابِ
رَأَوَانِي مَوْتَكُمْ يَوْمَ اضْطِرَابِ

وَصُورًا مَا قُطِعَتْ وَإِنْ أَسَاؤًا
كَرِيمًا بَاذِلًا جَاهًا وَمَالًا
مُصَابِي فِيكَ يَا خَالِي عَظِيمٌ
فَإِنَّا لِلَّهِ وَكُلُّ شَيْءٍ

وَفِي قَوْلِ الْحَقِيقَةِ لَمْ تُحَابِ
لِكَشْفِ كَرِيهَةِ وَلَسَدِّ بَابِ
وَأَرْجُو اللَّهَ صَبْرِي وَاحْتِسَابِي
إِلَى اللَّهِ الرَّحِيمِ لَذُو مَابِ

اسكوتلندا - المملكة المتحدة

٩ شعبان ١٤٤٠هـ / ١٤ أبريل ٢٠١٩م



شَكْوَتُ فِرَاقِهِ

شَكْوَتُ فِرَاقِهِ فَازْدَادَ هَجْرِي
سَكَبْنَا دَمْعَنَا صِدْقًا لِمَعْنَى
فَأَخَى بِالْوُدَادِ مُرَافِقِيهِ
يُدَاهِنُ نَمَّ يُلْجِمُهُ حَيَاءُ
عَجِيبُ أَمْرُهُ مَاذَا دَهَاهُ؟!

وَذَابَ الْقَلْبُ مِنْ أَيَّامِ صَبْرِي
بِأَنْ يَبْقَى وَفِيًّا .. لَسْتُ أَدْرِي
وَوَاعَدَهُمْ وَأَخْلَفَنِي لِأَمْرِي
كَأَنَّا مُبْتَلَيْنِ بِدَارِ كُفْرٍ
أَيَا صَلْنِي إِذَا وُسِّدَتْ قَبْرِي؟!



طِفْلَةُ الْمَسْرَى رَبِّي

غُرَّةُ شَوَال ١٤٢٨ هـ

الْيَوْمَ عِيدٌ ... !!

فِي كُوخِ قَرْيَتِنَا الصَّغِيرَةِ

هَتَفَ الْمُنَادِي:

إِنَّ هَذَا الْيَوْمَ عِيدٌ ...

مَا أَجْمَلَ الْعِيدَ السَّعِيدَ !!

لَمَّا تَجَمَّعَ شَمْلُ أُسْرَتِنَا

الطَّرِيدَةِ

وَتَقَشَّعَتْ تِلْكَ الْغُيُومَ

وَجَاءَنِي أَهْلِي

بِأَنْوَابِي الْجَدِيدَةِ

وَتَزَيَّنَتْ شَمْسُ الْمَحَبَّةِ بِالضِّيَاءِ

وَالْأَرْضُ خَضِرَاءُ تُعَانِقُهَا السَّمَاءُ

هَذَا هُوَ الْعِيدُ السَّعِيدُ !!!

وَالْيَوْمَ لَا عِيدَ سَعِيدٍ !!

وَعَدًا سَيَأْتِي مِثْلُهُ لَكِنِّي

مَا زِلْتُ أَشْرَبُ لَوْعَتِي
 وَتُذِينِي كَأْسُ الْهَمُومِ بِدَمْعَتِي
 وَالْعِيدُ لَنْ يَأْتِيَ عَلَيَّ بِفَرْحَتِي
 وَأَنَا أَنَامُ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ حَدِيدٍ
 وَطُفُولَتِي مَسْلُوبَةٌ مِنْذُ الْقَدَمِ
 وَدِمَاؤُنَا مَسْفُوكَةٌ بَيْنَ الْأُمَمِ
 وَتَظَلُّ تَعْرِفُ يَا بَلِيدُ!!
 وَتَقُولُ هَذَا الْيَوْمَ عِيدٌ؟!!
 تَسَابِقُ الْأَيَّامِ وَالْحُزْنَ انْتَضَى
 سَيْفًا يَمَانِيًا...!!
 يُمَزِّقُ كُلَّ أَحْلَامِي الْجَمِيلَةِ!!
 وَيَشُقُّ صَدْرِي نَازِعًا
 حُلْمَ الْحَيَاةِ الْمُسْتَحِيلَةِ!!
 وَاهَا لِقَوْمِي!!
 قَدْ تَحَطَّمَتِ الْجِبَاهُ...
 وَتَصَعَّلَكَتْ كُلُّ الْقَبِيلَةِ...
 وَأَنَا الْأَسِيرَةُ وَالْقَتِيلَةُ..

أَصْحُو وَلَا أَجِدُ الطَّعَامَ وَلَا الْغِطَاءَ
 وَعَدَوْتُ أَفْتَرِشُ الطَّرِيقَ
 وَظَلَلْتُ أَلْتَحِفُ السَّمَاءَ!!
 عُدْ أَيُّهَا الْمَاضِي كَفَجَرٍ فَوْقَ أَرْضٍ مِنْ جَلِيدٍ
 عُدْ إِنِّي أَحْنُو إِلَى اللَّقِيَا ...
 إِلَى الْمَجْدِ التَّلِيدِ ...
 فَوْقَ الْجِبَالِ الشَّمِ
 أَشْرِقَ مِنْ جَدِيدٍ!!
 فَسَأَلْتُهَا مَنْ أَنْتِ؟ قَالَتْ لِي: رَبِّي
 وَوُلِدْتُ فِي حِينَا عَلَى تِلْكَ الرَّبِّي
 فَهُنَاكَ أَحْيَا مِنْ سِنِينَ
 وَالْآنَ لَا مَأْوَى ..
 وَلَنْ تُغْنِي خِيَامُ اللَّاجِينَ
 فَأَبِي يُعَذِّبُهُ الْيَهُودُ وَلَنْ أَرَاهُ إِلَى الْأَبَدِ
 وَالْأُمُّ قَدْ مَاتَتْ فَكُلُّ حَيَاتِهَا كَانَتْ كَبَدٍ
 فَبَائِي عِيدِ أَبْتَهَجِ؟!
 وَلَائِي عِيدِ أَسْتَعِدْ؟!

وَأَنَا شَتَاتٌ مِنْ شَتَاتِ الْمُبْعَدِينَ
أَنَا طِفْلَةُ الْمَسْرَى وَلَنْ تُغْنِي دُمُوعِي!!
فَالْكُلُّ أَنْكَرَنِي وَمَا أَطْعَمَ جُوعِي!!
فَحَيَاتُنَا صَارَتْ رُكَّام
لَمَّا رَضِينَا بِالسَّلَام!!
وَالْكُلُّ مَا يَنْغِي رُجُوعِي
يَا أُمَّتِي مَا الْعِيدُ عِيد!!
فَالْعِيدُ قَدْ عَادَتْ بِهِ الذِّكْرَى الْحَزِينَةُ
مِنْ جَدِيد!!
وَتَبَعَثَتْ أَوْرَاقُ مِجْبَرَتِي
لَأَكْتُبَ حَسْرَتِي!!
وَأَنَا تُفَارِقُنِي السَّكِينَةُ
وَبَقِيتُ فِي لُجَجِ الظَّلَامِ مُكَبَّلًا
وَكَاثَنِي أَمْضِي الْمُحِيطَ بِلَا سَفِينَةٍ
عَفْوًا رَبِّي!!
فَالْكُلُّ يَغْفُو!!
وَالْكُلُّ قَدْ أَلَفَ السُّبَات

وَلَيْسَ يَضْحُو!!
 وَالزَّهْرُ مُضْفَرٌ كَأَوْرَاقِ الْخَرِيفِ
 وَلَيْسَ يَزْهُو!!
 فَالْحَيِّ قَدْ مَاتَتْ بِهِ كُلُّ الْحَيَاةِ
 وَتَعَطَّلَتْ مِنْهُ الشِّفَاةُ
 وَالْكُلُّ يَخْضَعُ كَالْعَبِيدِ
 وَنَقُولُ هَذَا الْيَوْمَ عِيد!!
 عُدْ أَيُّهَا الْعِيدُ السَّعِيدُ وَلَا تَعُدْ
 إِلَّا عَلَى أَرْضٍ سَيَسْقِيهَا الشَّهِيدُ
 مِنَ الدِّمَاءِ!!
 فَهَنَّاكَ يُشْرِقُ عِيدُنَا!!
 وَهَنَّاكَ يُكْسِرُ قِيدُنَا!!
 وَتُضِيءُ أَحْيَاءُ الْمَدِينَةِ بِالسَّنَاءِ
 فَالْحَيِّ مَرْجِعُهُ الْبَلَى إِلَّا الشَّهِيدُ إِلَّا الشَّهِيدُ



بَصْرَاةُ "الْوَضْعِ مَا يُطْمَنُ!!"

قَرَأْتُ لِأَحَدِ الْأَعْيَانِ هَذِهِ التَّغْرِيدَةَ "الْوَضْعُ مَا يُطْمَنُ" كَذَا، وَبِدُونِ تَوْضِيحٍ، وَبَعْدَ مُحَاوَلَاتٍ لِفَكِّ رُمُوزِ التَّغْرِيدَةِ مِنْ خِلَالِ تَتَبُّعِ السِّيَاقِ وَالتَّعْلِيلَاتِ، تَبَيَّنَ أَنَّهُ يَقْصِدُ مَبَارَاةَ لِكْرَةِ الْقَدَمِ!! لَنْ أَنْزِعَ الْحَدَثَ مِنْ سِيَاقِهِ وَأَنْتَقِدَهُ، فَهَذِهِ لَيْسَتْ طَرِيقَةُ أَهْلِ الْإِنْصَافِ؛ بَلْ سَأَجْعَلُهُ فِي سِيَاقِهِ وَأَعْلَقُ عَلَيْهِ.

إِنَّ الْعِبَادَةَ -وَهِيَ عِبَادَةٌ- إِذَا غَالَى فِيهَا الْمُتَعَبِّدُ، وَتَعَدَّى فِيهَا حُدُودَ الشَّرْعِ، صَارَتْ أَمْرًا مُبْتَدَعًا لَا يُقَرُّهُ كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ، فَمَا بَالُ بَعْضِ النَّاسِ غَالَى فِي لُغَبَةِ كُرَةِ الْقَدَمِ؟! مُتَابَعَةٌ وَتَشْجِيعًا، وَتَحْلِيلًا، وَتَهْنِئَةً، وَتَعْزِيزَةً، حَتَّى اسْتَنْزَفَتِ الْعُقُولُ إِلَى دَرَكِ سَحِيقٍ مِنَ الْغَثَائِثِ!! وَسُومَ تَصِلُ إِلَى الْعَالَمِيَّةِ وَسَقَفُ الْإِهْتِمَامِ فِي الْخَلِيجِ وَبِلَادِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ مَبَارَاةَ لِكْرَةِ الْقَدَمِ!! وَالْقَضَايَا الْكُبْرَى وَالْأَهَمُّ مَنْسِيَّةٌ وَمُهْمَلَةٌ!! وَلَيْتَ هَذَا الْإِهْتِمَامَ يَبْدَأُ مَعَ الْمَبَارَاةِ وَيَنْتَهِي مَعَ نَهَائِثِهَا، بَلْ إِنَّهُ يَسْبِقُهَا وَيَلْحَقُهَا، كَالسَّلْسِلَةِ الْمُتَعَاكِبَةِ، وَكَالْحَالِ الْمُرْتَحِلِ، وَمُؤَالَاةٌ وَمُعَادَاةٌ، وَانْتِصَارَاتٌ وَهَمِيَّةٌ، وَقُدُورَاتٌ زَائِفَةٌ، وَهُجُومٌ وَدِفَاعٌ، بَلْ وَخُصُومَاتٌ تَشْتَعِلُ بِهَا الْبُيُوتُ وَالْمَجَالِسُ وَالْمَجْمُوعَاتُ، وَوَسَائِلُ التَّوَاصُلِ، وَصَلَتْ إِلَى حَدِّ التَّقَاضِي فِي الْمَحَاكِمِ، وَلَمْ يَتَوَقَّفِ الْأَمْرُ عَلَى الذُّكُورِ بَلْ وَجَدْنَا مِنَ النِّسَاءِ مَنْ خَلَعَتِ الْحَيَاءَ وَصَارَتْ عَاشِقَةً لِذَاكَ اللَّاعِبِ جَامِعَةٍ لِصُورِهِ!! وَمَا أَكْثَرُهُنَّ فِيمَا نَقَرَأُ وَنَسْمَعُ وَنَرَى!!

أُنَاسٌ بَيْنَنَا مِمَّنْ يُفْتَرَضُ أَنَّهُمْ وَصَلُوا إِلَى سِنِّ النَّضْجِ الْعَقْلِيِّ تَحَمَّرُ أَعْيُنُهُمْ وَتَتَفَخَّخُ أَوْدَاجُهُمْ بِسَبَبِ حَكَمِ الْمَبَارَاةِ، وَأَنَّهُ أَضَاعَ رَكْلَةً جَزَاءً لِفَرِيقِهِمْ، وَآخَرُونَ يَنْقَلِبُونَ وَحُوشًا عَلَى أَهْلِيهِمْ وَأَطْفَالِهِمْ وَمَنْ حَوْلَهُمْ بِسَبَبِ خُسَارَةِ الْفَرِيقِ الْمُظْفَرِّ لِإِلْحَادِي جَوْلَاتِهِ وَمَعَارِكِهِ!!

فَوَا أَسْفَاهُ عَلَى تِلْكَ الرُّؤُوسِ!!

وَأَتَعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تُحْيِيهِ وَأَغِيظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لَا تُشَاكِلُ

هَذَا كُلُّهُ فِي جَانِبٍ وَالتَّعَصُّبُ الْأَعْمَى فِي جَانِبٍ آخَرَ، وَيَتَّبِعُهُ سَيْلُ الشَّتَائِمِ،
وَاللَّعَائِنِ لِذَلِكَ اللَّاعِبِ أَوْ الْحَكَمِ أَوْ الْمُدْرَبِ أَوْ الْمُحَلِّلِ أَوْ الْمُقَدِّمِ، وَيَتَعَدَّى
اللَّعْنُ حَتَّى يَنَالَ الْأَبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ!!

أَذْكُرُ مَرَّةً كُنْتُ فِي أَحَدِ مَطَاعِمِ مَانَشِسْتَرِ الْعَرَبِيَّةِ، وَصَادَفَ ذَلِكَ مُبَارَاةً
لِفَرِيقَيْنِ عَالَمِيَّيْنِ شَهِيرَيْنِ، صَبَرْتُ أَوَّلَ الْأَمْرِ وَتَصَبَّرْتُ عَلَى مَا أَسْمَعُ وَأَرَى، لَكِنْ
لَمْ أَسْتَطِعْ، صِرْتُ أَتَجَرَّعُ طَعَامِي وَلَا أُسِيغُهُ، لَقَدْ أَصْبَحَ الشَّبَابُ فِي حَالَةٍ مِنْ
هَسْتِيرِيَا الْعَفَنِ اللَّفْظِيِّ عَلَى أَيِّ كُرَّةٍ تُلْعَبُ، أَوْ فُرْصَةٍ تَضِيعُ، وَحِينَ أَنْكُرُ عَلَيْهِمْ
بِلُطْفٍ، وَأُبَيِّنُ لَهُمْ أَنْ يُعْطُوا الْمَوْضُوعَ حَجْمَهُ يَعْتَذِرُونَ، لَكِنْ سَرَّعَانَ مَا يَعُودُونَ
لِمَا نُهُوا عَنْهُ!! وَكَانَتْهُمْ تَطَبَّعُوا بِذَلِكَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لَا يَرْعَوِي عَنْ غِيهِ وَخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ

فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ
وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ
أُمَّهُ»^(١).

وَرَوَى أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«الْمُسْتَبْتَانِ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ وَيَتَكَاذِبَانِ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٥٢٤)، والبخاري في (الأدب المفرد) (٤٢٧).

لَقَدْ فَعَلْتَ كُرَّةَ الْقَدَمِ بِالشَّبَابِ مَا تَفَعَّلُهُ الْخَمْرُ بِرُؤُوسِ السُّكَارَى، وَانْظُرُوا
إِلَى الدُّمُوعِ السَّاخِنَةِ، وَالصُّدُورِ الزَّاغِرَةِ بِسَبَبِ الرِّكَالَاتِ، أَحَدُهُمْ يَصْرُخُ بِحُرْقَةٍ:
إِلَى مَتَى؟، إِلَى مَتَى وَفَرِيقُنَا يَذُوقُ أَصْنَافَ الذَّلِّ وَالْهَوَانِ وَالْمَحْسُوبِيَّةِ الظَّالِمَةِ؟!
إِلَى مَتَى وَأَبْطَالُ فَرِيقِنَا يَتَعَرَّضُونَ لِلظُّلْمِ التَّحْكِيمِيِّ وَلِلْإِصَابَاتِ الرِّيَاضِيَّةِ؟!
أَقُولُ: بَلْ وَاللَّهِ (إِلَى مَتَى؟) تُهْدَرُ الْعُقُولُ وَالْجُهُودُ وَالْأَوْقَاتُ، وَتُرَاقُ الْأَمْوَالُ،
بَلِ الْأَعْمَارُ بَيْنَ أَرْجُلِ الْوَهْمِ، وَتُسْتَنْزَفُ الْأَحْلَامُ وَالْأَخْلَاقُ عَلَى لُغْبَةٍ؟!
وَإِلَى مَتَى تُصْنَعُ الْقُدَوَاتُ الْوَهْمِيَّةُ؟!

وَإِلَى مَتَى يَتَصَدَّرُ الْمَشْهَدَ عَوِيْرٌ وَكُسِيْرٌ وَثَالِثٌ مَا فِيهِ خَيْرٌ!!
أُمُورٌ يَضْحَكُ السُّفَهَاءُ مِنْهَا وَيَبْكِي مِنْ عَوَاقِبِهَا اللَّيْبُ
وَتَجِدُ لَهُؤُلَاءِ كُلِّ هَذِهِ الْحَمَاسَةِ وَالْجَلْدِ وَالْحُرْقَةِ وَالتَّأَزُّرِ فِي كُرَّةِ الْقَدَمِ،
وَمَعَ هَذَا تَرَاهُمْ صَفْرًا أَوْ يَكَادُونَ عَلَى مُسْتَوَى قَضَايَاهُمْ الْخَاصَّةِ وَإِنْجَازَاتِهِمْ
بِكُلِّ أَبْعَادِهَا، الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ وَالِدِّيْنِيَّةِ وَحَتَّى الرِّيَاضِيَّةِ، فَضْلًا عَنْ مَآسِي
الْمُسْلِمِينَ وَقَضَايَاهُمْ الْمَصِيرِيَّةِ، وَكَأَنَّ الْأَمْرَ لَا يَعْنِي هَؤُلَاءِ!!

أَلَيْسَ هَذَا مَرَضًا!!

أَلَيْسَ هَذَا اخْتِلَالًا فِي الْمَوَازِينِ!!

لِمَاذَا حِينَ أَصْفُهُ وَأَمْثَالِي نَتَّهَمُ بِالتَّشَدُّدِ وَالتَّنَطُّعِ!!

أَلَمْ يَتَقَرَّرْ لَدَيْنَا مَبْدَأٌ: مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ!!

أَلَيْسَتْ الْمُوَاسَاةُ مِنَ الْإِيمَانِ!!

اضْرِبْ بِرَجْلِكَ كَيَّ تَحُوزَ قَبُولًا وَتَكُونَ فِي هَذَا الزَّمَانِ جَلِيلًا
هَذَا زَمَانُ الرَّجُلِ لَا زَمَنُ الْحَجَا ذَبَلَتْ زُهُورُ ذَوِي الْعُقُولِ دُبُولًا
فَلَأَنْتَ مِنْ قَوْمٍ تَسْوَدُ فِيهِمْ اللَّاعِبُونَ رِيَاضَةً وَالضَّارِبُونَ طُبُولًا!

أُمَّةٌ مَهْزُومَةٌ حَتَّى حِينَمَا تَلْعَبُ تُهْزَمُ!! حَتَّى فِي التَّصْنِيفِ الْعَالَمِيِّ الرِّيَاضِيِّ
بَعِيدَةً عَنِ الصَّدَارَةِ، وَمَعَ هَذَا يَفْرَحُونَ بِأَيِّ انْتِصَارٍ، وَبِأَيِّ تَأْهَلٍ، وَيَكْتُبُونَ الْأَشْعَارَ
وَالْمُعَلَّقَاتِ، وَيَعْقِدُونَ النَّدَوَاتِ وَالْبَرَامِجَ؛ تَسْطِيرًا لِلْمَلَا حِمِّ الْكُرْوِيَّةِ، وَتَخْلِيدًا
لِلْأَمْجَادِ التَّلِيدَةِ، وَيَحْتَفِلُونَ وَيُذَيِّدُونَ الْأَمْوَالَ فِي مَشْهَدٍ لَا يَمُتُ - وَلَوْ مِنْ بَعِيدٍ -
إِلَى الْمَعْرُوفِ بِصِلَةٍ.

وَلَوْ أَنْفَقَ عَلَى الْبُحُوثِ الْعِلْمِيَّةِ عَشْرُ مِئَاتِ الْجُهْدِ وَالْمَالِ، وَالْإِعْلَامِ،
وَالْوَقْتِ الَّذِي يُنْفَقُ عَلَى هَذَا السَّفَنِ الْكُرْوِيِّ لَكَانَ الْحَالُ غَيْرَ الْحَالِ.

أَهْلَكْتَ مَالَ اللَّهِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ عَلَى نَهْرِكَ الْمَشْؤُومِ غَيْرِ الْمُبَارَكِ

أَنَا لَا أَطْلُبُ الْمِثَالِيَّةَ الْمُسْتَحِيلَةَ، وَلَا أَنْ يَنْكَفِيَ النَّاسُ عَلَى الْمَحَارِيبِ رُكْعًا
وَسُجُودًا، نَاسِينَ نَصِيبَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا، بَلْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَصْعُقُوا الْأُمُورَ فِي حَجْمِهَا
وَسِيَاقِهَا، وَلَا يَنْسُوا نَصِيبَهُمْ مِنَ الْآخِرَةِ؛ لِتُسْتَقِيمَ الذَّائِقَةُ؛ وَيُكَفَّ الْأَذَى؛ وَتَكُونَ
الرِّيَاضَةُ تَرْبِيَةً لِلْعَقْلِ قَبْلَ الْجِسْمِ، لَكِنْ مَنْ يُتَابِعِ الْإِعْلَامَ الرِّيَاضِيَّ سَيِّمًا الْكُرْوِيِّ
مِنْهُ؛ وَمَا تُفَرِّزُهُ وَسَائِلُ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ حَقٌّ لَهُ أَنْ يَقُولَ: (بِصَرَّاحَةِ الْوَضْعِ مَا
يُطْمَنُ)؛ لِأَنَّهُ أَصْبَحَ مُقْرِفًا قَيْحًا؛ وَهَكَذَا بَعْضُ ثَمَارِ الْغُلُوِّ وَلَوْ فِي لُغَةٍ!!

لَعَلَّ عُتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ فَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْعِلَلِ

١٥ جمادى الأولى ١٤٤٠هـ / ٢١ / ٢٠١٩ م

اسكوتلندا

سَمَاحَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ

الْحُبُّ يَا شَيْخَنَا يُلْقَاكَ مَعَ قَلَمِي
 وَكَمْ تَمَنَيْتُ أَنْ أَحْظِيَ بِمَجْلِسِكُمْ
 عَبْدَ الْعَزِيزِ لَكُمْ فِي النَّاسِ مَنْزِلَةٌ
 وَصَلْتُ فِينَا حَبَالًا طَالَمَا قُطِعَتْ
 أَيْنَ التَّفَتُّ رَأَتْ عَيْنِي مَا ثَرَكُكُمْ
 وَكُنْتَ كَهْفًا لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَجْمَعِهِمْ
 بِالْجَاهِ وَالنَّفْسِ وَالْإِحْسَانِ كُنْتَ لَنَا
 مُتَيَّمٌ بِالنَّدَى مُذْ كُنْتَ يَا أَمَلًا
 حُزْتُ الْمَفَاخِرَ مَا كَلَّتْ عَزَائِمُكُمْ
 فَبَارَكَ اللَّهُ عُمْرًا كُنْتَ تَبْذُلُهُ
 بِالْبِرِّ مُشْتَمِلًا بِاللَّهِ مُعْتَصِمًا
 يَا شَيْخَنَا وَحُرُوفِي كُلُّهَا لَهْفٌ
 أَدْعُوا لَكَ اللَّهُ أَنْ يُعْطِيكَ جَنَّتَهُ

"بِهِ مَزَجْتُ مِدَادِي مُقْلَتِي بِدَمِي"
 "يَا خَيْرَ مَجْلِسٍ مَنْ تَسْعَى لَهُ قَدَمِي"
 بِهَا سَمَوْتَ سَحَابَ الْعِلْمِ وَالْكَرَمِ
 وَكُنْتَ فِي وَصْلِهَا الْحَانِي عَلَى الرَّحِمِ
 مَا ثَرُّ نَطَقَتْ فِي أَفْصَحِ الْكَلِمِ
 إِنَّ مَسَّهُمْ سَعَبُ اللَّأَوَاءِ بِالسَّقَمِ
 مِفْتَاحَ خَيْرٍ وَأَبَا وَاسِعَ الْحُلَمِ
 مُزْنَا تَسِيلُ وَتَسْقِي مُدْنَفًا وَظَمِي
 وَكُنْتَ قَائِدَهَا فِي ثَوْبِ مُعْتَصِمِ
 تُأْوِي الْيَتَامَى وَتَرْعَى حُرْمَةَ الذَّمِ
 مَنَاقِبُ كُتِبَتْ فِي لَوْحَةِ الْهِمَمِ
 مُشْتَاقَةٌ وَوِدَادِي غَيْرُ مُنْصَرِمِ
 وَأَنْ يُجَازِيكَ بِالْإِحْسَانِ وَالنَّعَمِ



مَنْ أَيُّ مَعْدِنٍ أَنْتَ؟ ^(١)

﴿قُرْأْ﴾ ^(٢) مَا أَعْظَمَ السَّرَّ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ جَاءَ أَوَّلَ التَّنْزِيلِ!، فَاسْتَنْهَضَ أُمَّةً تَغُطُّ فِي سُبَاتِهَا، تَارِكَةً مَنَاجِمَ الْعِلْمِ وَقِمَمَ الْمَعْرِفَةِ تَسْفِي عَلَىهَا الرِّيَّاحُ، فَبَعَثَ اللَّهُ الرَّسُولَ الْأُمِّيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ فَعَلَّمَهَا وَزَكَّاها ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ^(٣). فَكَانَ أَسَاسُ بُيَانِهَا ﴿قُرْأْ﴾ ^(٤) لِتَشِيدَ أَجَلَ حَضَارَةٍ عَرَفَتْهَا الْبَشَرِيَّةُ وَلِيَكُونَ الْأُمِّيُّونَ سَادَاتِ الْعُلُومِ وَمُتَرَزِّزِ الْفُنُونِ، فَهَلْ رَأَيْتُمْ إِعْجَازًا كَهَذَا؟ تَوَهَّجَ هَذَا الْأَمْرُ الرَّبَّانِيُّ مَعَ أُمَّتِنَا فِي الْعُصُورِ الْأُولَى يُذَكِّرُهَا إِذَا نَسِيَتْ، وَيُنَبِّهُهَا إِذَا غَفَلَتْ، وَيَحْدُو مَعَهَا إِذَا سَارَتْ، إِنَّ قِيَمَةَ الْمَرْءِ لَيْسَ فِي جَاهِهِ وَمَنْصِبِهِ، أَوْ مَجْدٍ وَرِثَةٍ، بَلْ فِي الْهَمِّ الَّذِي يَعِيشُ مِنْ أَجْلِهِ، وَالْغَايَةِ الَّتِي يَسْعَى لَهَا سَعْيُهَا:

آثَارُهُ بَعْدَ الْمَوَاتِ حَيَاتُهُ إِنَّ الْخُلُودَ الْحَقَّ بِالْآثَارِ

لَيْسَتْ الْقَضِيَّةُ أَنْ تَعِيشَ لِهَدَفٍ بِقَدْرِ الْقِيَمَةِ الَّتِي تَنْشُدُهَا فِيهِ، وَمَنْ عَرَفَ قِيَمَةَ مَا يَطْلُبُ هَانَ عَلَيْهِ فِيهِ مَا يَبْدُلُ:

وَمَنْ تَكُنِ الْعُلَيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبٌ

فَالنَّاسُ بِالْهِمَمِ يُعْرِفُونَ، وَعَنَاوِينُ حَيَاتِهِمْ كُتِبَتْ بِمِدَادِ تِلْكَ الْغَايَاتِ، وَبِهَا تُعْرَفُ مَعَادِيهِمْ، وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ (النَّاسُ مَعَادِنٌ) ^(٥) وَمُرَادُ الْأَمْرِ -بَعْدَ تَوْفِيقِ

(١) فازت هذه المقالة بالجائزة الأولى على مستوى مدينة الدمام في المسابقة التي أجراها مركز منار الهدى.

(٢) [سورة العلق: آية ١].

(٣) [سورة الجمعة: آية ٢].

(٤) [سورة العلق: آية ١].

(٥) رواه البخاري ٣٣٥٣ ومسلم ٢٣٧٨.

اللَّهِ - إِلَى الْهَمَّةِ وَالْإِطْلَاعِ، فَمِنَ النَّاسِ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالنَّحَاسُ وَالْحَدِيدُ، وَمَا تَوَهَّجَ أَحَدٌ فَانْتَفَعَ وَنَفَعَ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَالْقِرَاءَةِ وَتَطَلُّبِ الْحِكْمِ فِي مَظَانِّهَا، فَمَنْ ضَرَبَ بَعْطَنٍ، وَأَخَذَ بِحِطٍّ وَافِرٍ فَلَنْ تَجِدَهُ إِلَّا ضَنِينًا بِوَقْتِهِ، وَمَا أَكْرَمَ مَنْ يَخْلُ بِوَقْتِهِ أَنْ يَضِيعَ بِلَا فَائِدَةٍ يُقَيِّدُهَا أَوْ مَسْأَلَةٍ يُحَقِّقُهَا!! هُوَ لَا هُمْ الْمُرَابِطُونَ عَلَى خَطِّ النَّارِ فِي خَنَادِقِ الثُّغُورِ، يَنْفُونَ عَنِ الدِّينِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٤) (١)، وَمَنْ أَعْرَضَ وَثَنَى عِطْفِهِ فَلَنْ يُعْيِيكَ مَكَانُهُ فَهُوَ الْعَثَاءُ وَالْجِرَادُ الْمُتَشَشِرُ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨) (٢). فَتَسَاوَى النَّاسُ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ، وَتَمَازُوا فِي آخِرِهَا، فَإِنْ كَانَ الذَّوْقُ سَلِيمًا وَالْقِسْطُاسُ مُسْتَقِيمًا فَانْظُرْ حَالَكَ مَعَ الْقِرَاءَةِ وَتَسَعَّرْ أَيْ مَعْدَنَ أَنْتَ!! وَالنَّاظِرُ فِي وَاقِعِنَا عَلِمَ أَنَّ الْمُصَابَ قَدْ مَزَّقَ اللَّحْمَ وَهَشَّمَ الْعِظَمَ، لَمَّا انْتَقَلَ هَذَا الْأَمْرُ الرَّبَّانِي ﴿اقْرَأْ﴾ (٣) إِلَى فِعْلِ مَاضٍ مَبْنِيٍّ عَلَى الْخِذْلَانِ وَضَعْفِ الْهَمِّ، نَغْنَى بِأَمْجَادِ الْأَجْدَادِ وَسِعَةِ إِطْلَاعِهِمْ، وَقَعْدْنَا فِي شِعَابِ أَوْدِيَةِ التَّشْوِيفِ وَالْجِدَالِ وَالتَّرْفِ الْبَاذِخِ، وَأَطْفَانَا السَّرَاجِ، وَالطَّرِيقُ لَاحِبٌ، وَالْمَشَقَّةُ مُهْلِكَةٌ! ثُمَّ تَغْنَيْنَا بِأَمْجَادِ السَّالِفِينَ، وَكَأَنَّ الْأُمَّةَ عَقَمَتْ، وَالْإِبْدَاعَ خُتِمَتْ، وَالتَّمْيِيزُ مَفْقُودٌ، فَلِمَذَا لَا نَصِلُ الْمَجْدَ بِالْمَجْدِ وَالْعِلْمَ بِالْعِلْمِ؛ لِيَكْمُلَ النَّصَابُ وَتَجِبَ الزَّكَاةُ!!:

أَلْهَى بَنِي تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ قَصِيدَةً قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كُثُومٍ

(١) [سورة إبراهيم: آية ٢٤].

(٢) [سورة النحل: آية ٧٨].

(٣) [سورة العلق: آية ١].

حَقُّ لَنَا أَنْ نَفْخَرَ بِسَلَفِنَا الْأَوَائِلِ نَعَمْ ... لَكِنَّهُمْ وَلَجُوا بَوَابَةَ الْقِرَاءَةِ فَحَازُوا
السَّبْقَ، فَمَا بَالُنَا تَهَيَّئْتُ لَنَا السُّبُلَ وَاسْتَلَمْنَا بِطَقَاتِ الدَّعْوَةِ! ثُمَّ قَعَدْنَا بِالْأَبْوَابِ
كَالْمُسَوِّلِينَ الَّذِينَ يَقْتَاتُونَ عَلَى فُتَاتِ الطَّعَامِ!!؟

أُمُورٌ يَضْحَكُ السَّفَهَاءُ مِنْهَا وَيَبْكِي مِنْ عَوَاقِبِهَا اللَّيْبُ

إِنَّ مُسْتَقْبَلَ الْقِرَاءَةِ الْحَالِي لَنْ يَبْرَحَ مَكَانَهُ فِي ظِلِّ تَعَدُّدِ الْمُلْهِيَّاتِ وَالصَّوَارِفِ،
فَقَلَّةُ السَّالِكِينَ وَاضِحَةٌ (وَالنَّاسُ كَالْإِبِلِ الْمَائَةِ لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً) ^(١) إِلَّا إِذَا
نَهَضَ أَبْنَاؤُهُ بِهِمَّةٍ وَعَزِيمَةٍ، وَلَوْ حَرَّصُوا عَلَيْهَا كَحَرِّصِهِمْ عَلَى طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ
لَتَغَيَّرَ حَالُهُمْ، وَالْأَلْبِيرِيُّ يَقُولُ:

فَقُوتُ الرُّوحِ أَرْوَاحُ الْمَعَانِي وَلَيْسَ بِأَنْ طَعِمْتَ وَلَا شَرِبْتَ

أَيُّهَا الْمُسْتَقْبَلُ: خُذْ بِخِيُوطِ النُّورِ الَّتِي نَسَجَهَا أَسْلَافُنَا فِي الْمَاضِي لِتُجَلَّلَ بِهَا
﴿أَقْرَأُ﴾ ^(٢) مِنْ عَوَاصِفِ الشِّتَاءِ وَهَوَاجِرِ الصَّيْفِ، وَحِكْ لَنَا بِهَا حُلَّةً سَابِغَةً لِكُلِّ
الْعُلُومِ، وَلَا بَأْسَ بِالْإِسْبَالِ هُنَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ^(٣).



(١) أخرجه البخاري ٦٤٩٨ ومسلم ٢٥٤٧.

(٢) [سورة العلق: آية ١].

(٣) [سورة طه: آية ١١٤].

أُودِيَّةُ الْمُنُونِ

أَكْتُبُ الْأَبْيَاتَ مِنْ مَاءِ عُيُونِي
 كُلَّمَا أَتَرُكُ حُزْنِي يَأْخُذُونِي
 عِشْتُهَا قَتْلًا عَلَى قَطْعِ وَتِينِي
 وَرَوَاحًا نَحْوَ أُودِيَّةِ الْمُنُونِ
 قَادِمًا يَبْغِي حَيَاتِي فِي كُفُونِي
 أَيْنَ أَمْضِي أَيْنَ أَلْقَاهُ سُكُونِي
 وَبَغَى حُزْنِي عَلَى نُورِ يَقِينِي
 وَعَلِمْتُ أَنَّ رَبِّي سَيَقِينِي
 وَبَلَاءٌ فِي عِظَامِي يَحْتَوِينِي
 وَحَقِيقٌ أَنْتَ أَنْ تَمْحُو شَيْئِي
 أَحْسَنْتُ نَحْوَكَ يَا رَبِّ ظُنُونِي
 وَاسْكُبِ الْأَلْطَافَ فِي صَدْرِ حُرُونِ
 وَمُعِينِي أَنْتَ فِي صَبْرِي مُعِينِي

دَعُونِي أَرْسُمُ الْهَمَّ دَعُونِي
 فَعَلَى قَلْبِي حَنِينٌ وَأَنِينٌ
 صُغْتُهَا صَبْرًا وَوَا أَيَّامَ صَبْرِي!
 سَكَبْتُ فِيهَا مَعَ الْأَنْفَاسِ رَوْحًا
 هَالَنِي أَمْرِي وَمَوْتِي وَأَرَاهُ
 فَهَرَبْتُ لَسْتُ أَدْرِي مَا دَهَانِي؟
 مِنْ عَظِيمِ الْهَمِّ أَسْكِرْتُ ثَمَالًا
 ثُمَّ عَفَّرْتُ جَبِينِي لِلْإِلَهِي
 يَا إِلَهِي كُلُّ نَبْضٍ فِيَّ حُزْنٌ
 يَا إِلَهِي إِنَّنِي أَذْنَبْتُ حَقًّا
 فَلَكَ الْعُتْبَى لِكَيْ تَرْضَى فَإِنِّي
 دَاوٍ أَسْقَامًا بَرَاهَا مَا بَرَاهَا
 لَيْسَ لِي إِلَّاكَ فِي هَمِّي وَعُسْرِي



شَمْسُ الْمَغِيبِ

شَمْسُ الْحَبِيبِ تَغَيَّتْ وَغَدَا الْمَسِيرُ بِلا سَنَا
 وَشَكَى الْفِرَاقُ مُودَّعٌ بَكَتِ الْعُيُونُ لَهُ الدَّمَا
 يَا كُلَّ دَمْعٍ سَالَ مِنْ قَلْبِي عَلَى خَدِّ الْعَنَا
 يَا كُلَّ هَمٍّ جَائِمٍ يَقْتَاتُ مِنْ رُوحِي الْهَنَا
 أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنِّي أَسْلَمْتُ أَكْفَانِي هُنَا
 وَرَضِيتُ أَنْ يَغْتَالِنِي سَهْمٌ يُسَمِّمُهُ الضَّنَى
 وَرَحَلْتَ مُبْتَعِدًا وَلَا أَذْرِي الْمُنَى أَيْنَ الْمُنَى؟
 هَازِي الْجِرَاحُ تَبَسَّمَتْ مَا عُذْتُ أَبْغِي مَبْسَمًا
 هَازِي الْعُيُونُ اغْرُورِقَتْ أَدْرِي الْمُنَى أَيْنَ الْمُنَى؟
 مَا عُذْتُ أَبْغِي سَوَى دَمْعًا سَيُغْرِقُنِي أَنَا
 مَا عُذْتُ أَبْغِي سَوَى رَبِّي أَنْ يُؤَانِسَنِي هُنَا



أَنْبِلَاجُ الصُّبْحِ

فِي أَنْبِلَاجِ الصُّبْحِ سَلَوَى أَيُّ سَلَوَى يَا صَبَاحُ؟
 وَشَفَاهُ الْجُرْحُ انْظُرْ لَمْ يَزَلْ فِيهَا انْفِتَاحُ
 أَيُّ جُرْحٍ؟؟ لَا تَسْلُنِي قَدْ تَعَدَّدَتِ الْجِرَاحُ
 وَأَنَا الْمَقْتُولُ حَسْبِي قَدْ قُتِلْتُ بِلا سِلَاحُ
 آه يَا أَيَّامَ حُزْنِي كُلَّ يَوْمٍ تُقْبِلِينِ
 قَدْ قَطَعْتَ حَبْلَ وَصْلِي ثُمَّ أَتَبَعْتَ الْوَتِينَ
 وَحَرَقْتَ مَعَ رُفَاتِي كُلَّ أَحْلَامِ السَّنِينِ

الْخُشْبُ الْمُسَنَّدُ

يَا لَهُ مِنْ لَفْظٍ صَوَّرَ حَقِيقَةَ الْمُنَافِقِينَ!! فَالْخُشْبُ سَرِيعُهُ الْإِشْتِعَالُ وَكَذَلِكَ هُمْ فِي إِذْكَاءِ أَوَارِ الْقَلَاقِلِ فِي دَارَةِ الْإِسْلَامِ، وَتَزْيِينِ رَجِيعِ الْحَضَارَةِ الْغَرِيبَةِ وَتَوْرِيدِهَا إِلَيْنَا بِرُسُومِ التَّقَدُّمِيَّةِ ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾^(١)، فَهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْفِتَنِ وَيَدْعُونَ الْغَرْبَ رَهَبًا وَرَعَبًا ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾^(٢)، وَمَسْنَدُهُ لَيْسَ لَهَا اسْتِقْلَالٌ وَاعْتِزَّازٌ بِحَضَارَتِهَا وَتُرَاثِهَا، إِعْرَابُهُمْ دَائِمًا (مُضَافٌ إِلَيْهِ)، وَهُمْ الْعَلَقُ الَّذِي يَقْتَاتُ عَلَى جَسَدِ الْأُمَّةِ الْمُتَخَنِّ، وَعُكَّازُهُمْ بَيُوتُ الْجَاسُوسِيَّةِ الْمُصْرَحِ لَهَا، وَعِلَاوَةً عَلَى خُبَثِ الطَّوْيَةِ فَسَادِ الْمُرُوءَةِ، فَهُمْ الْعُقُوقُ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ وَلِلْأَوْطَانِ وَقَادَتِهَا، وَلِذَا كَانَ أَحَقُّ بِأَكْلِ هَذِهِ الْأَخْشَابِ الدَّرَكُ الْأَسْفَلُ جَزَاءً وَفَاقًا.



شَحْرُورُ

وَأَرَاكَ تَفْرَحُ حِينَ يُطْعَنُ دِينُنَا
وَتَظَلُّ تَهْذِي بِالْمَدَائِحِ نَحْوَهُ
وَعَدِّ يَقُولُ الْكُفْرَ وَهُوَ مُجَرَّدُ
خُبَثَ مَشَارِبُهُ وَصَارَ كِتَابُهُ
يَا أَيُّهَا الْبَاكِي عَلَى زَنْدِيقِهِ
هَلَّا بَكَيْتَ عَلَى حَيَاتِكَ إِنَّهَا
لَكِنْ هُنَا تَبْكِي وَأَنْتَ تَخُورُ
وَعَلَى مُحَيَّاكِ الْبَلِيدِ حُبُورُ
لَوْ قَالَ فِي "وَالَّذِيكَ" تَشُورُ
كُفْرًا وَأَمَّا قَوْلُهُ فَفُجُورُ
ذَاكَ الَّذِي يَدْعُونَهُ (شَحْرُورُ)
فِي ظِلِّ مَنْ تَنْعَاهُ سَوْفَ تَبُورُ

(١) [سورة المائدة: آية ٥٢].

(٢) [سورة المجادلة: آية ١٨].

بَعْدَ ثَمَانِينَ سَنَةً

كَيْفَ بِكَ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ إِلَى ثَمَانِينَ سَنَةً، ذَهَبَتْ نَضَارَتُكَ، وَشَحِبَ لَوْنُكَ،
وَحَارَتْ قُوَاكَ، وَأَصْبَحَ جِلْدُكَ كَالْقَصْدِيرِ الْمُتَاكِلِ، وَمَا بِحَقِيقَتِكَ سِوَى الْأَدْوِيَةِ،
وَمَعَ أَسْنَانِكَ الْقَلِيلَةِ صَارَ طَعَامُكَ كَالْحَصَى، وَمَعَ أَوْجَاعِكَ الْكَثِيرَةِ، صَارَ فِرَاشُكَ
الْوَثِيرُ كَاللَّحْدِ الضَّيِّقِ! سَافِرٌ إِلَى تِلْكَ اللَّحْظَةِ، وَاجْلِسْ عَلَى أَرِيكَتِكَ الْمَحْشُوءَةِ
بِاللَّيْفِ حَوْلَ الْمِدْفَاةِ الْقَدِيمَةِ، فَالْوَقْتُ شِتَاءٌ، وَاسْأَلْ نَفْسَكَ:

مَا الَّذِي بَقِيَ؟

وَكَيْفَ مَضَى شَبَابِي؟

أَنْتَ الْآنَ فِي شَرْخِ الشَّبَابِ وَفِي وَقْتِ الْإِمْكَانِ، وَلَدَيْكَ الْإِجَابَةُ عَلَى ذَلِكَ
التَّسْأُولِ ... إِنَّكَ عَلَى الطَّرِيقِ.



أَعْطَيْتُهُ قَلْبِي

أَعْطَيْتُهُ قَلْبِي فَقَالَ بَخْسْتَنِي وَأَيُّ عَطَاءٍ كَانَ أَعْلَى مِنَ الْقَلْبِ؟!
فَمَا الْعَيْبُ فِيمَا قَدْ بَدَلْتُ وَإِنَّمَا فِي هِمَّةٍ كَانَتْ أَحْطَّ مِنَ الْكَلْبِ



مَاتَتِ الْبَغْضَاءُ

هَذِي مَحَبَّتَنَا إِلَيْكَ تَضَاعَفَتْ
 إِنْ غَبْتَ عَنِّي هَكَذَا بَدُرُ الْهُدَى
 لَوْ قَسَمُوهَا مَاتَتِ الْبَغْضَاءُ
 فِي كُلِّ شَهْرٍ عَانَقَتْهُ سَمَاءُ
 نَجْمٌ وَلَا صَعَدَتْ لَهَا الْجُوزَاءُ
 لَكَ فِي الْفُؤَادِ مَنَازِلٌ مَا طَالَهَا



التَّافَهُ

أَرَبِّي بَعِيدٌ عَزَّ فِيهِ الْمَارِبُ؟!
 وَتُثَوِّرُ فِي الْأَسْحَارِ كُلَّ مَشَاعِرِي
 وَأَنَا الْحَزِينُ وَكُلُّ حَرْفٍ قُلْتُهُ
 وَتَهَدَّمَتْ تِلْكَ الْحُصُونُ لِأَنَّهَا
 وَأَرَاكَ تَزْهُو فِي نَعَالٍ فَارِغٍ
 بَيْنَ الْحَنَايَا وَالْمَحَاجِرِ قِصَّةً
 قَدْ تُصْبِحُ الْأَحْلَامُ أَمْرًا وَاقِعًا
 يَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الْمُعْنَى بِالضَّنَى
 وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ أَنَّ عَيْنِي ثَرَّةٌ
 مَا زَالَ يَسْلُبُنِي الرُّقَادُ وَيَخْلِبُ
 وَتُفَجِّرُ الْأَشْوَاقَ فِيَّ وَتُلْهَبُ
 قَدْ شَقَّ لِي مَا كَانَ عَنِّي يُحْجَبُ
 لَمْ تُبْنَ يَوْمًا فَوْقَ أَرْضٍ تُعْشَبُ
 إِنِّي مِنَ الزَّهْوِ الْمُغْفَلِ أَعْجَبُ
 لَنْ تَفْهَمُوا دَمْعًا يُسَالُ وَيُسْكَبُ
 قَدْ تَرَسَّمُ الْأَحْزَانُ فَجْرًا يُرْغَبُ
 أَصْبِرْ فَتَارِيخُ الْأَكَابِرِ يُكْتَبُ
 وَبِأَنَّ عَيْنَكَ عَنْ قَرِيبٍ تَنْضَبُ



لك في الفؤاد

لَكَ فِي الْفُؤَادِ تَحِيَّةٌ وَجَلَالُ
أُولَيْنَا نُعْمَى وَأَجْزَلَتِ الْعَطَا
مَا كُنْتَ تَلْقَانَا بِوَجْهِ عَابِسٍ
صُغْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ أَبْهَى لَوْحَةٍ
نَحْنُ الْأَسَارَى مِنْ جَمِيلِكَ دَائِمًا
مِنْكُمْ تَعَلَّمْنَا السَّمَاحَةَ وَالنَّدَى
قَصَرَ الْقَصِيدُ إِلَيْكَ لَكِنْ حَالُهُ
فَاللَّهُ يُكْرِمُكُمْ بِصُحْبَةِ أَحْمَدٍ

زَادَتْ فَرِذَتْ مَكَارِمًا وَجَمَالَا
وَسَوَاكَ عَنْ بَذْلِ الشَّفَاعَةِ مَالٍ
كَأَلَّا وَلَوْ زِدْنَا السُّؤَالَ سُؤَالَا
وَسَمَوْتُمْ فَوْقَ الْجِبَالِ جِبَالَا
شُدُّوا الْوَثَاقَ وَأَحْكِمُوا الْأَغْلَالَا
وَالذَّبَّ عَنْ دِينِ الْإِلَهِ تَعَالَى
فِي مَدْحِكُمْ لَوْ أَنْصَفُوهُ لَطَالَا
وَاللَّهُ يَجْزِي فَضْلَكُمْ أَفْضَالَا



وَفِي دِمَشْقَ مَا زُرْتُ الْجَامِعَ الْأُمَوِيَّ قُلْتُ:

فِيَا دِمَشْقُ فُؤَادِي أَنْتِ مَنْ سَلَبَ
كَيْفَ الْمُحِبِّ عَلَى مَحْبُوبِهِ غُلَبَ؟
فَسَالَ دَمْعِي عَلَى مَجْدٍ لَنَا ذَهَبَ

فِي مَوْكِبِ النُّورِ أَسْرَجْنَا لَكَ النُّجُبَ
أَحْبَبْتُكَ فَسَلِي الْأَشَوَاقَ يَا أَمَلَا
أَبْصَرْتُ فِيكَ مِنَ التَّارِيخِ حُلَّتُهُ



بَلَسَمُ الْقَلْبِ

وَكِنْ عِنْدَ قُرْبِكَ يَسْتَرِيحُ
وَيَخْذُلُنِي بِهِ قَلَمٌ فَصِيحُ

وَكَانَ بِخَافِقِي هَمٌّ وَلَوْ عَى
بِحُبِّ مَا أُطِيقُ لَهُ بَيَانًا

طَالَ السُّهَادُ

طَالَ السُّهَادُ وَقَلْبِي عَافَ مَرْقَدُهُ مَتَى اللَّقَاءُ أَهَذَا الْيَوْمِ أَوْ عَدُهُ
مَتَى تَحِيٍّ تَبَاشِيرُ الصَّبَاحِ لَنَا وَيَنْجَلِي بَيَاضِ الْحُبِّ أَسْوَدُهُ

فَأَجَازَنِي الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْحَسَنُ الدَّدُو بِقَوْلِهِ:

هَذَا الْحَبِيبُ الَّذِي يَبْدُو تَوَدُّدُهُ لَوْ كَانَ عِنْدِي وَقْتُ كُنْتُ أُسْعِدُهُ
لَكِنَّهُ بِاسْمِهِ قَدْ ضَنَّ مُحْتَجِبًا فَضَنَّ وَقْتِي عَمَّا مِنْهُ يَرْفُدُهُ
وَقَلْبُهُ الْحُرُّ أَيْضًا عَافَ مَرْقَدُهُ بِالنَّصْبِ فَاغْتَاضَ مِنْهُ الرَّفْعُ مَرْقَدُهُ

وَأَجَازَنِي الشَّيْخُ سَلِيمُ الشَّنْقِيطِي رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ:

إِنِّي عَلَى الْبَيْضِ مَا أَنْفَكَ فِي كَلْفٍ وَالشَّعْرُ أَعْرِفُهُ دَوْمًا وَأَعْهَدُهُ
لَكِنْ رَأَيْتُ بَيَاضَ الصُّبْحِ فِي فَلَقٍ مِنْ خَلْفِ شَعْرِكَ حَيْثُ الرُّوضُ مَعْهَدُهُ



الْقَوْمُ الْقَلْبُ

كَمْ حَضَنْتَ بِالْحُبِّ أَقْوَامًا فَتَغَيَّرُوا، وَكَمْ بَدَّلْتَ الْوَقْتَ لِخِدْمَتِهِمْ فَتَجَهَّمُوا،
وَكَمْ عَاهَدُوكَ عَلَى الْوَفَاءِ فَغَدَرُوا، وَأَبَدْتَ عُيُونَهُمْ مَا أَخْفَتْهُ قُلُوبُهُمْ فَلَا تَغْتَرَّ
بِبَيَانِهِمْ وَإِطْرَائِهِمْ، وَانْظُرْهُمْ فِي شِدَّتِكَ وَرَخَائِكَ: هَلْ هُمْ سَوَاءٌ؟!

وَمِنَ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ



بيني وبين سليم رَحِمَهُ اللَّهُ

حِينَ سَافَرْتُ لِلدَّرَاسَةِ فِي الْخَارِجِ أَرْسَلْتُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِشَيْخِنَا سَلِيمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:
 وَالْقَلْبُ يَا شَيْخَ الدُّعَاةِ تَفْطَرَا وَالذَّمُّ مِنْ عَيْنِ الْمُحِبِّ تَحْدَرَا
 وَاللَّهِ إِنْ عَزَّ الْفِرَاقُ فَلَيْسَ لِي لَكِنْ لِشَيْخٍ فِي الْعُلُومِ تَبَحَّرَا
 مِنْ دَارِ شَنْقِيطِ الْأَبْيَةِ دَارُهُ بَيْتٌ عَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ وَكَبَّرَا
 حَارَوا الْمَفَاخِرَ مِنْ قَدِيمِ تِلَادِهِمْ وَاسْتَنْشَقُوا مِنْكَ الدَّوَاةَ مُبَكَّرَا
 فَرَدَّ عَلَيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَنْتُمْ رَبِيعُ الْمَجْدِ فِي أَرْجَائِهِ أَنْتُمْ أَسْوَدُ الْغَابِ فِي وَسْطِ الشَّرَى
 مِنْكُمْ رَبِيعَةٌ مَجْدُهَا مُتَأَصِّلٌ يَعْلُو الْمَفَاوِزَ أَوْ يَفُوقُ الْأَبْحَرَا
 الشَّعْرَ نَصٌّ وَالشُّعُورُ مُحَلَّقٌ وَكَذَا الْحَجِيجُ بِسَاحِ مَكَّةَ كَبَّرَا^(١)
 ثُمَّ قُلْتُ لَهُ:

لَئِنْ نَأَتْ بِكَ الْأَوْطَانُ عَنِّي فَإِنِّي فِي مَحَبَّتِكُمْ مُقِيمٌ
 بِقَلْبِي أَنْتَ أَذْكُرُكُمْ فَأَسْأَلُوا إِذَا مَا قُلْتُ حَدَّثْنَا سَلِيمٌ
 فَرَدَّ عَلَيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

كَرِيمُ الْأَصْلِ وَكَمْ عَهْدُنَا كَرِيمُ الْأَصْلِ مَوْطِنُهُ كَرِيمٌ
 وَنَحْنُ الْقَوْمُ نَذْكُرُكُمْ فَنَسْأَلُوا هُنَاكَ الْحُبُّ مَنْشَوُهُ حَمِيمٌ
 وَمَعْذَرَةٌ (أَبْنَدِرُ) إِنَّ شِعْرِي كَلِيلُ الطَّرْفِ مُخْتَالٌ كَلِيمٌ
 نُعَانِقُهُ الْمَحَبَّةُ وَالتَّأَخِي وَيَشْدُو بِالْحَنِينِ فَلَا يَرِيمُ

(١) جمع التكسير للعقلاء يجوز في عود الضمير عليه وجهان : النظر إلى جنسه والوجه الثاني : النظر إلى دلالة على الجمع، والشيخ رحمه الله أعاد الضمير على جنس (الحجيج) بالإنفراد (كَبَّرَا) فعامله معاملة الذات الواحدة، كقولك مثلاً: الرجال قاموا، والرجال قامت.

إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا

إِنَّ بَعْدَ سَوَادِ اللَّيْلِ بَيَاضُ الصُّبْحِ، وَخَلْفَ الْأَكَامِ الْبَعِيدَةِ جُنُودُ النَّصْرِ، وَعَقِبَ الْمَفَازَةِ الْمُهْلِكَةِ حَدَائِقُ ذَاتِ بَهْجَةٍ، وَفِي نَهَايَةِ الطَّرِيقِ بَيْتُ الطُّمَأْنِينَةِ، وَالْقَلْبُ فِي عَجَبٍ مِنْ هَذَا! فَإِنَّهُ فِي سَيْرِهِ لَا يُبْصِرُ جَمَالَ الْغَايَةِ؛ لِشِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ مِنَ الْآلَمِ الْوَسِيلَةِ، فَهَلْ تَدَبَّرَ آيَةَ الشَّرْحِ؟ لَيْسَكُنْ خَاطِرُهُ، وَيَسْتَعْذِبُ شِدَّتَهُ، فَيَأْتَسُ بِالْمُرَاغَمَةِ وَيُخْبِتُ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذَيْنِ الْيُسْرَيْنِ بَعْدَ الْعُسْرِ إِنَّمَا مَعَهُ لَا يَنْفَكَانِ بِحَالٍ، وَهَذَا مِنْ رَحْمَتِهِ بِنَا وَرَفَقِهِ بِحَالِنَا، فَلَهُ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَمْ يَزَلِ الْيُسْرَانِ يَعْتَوِرَانِ هَذَا الْعُسْرَ بِسَيْفَيْهِمَا، وَالسَّيْفُ صَقِيلٌ لَكِنْ بَضَارِيهِ، وَالضَّارِبُونَ بِهِ شَتَّى، وَفِي الْأَثَرِ: "الْمُعُونَةُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى قَدْرِ الْمُؤُونَةِ"^(١)، فَاللَّهُمَّ ارْحَمْ ضَعْفَنَا.



أَيَا لَيْلَ الشَّجِيِّ

بِالْأَمِيِّ وَأَهَاتِي وَسُهْدِي	أَيَا لَيْلَ الشَّجِيِّ سَقَاكَ وَجْدِي
لِتَحْرِقْنِي أَنَا بِالنَّارِ وَحْدِي	وَأَشْعَلْتَ الْخَوَاطِرَ ضَامِرَاتٍ
تُسَطِّرُهَا ضُلُوعِي فَوْقَ جِلْدِي	وَتُكْتَبُ قِصَّتِي بِالْدَّمْعِ حَبْرًا
فَتَقْضِينِي بِهَا حَالًا بِنَقْدِي	أُرَانِي أَنْسَأُ الْأَخْزَانَ طُرًّا
وَأَسْأَلُكُمْ فَأَيْنَ الْيَوْمَ رَدِّي؟	أَجَاوِبُكُمْ وَإِخْبَاتِي بِصَوْتِي
وَأَيْنَ أَضَعْتُ مِفْتَاحِي وَسَعْدِي؟	وَأَيْنَ دَفَنْتُ أَحْلَامِي وَحُبِّي؟
فَتَكْحَلُهَا بِأَشْوَاعِي وَصَدِّي	تَتِيهِ مَحَاجِرِي وَيَحِفُّ مَاهَا

(١) حسنه الألباني في صحيح الجامع ٣٠٠١.

وَأُحْكِمَتِ الْقِيُودُ فَلَيْسَ يُجْدِي
وَقَدْ سَرَبْتُني سِرْبَالَ جَهْدِي
أُنَاجِيهِ بِأَدْعِيَتِي وَوَرْدِي
وَلَنْ أُحْصِيَ تَلَطُّفَهُ بِعَدِي
وَقَرَّبَنِي إِلَيْهِ بِقَدْرِ بُعْدِي
تُبِينُ شُمُوسُهُ لَيْلَ الْمُكْدِي

وَأُغْرِقَتِ الْأَصِيلُ فَلَا ضِيَاءَ
أَيَّالِيًّا قَطَعْتَ نِيَاطَ قَلْبِي
تَمَهَّلْ إِنَّنِي أَرْجُو كَرِيمًا
وَعَوْدَنِي لَطَائِفُهُ تَبَاعًا
وَأَوَانِي وَقَدْ بَعُدَتْ رِكَابِي
وَبَشَّرَنِي بِأَنَّ الْفَجَرَ آتٍ



عَتَابٌ وَجَوَابٌ

كَتَبَ أَحَدُهُمْ لِي مُعَاتِبًا يَقُولُ:

أَيَأْمُرُ الدِّينُ فِي قَطْعِ الْقَرَابَاتِ؟!"

"يَا مَنْ دَرَسْتُمْ أَصُولَ الدِّينِ كَامِلَةً

فَأَجَبْتُهُ:

وَأَشْرَقَ النُّورُ فِي قَلْبِي بِآيَاتِي
وَمَا يُقَدَّرُ مِمَّا خِفْتُهُ آتٍ
وَأَكْمَلَ الْحُبَّ فِي بَذْلِ الْمُرُوءَاتِ
فَإِنَّ وَقْتَكَ مَطْمُوسُ الْعَلَامَاتِ
مِنَ التَّفَجُّعِ تَرِيَاقُ الْجِرَاحَاتِ
لَمَّا كَسَرْتَ عَلَى الْهَجْرَانِ رَايَاتِي
وَلَا ظَلَلْتَ ظَمِيمًا بَيْنَ وَاحَاتِي
قُرْبِ الْحَبِيبِ عَلَى بُعْدِ الْمَسَافَاتِ
أَكَانَ يَقْطَعُهَا قَطْعُ اللَّقَاءَاتِ

عَلَى صَبَاحِ الْهُدَى كَانَتْ بِدَايَاتِي
لَمْ يَأْمُرِ الدِّينُ إِلَّا بِالَّتِي حَسُنَتْ
فَخَلَّ لِلصَّبْرِ أَبْوَابًا مُفْتَحَةً
وَخَلَّ وَقْتَكَ لَا تَخْضَعُ لِقَسْوَتِهِ
فَلَيْسَ كُلُّ دَوَاءٍ أَنْتَ شَارِبُهُ
فَلَوْ عَلِمْتَ فُؤَادًا أَنْتَ تَسْكُنُهُ
وَمَا نَصَبْتَ خِيَامَ الْحُزْنِ مُكْتَبَا
فَلِلْقُلُوبِ أَمَارَاتٌ تَدُلُّ عَلَى
يَا مَنْ دَرَسْتُمْ أَصُولَ الْحُبِّ كَامِلَةً

حُثَالَةُ الْيَوْمِ

دَخَلَ عَائِذُ بْنُ عَمْرٍو، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ: أَيُّ بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " (إِنَّ شَرَّ الرَّعَاءِ الْحُطَمَةُ) ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ ". فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُحَالَةٍ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: وَهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُحَالَةٌ؟ إِنَّمَا كَانَتْ النُّحَالَةُ بَعْدَهُمْ، وَفِي غَيْرِهِمْ ^(١).

الْحُطَمَةُ: هُوَ الْعَنِيفُ فِي رَعِيَّتِهِ، لَا يَرْفُقُ بِهَا فِي سُوقِهَا وَمَرَاعَاهَا؛ بَلْ يَحْطِمُهَا فِي ذَلِكَ وَفِي سَقِيَّتِهَا وَغَيْرِهَا، وَيَزْحَمُ بَعْضُهَا بَعْضًا بِحَيْثُ يُؤْذِيهَا وَيَحْطِمُهَا.

عَائِذُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشَجُّ الْعَبْدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ، حِينَ وَعَظَ هَذَا الْوَالِي الظَّالِمَ اسْتَنْقَصَهُ وَشَتَمَهُ مَعَ تَلَطُّفِ عَائِذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَهُ، وَهَكَذَا هُمْ الظُّلَمَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ، قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِهِ: قَوْلُهُ: (إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُحَالَتِهِمْ) يَعْنِي: لَسْتُ مِنْ فَضْلَائِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ وَأَهْلِ الْمَرَاتِبِ مِنْهُمْ، بَلْ مِنْ سَقَطِهِمْ، وَالنُّحَالَةُ هُنَا اسْتِعَارَةٌ مِنْ نُحَالَةِ الدَّقِيقِ، وَهِيَ قُشُورُهُ؛ وَالنُّحَالَةُ وَالْحُقَالَةُ وَالْحُثَالَةُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَقَوْلُهُ: (وَهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُحَالَةٌ؟ إِنَّمَا كَانَتْ النُّحَالَةُ بَعْدَهُمْ وَفِي غَيْرِهِمْ) هَذَا مِنْ جَزَلِ الْكَلَامِ وَفَصِيحِهِ، وَصَدَقَ الَّذِي يَنْقَادُ لَهُ كُلُّ مُسْلِمٍ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كُلَّهُمْ هُمْ صَفْوَةُ النَّاسِ وَسَادَاتُ الْأُمَّةِ، وَأَفْضَلُ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ، وَكُلُّهُمْ عُدُولٌ قُدُورٌ، لَا نُحَالَةَ فِيهِمْ؛ وَإِنَّمَا جَاءَ التَّخْلِيْطُ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ، وَفِي مَن بَعْدَهُمْ كَانَتْ النُّحَالَةُ. اهـ

وَلَقَدْ صَدَقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "إِنَّمَا النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ وَفِي غَيْرِهِمْ" وَتَأَمَّلُوا الْحُثَالَةَ وَالنَّبْتَةَ الشَّيْطَانِيَّةَ الْيَوْمَ، مِمَّنْ يَنْقُصُ الصَّحَابَةَ بِحُجَّةٍ تَنْفِيحِ التُّرَاثِ أَوْ بِأَيِّ حُجَّةٍ، وَلَمْ يُرَاعِ صُحْبَتَهُمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَثَنَاءَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَوَصَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِمْ؛ وَجَهَادَهُمْ مَعَهُ وَهَجَرَتَهُمْ إِلَيْهِ، وَمُشَاهَدَتَهُمْ التَّنْزِيلَ وَتَرْكَهُمُ الْأَهْلَ وَالْمَالَ وَلَذِيذَ الْعَيْشِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ وَإِنَّ مَا أَخْطَأَهُ الصَّحَابَةُ فَبِاجْتِهَادٍ لَا خُبْتَ طَوِيَّةٍ، وَلَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ وَالسَّابِقَةِ مَا يَنْغَمُرُ تَحْتَهُ مَا يَسْتَدْرِكُهُ عَلَيْهِمْ هَؤُلَاءِ الْحُثَالَةُ أَتْبَاعُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فِي الْوَقَاحَةِ وَسُوءِ الْأَدَبِ، وَالَّذِي قُتِلَ بِشَرِّ حَالٍ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.



الأخواز المحتلة^(١)

أَيُّهَا الْأَخَوَازُ صَبْرًا	إِنَّ بَعْدَ اللَّيْلِ فَجْرًا
إِنَّ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا	وَسَيَتَلَوُ الْحُزْنَ بُشْرًا
رُغْمَ أَنْوَاعِ الْبَلَايَا	دَوْلَةُ الْأَخَوَازِ كُبْرَى
أَنْتُمْ فِيهَا أَبَاةٌ	لَسْتُمْ لِلْفُرْسِ أَسْرَى
صَغْتُمْ الدُّنْيَا جِهَادًا	نَنْشُرُونَ الْعَدْلَ نَشْرًا
تَبْتَغُونَ اللَّهَ دَوْمًا	بِالدُّعَا سِرًّا وَجَهْرًا
كُلُّكُمْ نَادَاهُ صِدْقًا	يَا إِلَهَ الْحَقِّ نَصْرًا
إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ آتٍ	وَهُوَ بِالتَّوْحِيدِ أُخْرَى



(١) كتبتها نصرة لأهلنا في الأخواز حين قدمت برنامج (أخوازنا) على قناة (صفا)، وأنشدها الشيخ نايف الشرهان.

حُلَّةُ الْأَشْرَافِ

فَازَ الْمُفَرَّدُ مَنْ فِي طَبْعِهِ بَازِي
 مَنْ كَانَ يَسْتَعَذِبُ الْأَلَامَ إِنَّ لَهَا
 لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ "بَسْكُوتًا" لِتَأْكُلَهُ
 الْمَجْدُ أَنْ تَبْذُلَ الْإِحْسَانَ أَجْمَعَهُ
 وَأَنْ تَكُونَ بِشُوشِ الْوَجْهِ طَيِّبُهُ
 مَنْ عَصَّهُ الْجُوعَ لَا يَنْسَى مَرَارَتَهُ
 يَرَى الْمَعَالِيَ فَرَضًا لَا زِمًا وَلَهُ
 يَرَى الْمَحَبَّةَ فِي هَدْيِ النَّبِيِّ وَمَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 لَهُ مِنَ الْعِزِّ أَسْلَافٌ وَمَنْقَبَةٌ
 السَّابِقُونَ إِلَى الْعِلْيَاءِ مَنْزِلَةٌ
 شَادُوا الْمَكَارِمَ فَانْقَادَتْ لَهُمْ أُمَمٌ
 صَحْبُ النَّبِيِّ وَحَارُوا سَبْقَ نُصْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 يَا رَبِّ أَسْخِنْ عُيُونًا مَسَّهَا رَمَدٌ
 مَا كَانَ أَكْبَرَكُمْ عَدْلًا لِأَصْغَرِهِمْ
 تَرَاهُ كَالْكَلْبِ نَحْوَ الْغَرْبِ مُنْبَطِحًا
 الْبَائِعُونَ إِلَى الدُّنْيَا ضَمَائِرَهُمْ
 مَا تَنْقُضِي سَنَةً إِلَّا وَيَتْبَعُهَا
 أَفْدِي الَّذِينَ أَبَانُوا لِي مَحَبَّتَهُمْ

مَنْ كَانَ يُتْبِعُ إِنْجَازًا بِإِنْجَازٍ
 عِنْدَ الصُّعُودِ أَمَارَاتٍ لِمُجْتَازٍ
 وَلَا عَصِيرًا تُحَسَّاهُ بِ"مَزَازٍ"
 وَلِلْمَحَاوِيحِ أَنْ تَغْدُو كُغَّازٍ
 تُعْطِي النَّوَالَ بِإِسْرَاعٍ وَإِعْازٍ
 كَلَّا وَإِنْ كَانَ فَرَانًا لِخَبَازٍ
 عِنْدَ النَّدَى هِزَّةٌ بُشْرَى لِعَوَازٍ
 كَانَتْ مَحَبَّتُهُ لِلْكَافِرِ الْغَازِي
 جِيلُ الصَّحَابَةِ تَارِيخٌ بِإِعْجَازٍ
 مِنْ كُلِّ نَجْمٍ لِدَيْنِ اللَّهِ حُرَّازٍ
 مَا دُونَ رَكْبِهِمْ صَرَعَى كَأَعْجَازٍ
 هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ فَخَارٌ أَيُّهَا الْخَازِي؟!
 عَنِ الصَّحَابَةِ لَمْ تُسْقَى بِإِعْزَازٍ
 قُبْحًا وَسُحْقًا لَهُمَّازٍ وَلَمَّازٍ
 لَكِنْ عَلَى قَوْمِهِ كَالْحَاقِدِ النَّازِي
 وَالنَّاشِرُونَ لِإِرْجَافٍ وَتَغْمَازٍ
 أَمْرٌ عَجِيبٌ لِلْأَلْبَابِ وَرُؤَازٍ
 وَأَضْمَرُوهَا بِإِسْهَابٍ وَإِجْازٍ

مَنْ الَّذِينَ زَمَانِي لَمْ يُغَيِّرْهُمْ
وَالْوَاهِبُونَ إِذَا مَا جِئْتُ أَسْأَلُهُمْ
يَجْزِيكَ بِالْحُسْنِ وَالْحُسْنَى سَجِيَّتُهُ
مَنْ كُلِّ شَهْمٍ لِفِعْلِ الْخَيْرِ كَنَّا
كَشَفَ الْكُرُوبِ لِأَيْتَامٍ وَمُعْتَازِ
لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ شَهْمٍ وَمَنْ جَاَزَ

الأحد ١٠ شوال ١٤٣٩ هـ



عَقْدُ الْحُبِّ

❁ دَعَانِي الشَّيْخُ الدُّكْتُورُ سَعْدُ الْبَرِيكِ إِلَى مَنْزِلِهِ الْعَامِرِ فِي الرِّيَاضِ فَقُلْتُ:

جِئْنَا إِلَيْكَ وَعَقْدُ الْحُبِّ مَوْصُولُ
وَهَا هُوَ الْحُبُّ يَسْرِي فِي جَوَانِحِنَا
يَا دَوْحَةَ الصِّدْقِ قَدْ زَارَ الدُّجَى أَلْقَى
ذَا شَيْخُنَا السَّعْدُ إِنَّ اللَّهَ أَلْبَسَهُ
الْعِلْمُ مَوْطِنُهُ وَالسَّعْدُ مَوْئِلُهُ
يَسِيرُ مُتَّبِعًا خَطْوَ الْأَلَى سَبَقُوا
ابْنُ الْمُبَارَكِ لَا زَالَتْ مَائِرُهُ
حَدِيثُهُ اتَّصَلَتْ ثَبَتًا سَلَاسِلُهُ
إِنْ هَمَّ طَالِبُهُ بِالْبِرِّ عَاجِلُهُ
وَمَا كَتَبْنَا حُرُوفَ الْوَجْدِ خَاوِيَةً
هَذِي يَمِينُكَ تَزْهُو فِي مَائِرِهَا
وَلَا تَخْلَفَ قَلْبٌ عَنْ مَحَبَّتِكُمْ
وَمَا تَعْبَنَا لِأَنَّ السَّعْدَ مَأْمُولُ
وَقَدْ ظَنَنْتُ بَأَنَّ الْحُبَّ مَقْتُولُ
بِهِ تَفْتَقَ بِالْإِسْعَادِ قَنَدِيلُ
مَنْ النَّدَى وَالْهُدَى ثَوْبٌ لَهُ طُولُ
وَالطَّيِّبُ مَعْدِنُهُ وَالْجَاهُ مَبْدُولُ
قَوْمٌ كَرَامٌ لَهُمْ فِي الْمَجْدِ تَخْصِيلُ
عِلْمًا وَبَذْلًا وَفِي الْإِخْبَاتِ مَكْحُولُ
وَمِنْ سِوَاهُ أَحَادِيثُ مَرَاسِيلُ
وَمِنْ سِوَاهُ مَوَاعِيدُ وَتَأْجِيلُ
"كَلَّا وَلَوْ كَثُرَتْ فِينَا الْأَقَاوِيلُ"
مَنْ الْوَفَاءِ لَهَا غُرٌّ وَتَحْجِيلُ
لَأَنَّهُ بِوِدَادِ السَّعْدِ مَجْبُولُ

وَرَحَلَ سَلِيمٌ ۱۱۰۰

١٩٧٦هـ - ٢٠١٦م

وَمَا كَانَ قَيْسُ هَلْكُهُ هَلْكٌ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمًا

هَلْ تَعْلَمُونَ مَنْ أَرِثِي؟

هَلْ تَعْلَمُونَ عَمَّنْ أَكْتُبُ؟

إِنَّهُ سَلِيمٌ، ذَلِكَ الْوَجْهَ الْمُتَوَضِّعُ الْمُتَلَأْلِي بِالسُّنَّةِ، ذَلِكَ الْإِنْسَانُ الْعَالِمُ الْعَامِلُ أَحْسَبُهُ كَذَلِكَ، وَاللَّهُ حَسْبِيهِ، خَشْيَةً وَتَوَاضَعًا، سَمَاحَةً وَلُطْفًا، لَمْ يَكُنْ كَغَالِبٍ مَنْ رَأَيْتُ، إِنَّهُ يَمْتَلِكُ مَعَ الْعِلْمِ وَجْهًا عَلَيْهِ أَمَارَاتُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ وَالتَّعَلُّقِ بِهِ وَالرَّضَى عَنْهُ، وَاسْأَلُوا مَنْ قَابَلَهُ وَتَكَلَّمَ عَلَيْهِ .. فَهَلْ قُلْتُ إِلَّا حَقًّا؟!

نَوَى طَوْدُ هُنَا وَانْثَلَّ رُكْنٌ
وَأَضْحَى مَلَجًا الْمَلْهُوفِ قَفْرًا
وَنَقُصُ الْأَرْضِ بِالْعُلَمَاءِ حَقٌّ
إِذَا بَكَتِ الْعُيُونُ لِكُلِّ خَطْبٍ
وَإِنْ طَفِقَتْ لِسَانُ الشَّعْرِ تَرِثِي
وَحَلَّتْ مِحْنَةٌ وَخَبَا ضِيَاءُ
وَلَا قُطْبٌ تَدُورُ بِهِ الرَّحَاءُ
وَمِنْ أَطْرَافِهَا يَأْتِي الْبَلَاءُ
عَلَى الْعُلَمَاءِ فَلْيَكُنِ الْبُكَاءُ
عَلَى الْعُلَمَاءِ فَلْيَكُنِ الرَّثَاءُ

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
"إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا إِنَّمَا يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ
النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"^(٢).

(١) [سورة فاطر: آية ٢٨].

(٢) رواه البخاري ٧٣٠٧ ومسلم ٢٦٧٣.

وَفِي صَحِيحِ الْحَاكِمِ مِنْ حَدِيثِ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَفَيْهَا﴾ ^(١). قَالَ: مَوْتُ عُلَمَائِهَا.

كَانَ سَلِيمٌ طَيِّبَ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ، فَزَكَتْ نَفْسُهُ، وَسَمَتْ رُوحُهُ، حَتَّى صَارَ مَعِينًا بِالْعِلْمِ، وَشَجَرَةً طَيِّبَةً وَارِفَةً الظَّلَالِ لِكُلِّ مُتَعَلِّمٍ وَمَلْهُوفٍ.

بَيْتُ دَعَائِمُهُ نُبْلٌ وَتَضَحِيَّةٌ إِذَا بَنَى النَّاسُ مِنْ صَخَرٍ وَمِنْ شِيدٍ

كَانَ زِينَةُ الدِّمَامِ وَقَمَرُهَا، بَلْ كَانَ بَدْرًا عَلَى كُلِّ حَالَاتِهِ، يُؤَثِّرُ الْجَمِيعَ بِوَقْتِهِ وَعِلْمِهِ وَرَاحَتِهِ ..

يَتَزَيَّنُ النَّادِي بِحُسْنِ فِعَالِهِمْ كَتَزَيَّنَ الْهَالَاتُ بِالْأَقْمَارِ

سَلِيمٌ عَلَى اسْمِهِ، سَلِيمُ الصَّدْرِ وَالْفِكْرِ وَالْقَلْبِ، لَا يُقَابِلُ أَحَدًا بِمَا يَكْرَهُ، كَثِيرُ الصَّمْتِ إِلَّا مَنْ نَشَرَ عِلْمٍ أَوْ إِصْلَاحٍ أَوْ تِلَاوَةَ قُرْآنٍ أَوْ ذَكَرَ لِلَّهِ، وَصَلَاةٍ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

صُمُوتٌ إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيْنَ أَهْلِهِ وَفَتَاقُ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْمُخْتَمِ
وَعَى مَا وَعَى الْقُرْآنُ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ وَنَيْطَتْ لَهُ الْأَدَابُ بِاللَّحْمِ وَالْدَمِّ

قَبْلَ سَنَوَاتٍ طَلَبْتُ مِنْهُ رَحْمَةُ اللَّهِ تَرْجَمَةً يَسِيرَةً عَنْ حَيَاتِهِ، فَأَعْطَانِيهَا بَعْدَ إِلْحَاحٍ، وَسَاعَرَضُ أَبْرَزَ مَحَطَاتِهِ الْعِلْمِيَّةِ. تَخَرَّجَ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي كُلِّيَّةِ الْقُرْآنِ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، ثُمَّ حَصَلَ عَلَى الدُّبْلُومِ الْعَالِيِّ وَالْمَاجِسْتِيرِ بِامْتِيَازٍ مِنْ جَامِعَةِ الْقُرْآنِ فِي السُّودَانِ، وَكَانَ يُعِدُّ رِسَالَةَ الدُّكْتُورَاهِ، وَلَمْ يُكْمِلْهَا لِكَثْرَةِ انْشِغَالِهِ فِي التَّدْرِيسِ وَالسَّفَرِ لِلدَّعْوَةِ دَاخِلَ الْمَمْلَكَةِ وَخَارِجَهَا، وَكَانَ لَهُ دُرُوسٌ وَدَوَوَاتٌ عِلْمِيَّةٌ سَنَوِيَّةٌ فِي الْكُوَيْتِ، وَدَرَسَ فِي مَعَاهِدٍ عِلْمِيَّةٍ كَثِيرَةٍ.

(١) [سورة الرعد: آية ٤١].

أَمَّا عَنْ دِرَاسَاتِهِ الْمَحْضَرِيَّةِ (غَيْرِ النَّظَامِيَّةِ) فَقَدْ حَفِظَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَاتَّقَنَهُ صَغِيرًا مَعَ الرَّسْمِ وَالْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ وَالتَّجْوِيدِ وَالتَّفْسِيرِ، وَتَبَحَّرَ فِي فُنُونِهَا.

وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَعْنَى بِكِتَابِ التَّوْحِيدِ تَعَلُّمًا وَتَدْرِيسًا، وَثَلَاثَةَ الْأُصُولِ، وَلَمَعَةِ الْإِعْتِقَادِ، وَكَذَلِكَ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ، وَالطَّحَاوِيَّةِ شَرْحَ أَبِي الْعِزِّ، وَكِتَابِ مُجْمَلِ اعْتِقَادِ السَّلَفِ لِلشَّيْخِ سَالِمِ الشَّنْقِيطِيِّ، وَلَهُ شُرُوحٌ عَلَيْهَا. وَكَانَ مُلِمًّا بِكُتُبِ السُّنَّةِ سَيِّمًا الْمُوطَّأَ، وَاطَّلَعَ عَلَى شُرُوحِهَا، وَأُجِيزَ فِيهَا، وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ أُصُولِيًّا لُغَوِيًّا دَرَسَ الْأَجْرُومِيَّةَ، وَمِلْحَةَ الْإِعْرَابِ، وَالْفَيْةَ ابْنَ مَالِكٍ، وَشُدُورَ الذَّهَبِ، وَقَطْرَ النَّدَى، وَلَامِيَةَ الْأَفْعَالِ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَالِكٍ، وَطُرَّةَ الْحُسَيْنِ. وَفِي الْأُصُولِ الْوَرَقَاتِ لِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، وَمَرَاقِي السُّعُودِ، وَمُذَكَّرَةَ الْأَمِينِ، وَفِي الْقَوَاعِدِ كِتَابَ السَّعْدِيِّ، وَنَظْمَ الْأَهْدَلِ لِلْأَشْبَاهِ وَالنَّظَائِرِ وَكُتُبًا أُخْرَى. وَكَانَ فَقِيهًا مَالِكِيًّا، وَدَرَسَ الْفِقْهَ الْحَنْبَلِيَّ، وَلَهُ فِيهِ نَظْمٌ أَخْصَرَ الْمُخْتَصَرَاتِ إِلَى بَابِ الْجِهَادِ، وَدَرَسَ بَعْضَ كُتُبِ الْفِقْهِ الْمُقَارِنِ، كِبْدَايَةِ الْمُجْتَهِدِ، وَالِاسْتِذْكَارِ.

وَكَانَ عَالِمًا فِي الْمَنْطِقِ، وَدَرَسَ كِتَابَ الْمُرَوِّقِ، وَبَعْضَ آدَابِ الْبَحْثِ وَالْمُنَاطَرَةِ، وَلِلشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ اِطْلَاعٌ وَاسِعٌ عَلَى السِّيَرِ وَالتَّارِيخِ وَالْفَرَائِضِ، وَأَخْبَارِ الْعَرَبِ وَقَصَصِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ، كَالْمُعَلَّقَاتِ السَّبْعِ وَالشَّنْفَرِيَّةِ وَبَانَتْ سُعَادُ، وَلَدِيهِ فِي ذَلِكَ حَافِظَةٌ مُذْهِلَةٌ وَيَحْفَظُ آلَافَ الْقَصَائِدِ.

لَهُمُ الْمَهَابَةُ وَالْجَلَالَةُ وَالتَّقَى وَفَضَائِلُ جَلَّتْ عَنِ الْإِحْصَاءِ
يَسْعُونَ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ بِعِفَّةٍ وَتَوَقُّرٍ وَسَكِينَةٍ وَحَيَاءٍ

وَدَرَسَ رَحِمَهُ اللَّهُ عُلُومَ الْبَلَاغَةِ الثَّلَاثَةِ؛ الْبَيَانَ وَالبَدِيعَ وَالْمَعَانِي وَالْعُرُوضَ، وَكَذَلِكَ الْجَوْهَرَ الْمُكُونُ وَالنَّفَايَةَ، وَكِتَابَ الْمُقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ لِابْنِ مَالِكٍ،

وَمَثَلَتْ قُطْرُبَ، وَمَقْصُورَةَ ابْنِ دُرَيْدٍ وَالْقَامُوسَ وَلِسَانَ الْعَرَبِ، وَالْمُنْجِدَ وَمُخْتَارَ الصَّحَاحِ وَجَمَهَرَةَ اللُّغَةِ.

نَظَّمَ رَحِمَهُ اللَّهُ الْكَثِيرَ مِنَ الْقَصَائِدِ، لَوْ طُبِعَتْ لَكَانَتْ دِيوَانًا كَامِلًا، وَلَهُ مَنْظُومَاتٌ فِي النِّحْوِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْفِقْهِ وَالْجُغْرَافِيَا وَبَعْضُ الْأَنَاشِيدِ.

وَقَدْ شَرَحَ رَحِمَهُ اللَّهُ عِدَّةَ كُتُبٍ فِي عُلُومٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَمَا زَالَتْ فِي الْأَشْرِطَةِ مِنْهَا: مُجْمَلُ اعْتِقَادِ السَّلَفِ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ سَالِمِ الشَّنْقِيطِيِّ، وَلَا مِئَةَ الْأَفْعَالِ فِي الصَّرْفِ، وَالْأَجْرُومِيَّةُ فِي النِّحْوِ، وَالْمُعَلَّقَاتُ فِي اللُّغَةِ، وَمَقْصُورَةُ ابْنِ دُرَيْدٍ، وَمَثَلَتْ قُطْرُبَ فِي اللُّغَةِ، وَالْأَرْبَعُونَ النَّوَوِيَّةُ، وَالْبَيْقُونِيَّةُ، وَشَرْحُ الْأَهْدَلِ لِلْأَشْبَاهِ وَالنَّظَائِرِ فِي الْقَوَاعِدِ، وَالنَّقَايَةِ فِي الْبَلَاغَةِ، وَمِئَةُ الْمَعَانِي فِي الْبَلَاغَةِ، وَشُدُورُ الذَّهَبِ، وَمَطْهَرَةُ الْقُلُوبِ فِي السُّلُوكِ، وَالْفَيْئَةُ ابْنِ مَالِكٍ، وَالْحِمَاسَةُ، وَبَعْضُ بُلُوغِ الْمَرَامِ، وَبَعْضُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ، وَالْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ فِي الْعَقِيدَةِ، وَلَمْعَةُ الْإِعْتِقَادِ، وَالرَّحِيَّةُ فِي الْفَرَائِضِ، وَالْوَرَقَاتُ فِي الْأُصُولِ، وَغَيْرُهَا.

شَارَكَ فِي بَرَامِجِ إِعْلَامِيَّةٍ مِثْلَ: بَرْنَامِجِ (أَفَاق) فِي قَنَاةِ أَقْرَأَ، وَفِي (وَاحَةِ الْمُسْتَمْعِينَ) فِي إِذَاعَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْكُوَيْتِ، وَبَرْنَامِجٍ مُبَاشِرٍ فِي إِذَاعَةِ مُورِتَانِيَا.

إِذَا هُمْ هَمًّا لَمْ يَرَ اللَّيْلَ غُمَّةً عَلَيْهِ وَلَمْ تَضَعْبْ عَلَيْهِ الْمَرَائِبُ

كَانَ لِقَائِي الْأَوَّلَ مَعَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ حِينَ عَزَمْتُ أَنَا وَصَدِيقُ عُمْرِي الشَّيْخِ مُوسَى الْغَنَامِيِّ عَلَى أَنْ نَقْرَأَ عَلَيْهِ فِي عِدَّةِ فُنُونٍ وَنَجْرِدَ عَلَيْهِ كُتُبًا وَمُثُونًا، وَكَانَ هَذَا قَبْلَ تِسْعِ سَنَوَاتٍ تَقْرِيبًا.

كَانَ جَدُّوْلُهُ مُزْدَحِمًا، وَالطُّلَّابُ يَأْتُونَ إِلَيْهِ مِنَ الدَّمَامِ وَأَطْرَافِهَا مُتَفَرِّغًا لِنَشْرِ الْعِلْمِ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْفَجْرِ حَتَّى بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ فِي مَرْكَزِ مَنَارِ الْهُدَى قَبْلَ إِغْلَاقِهِ.

هَشَّ لَنَا وَبَشَّ وَخَصَّصَ لَنَا يَوْمَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ، قَرَأْنَا عَلَيْهِ: الْأَجْرُومِيَّةَ نَظْمَ
الْقَلَاوِيِّ، وَجُزْءًا كَبِيرًا مِنْ بُلُوغِ الْمَرَامِ، وَتَفْسِيرَ الْبَغَوِيِّ، وَصَحِيحَ الْبُخَارِيِّ،
وَالْفَهْمَةَ الْمُسَيَّرَ، وَالْبَيَانَ وَالتَّبْيِينَ، وَالْعُودَ الْهِنْدِيَّ لِلِسَّقَافِ.

كُنَّا نَرَى عَجَبًا مِنَ الشَّيْخِ حِينَ يُقْرَأُ الْقُرْآنَ مِنْ تَأَثُّرِهِ وَبُكَائِهِ وَكَثْرَةِ ذِكْرِهِ فِي
مَجْلِسِهِ، كُنْتُ أَحْسُ بَرَقَةً فِي قَلْبِي مَعَهُ، وَكَأَنِّي عَلَى ضَعْفٍ بِضَاعَتِي أَتَلَمَّسُ لِقَلْبِي
مَا يُصْلِحُهُ فِي مَجْلِسِ الشَّيْخِ مِنْ هَيْئَتِهِ وَسَمْتِهِ وَحَدِيثِهِ عَنِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَتَعْظِيمِهِ.

لَوْلَا عَجَائِبُ صُنْعِ اللَّهِ مَا نَبَتَتْ تِلْكَ الْفَضَائِلُ فِي لَحْمٍ وَلَا عَصَبٍ

بَلْ وَجَدْتُ مِنْهُ حَنَانَ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ فِي سُؤَالِهِ عَنْ أَحْوَالِي وَدُعَائِهِ لِي وَكَانَ
يَتَعَاهَدُنِي وَصَاحِبِي مِنْ دُعَائِهِ فِي أَشْرَفِ الْبَقَاعِ وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ وَتَوَاضُّعِهِ وَيَقُولُ
أَنْتُمَا مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيَّ.

وَكَانَ مِنْ تَوَاضُّعِهِ يُعَامِلُنَا كَأَقْرَانٍ لَا طُلَاقَ، بَلْ رُبَّمَا جَاءَهُ السَّائِلُ فَأَحَالَهُ
عَلَيْنَا تَهَيُّبًا لِلْفُتْيَا وَهَضْمًا لِنَفْسِهِ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَعِلْمِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَأَحْسَنُ مَقْرُوعَيْنِ فِي عَيْنِ نَاطِرٍ جَلَالَةُ قَدْرِ فِي خُمُولٍ تَوَاضِعٍ

وَجِئْتُهُ مَرَّةً بِمَوْضُوعٍ لَهُ أَقْتَرَحُهُ عَلَيْهِ، وَطَرَحْتُ لَهُ بَعْضَ التَّفَاصِيلِ، فَكُنْتُ
أَرَاهُ يَتَبَسَّمُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ سِرِّ الْأَبْتِسَامَةِ فَقَالَ: حَدِيثُكَ الْآنَ بِتَفَاصِيلِهِ تَصْدِيقُ رُؤْيَا
رَأَيْتُهَا قَبْلَ أَيَّامٍ! وَكَانَ لَهُ فِي هَذَا الْبَابِ عَجَبًا رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَحْسَبُهُ مِنَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ
تَصْدُقُ رُؤَاهُمْ.

وَدَعَوْتُهُ لَزَوَاجِي فِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَكَانَ ذَلِكَ قُبَيْلَ مَوْسِمِ حَجٍّ، وَمَعَ
انْشِعَالِهِ بِتَدْرِيسِ النَّاسِ تِلْكَ الْأَيَّامِ إِلَّا أَنَّهُ اسْتَأْذَنَهُمْ، وَأَخَذَ سَيَّارَةً أُجْرَةً وَجَائِثِي
مُسْلَمًا مُهْنًا وَدَاعِيًا لِي.

تَوَطَّدْتُ صُحْبَتَنَا بِالشَّيْخِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَكُنَّا نَسْمُرُ مَعَهُ بَعْدَ الْعِشَاءِ فِي مَنْزِلِهِ
بِالدِّمَامِ مَرَّاتٍ كَثِيرَةٍ، وَيَخْدُمُنَا بِنَفْسِهِ وَيُقَدِّمُنَا فِي مَجْلِسِهِ، وَنَسْمَعُ مِنْهُ الْعِلْمَ
وَالْأَدَبَ وَالشُّعْرَ مَا تَطَرَّبُ لَهُ النُّفُوسُ.

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ بِمُتَنَظَّمَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فُضْلًا
كَفَى وَشَفَى مَا فِي النُّفُوسِ فَلَمْ يَدْعُ لِذِي إِرْبَةٍ فِي الْقَوْلِ جَدًّا وَلَا هَزْلًا

أَهْدَانِي مَرَّةً لِبَسِّ الشَّنَاقِطَةِ (دِرَاعَةِ) فَلَبِسْتُهَا وَاعْتَبَطْتُ بِهَا، ثُمَّ إِنِّي أَخَذْتُهَا
مَرَّةً لِلْمَغْسَلَةِ، لَكِنَّ الْعَامِلَ الْأَعْجَمِيَّ - مَعَ الْأَسَفِ - أَضَاعَهَا، وَتَطَلَّبْتُهَا مِرَارًا، فَلَمْ
يَجِدْهَا، وَكُنْتُ أَجِدُ جَهْدًا عَظِيمًا فِي وَصْفِ الدِّرَاعَةِ لِعَامِلِ الْمَغْسَلَةِ، وَأُشَبِّهُهَا
بِالشَّرْشَفِ أَوِ الْبَطَانِيَةِ لَكِنَّ دُونَ جَدْوَى!

أَرْسَلَ إِلَيَّ يُوَصِّينِي حِينَ كُنْتُ أَدْرُسُ فِي الْخَارِجِ يَقُولُ:

عَلَيْكُمْ بِزِيَادَةِ الْعِبَادَةِ، أَقُولُهَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِمَا أَعْلَمُ مِنْ كَسَلِي، وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ
سَالِمُ بْنُ عَدُودٍ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا كَانَ طَالِبًا فِي تُونِسَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ مَا كَانَ يَكْفِيكُمْ
مِنَ الْعِبَادَةِ لَا يَكْفِيكُمْ هُنَا؛ لِأَنَّ الْمُنْكَرَاتِ - فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ - فِي تُونِسَ أَكْثَرُ مِنْ
بَلَدِنَا قَبْلَ أَنْ تَغْزُوهُ الْحَضَارَةُ الْوَافِدَةُ، وَمَا زَالَ - بِفَضْلِ اللَّهِ - أَخَفَّ، وَلَكِنْ - وَاللَّهِ
الْمُسْتَعَانَ - يُوجَدُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ.

كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ ذُو حِلْمٍ وَأَنَاءَةٍ، وَيُقَابِلُ الْإِسَاءَةَ بِالْإِحْسَانِ، وَحَدَّثَنِي بِقِصَصٍ لَهُ
مَعَ أَنَاسٍ أَسَاءُوا لَهُ، وَأَعْجَبُ مِنْ حِلْمِهِ عَلَيْهِمْ، بَلْ وَتَلَطَّفَهُ لَهُمْ.

وَوَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ حَالِهِ عَجَبًا فِي نَفْعِ إِخْوَانِهِ عَلَى قِلَّةِ ذَاتِ يَدِهِ، وَكَأَنَّ مَالَهُ
لَيْسَ لَهُ، بَلْ لِلضَّعْفَةِ وَالْيَتَامَى وَذَوِي الْحَاجَاتِ، بَلْ كَانَ يَقْتَرِضُ كَثِيرًا مِنْ أَجْلِهِمْ.
مُتِمِّمٌ بِالنَّدَى لَوْ قَالَ سَائِلُهُ هَبْ لِي جَمِيعَ كَرَى عَيْنِكَ لَمْ يَنْمِ

وَكَاثَمَا قَصَدَهُ الشَّاعِرُ بِقَوْلِهِ:

أُنَاسٌ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَظْلَمَ وَجْهَهُ
يَصُونُونَ أَحْسَابًا وَمَجْدًا مُؤَنَّلًا
فَلَوْ لَامَسَ الصَّخْرُ الْأَصَمَّ أَكْفَهُمْ
فَأَيْدِيهِمْ بِيضٌ وَأَوْجُهُهُمْ زُهْرُ
بِذَلِ أَكْفٌ دُونَهَا الْمُزْنُ وَالْبَحْرُ
أَفَاضَ يَتَابِعَ النَّدى ذَلِكِ الصَّخْرُ

وَبِقَوْلِهِ:

حُرٌّ إِذَا جِئْتَهُ يَوْمًا لِتَسْأَلَهُ
يُخْفِي صَنَائِعَهُ وَاللَّهُ يُظْهِرُهَا
إِنَّ الْجَمِيلَ إِذَا أَخْفَيْتَهُ ظَهَرَ
أَعْطَاكَ مَا مَلَكَتْ كَفَّاهُ وَاعْتَذَرَ

قَالَ لِي مَرَّةً: لَقَدْ تَعَوَّدْتُ - وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَلَّا تَتَغَيَّرَ هَذِهِ الْعَادَةُ - أَنْ أَتَفَرَّغَ لِتَدْرِيسِ
الطَّلَبَةِ، وَأَلَّا أَخَذَ مِنْهُمْ شَيْئًا، وَلَا أَشْعِرَهُمْ بِحَاجَتِي، حَتَّى وَإِنْ كُنْتُ مُحْتَاجًا، وَفِي
سَالِفِ أَيَّامِي تَعَوَّدْتُ أَلَّا أَسْأَلَ النَّاسَ، وَلَا أَرْعِجَهُمْ بِخُصُوصِيَّاتِي.

إِنَّ الْكَرِيمَ لِيُخْفِي عَنْكَ عُسْرَتَهُ
حَتَّى يُخَالِ غَنِيًّا وَهُوَ مَجْهُودُ

وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يُنْشِدُنِي:

وَالْقَلْبُ إِنِّ عَلَى الْإِلَهِ أَقْبَلَا
وَأَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ وَأَدْخَلَهُ
تَرَحَّلَتْ عَنْهُ عَسَاكِرُ الْبَلَا
خَالِقُهُ فِي جَنَّةٍ مُعَجَّلَهُ

حِينَ أَكُونُ دَاخِلَ الْمَمْلَكَةِ أَوْ خَارِجَهَا لَمْ يَنْقَطِعِ التَّوَاصُلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ
وَحِينَ أُرْسِلَ لَهُ بَعْضُ نَشَاطِيهِ الْبَسِيطِ فِي الدَّعْوَةِ كَانَ يُشَجِّعُنِي وَيَدْعُو لِي وَيَعْلَقُ
وَيُوجِّهُ، بَلْ حَتَّى فِي مَرَضِهِ الْأَخِيرِ كَانَ مُتَوَاصِلًا مَعِي، وَيُخْبِرُنِي عَنْ حَالَتِهِ
الصَّحِيَّةِ، وَفَهِمْتُ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّهَا وَعَكَّةٌ بَسِيطَةٌ، وَلَكِنْ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَكَانَ آخِرُ
مَا أَرْسَلَهُ لِي وَكَأَنَّهُ يُودِّعُنِي: حَفِظْكُمْ اللَّهُ وَرَعَاكُمْ!

تُوفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَسَاءَ السَّبْتِ الثَّالِثِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٣٧ هـ فِي الْمَدِينَةِ

النَّبَوِيَّةِ، وَدُفِنَ فِي الْبَقِيعِ، وَأَسْأَلَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَأَنْ يُنْزِلَهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَيَرْزُقَهُ مُرَافَقَةَ النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ فِي أَعْلَى جَنَّاتِ الْخُلْدِ، وَيَخْلُفَ عَلَى أَهْلِهِ خَيْرًا، وَيُعَقِّبَهُمُ الْعَاقِبَةُ الْحَمِيدَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَقُلْتُ أَرْثِيهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

مِنْ لَوْعَةِ الْفَقْدِ يَسْقِينِي وَأَسْقِيهِ
فَيُسْرِعُ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي يُشْجِيهِ
وَمَا ظَنَنْتُ بِأَنِّي سَوْفَ أَرْثِيهِ
فِيهَا مِنَ الْوَجْدِ آلامٌ وَيُذَكِّرِيهِ
مِنَ الصَّفَاءِ بِقَلْبٍ أَنْتَ رَاعِيهِ
وَالْمَوْتُ يَخْتَرِمُ الْأَمَالَ حَادِيهِ
وَمُعْدَمٌ ضَائِقٌ بِالْجُودِ تُقْرِيه
لَهُ يَمِينُكَ إِحْسَانًا يُغْطِيهِ
فَمَا فَتِنْتُ تُنَادِيهِ وَتُؤْوِيهِ
وَكُلُّ مَحْفَلٍ قَوْمٌ كُنْتُ تَأْتِيهِ
كَانَ الْحَنَانُ جِبَلًا لَسْتُ تَحْكِيهِ
بِهِ فِعَالُكَ تَصْدِيقًا لِرَاوِيهِ
مَاذَا أُعَدِّدُ مِمَّا لَسْتُ أُحْصِيهِ
وَفِي الْجَنَانِ دُعَائِي أَنْ تُلَاقِيهِ

خَطْبُ أَلَمٍ عَلَى قَلْبِي بِمَا فِيهِ
يَجْتَاحُ نَفْسِي وَيَكْوِينِي بِمِيسَمِهِ
قَدْ كُنْتُ أَسْمِعُهُ الْأَبْيَاتِ تُطْرِبُهُ
لَقَدْ رَحَلْتَ سَرِيعًا فَالْنُّفُوسُ لَظَى
ذِكْرَاكَ وَالْعِلْمُ وَالْإِبْحَارُ فِي فَلَكَ
كَذَا الْمَنَايَا تُقَاسِمُنَا وَتَفْجَعُنَا
يَبْكِيكَ مَجْلِسُكَ الْهَادِي وَمَحْبَرَةٌ
يَبْكِي عَلَيْكَ يَتِيمٌ طَالَمَا بَدَلْتُ
وَعَابِرٌ ضَلَّ لَا يَأْوِي عَلَى أَحَدٍ
يَبْكِيكَ مُوسَى وَتَبْكِي كُلُّ مَآثِرَةٍ
رَأَيْتُ فِيكَ حَنَانَ الْوَالِدَيْنِ وَكَمْ
"سَلِيمٌ" يَا كُلُّ إِحْسَانٍ لَنَا نَطَقْتُ
"سَلِيمٌ" تَزْدَحِمُ الْأَلْفَاظُ فِي شَفَتِي
جَاوَزْتَ سُنَّةَ هَادِيْنَا وَمَضَجَعُهُ

كتبه أبو عبد الإله / بندر فهد الإيداء

١٣ ذو القعدة ١٤٣٧هـ Birmingham

سُؤَالُ الْقَلْبِ

❁ قلتُ في شَيْخِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَانِعِ الرَّوْقِيِّ - حَفَظَهُ اللَّهُ وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ عَافِيَتَهُ - :

سُؤَالُ الْقَلْبِ لَيْسَ لَهُ جَوَابٌ
وَأَشْرَاقُ الْأَصِيلِ بِهِ عَزَاءٌ
وَيُقْطَعُ دُونُهُ لَيْلٌ بِهِيْمٌ
وَأَوْدِيَّةُ الْجَلِيدِ لَهَا بُكَاءٌ
يُزِيلُ الصُّبْحُ طَوْقًا مِنْ أَنْيْنٍ
وَيَسْرِجُ نَحْوَ مَرْعَتِي خِيُولًا
فَحَلَّ مِنَ التَّدَكُّرِ دَارٌ لَيْلَى
وَدَغَ عَنْكَ الْعُيُونُ السُّودَ عِشْقًا
سِوَى حُبٍّ لَهُ رَسْمٌ جَمِيلٌ
وَأَوْثَقُ مَا نَشُدُّ بِهِ عُرَانَا
وَفَرَقٌ بَيْنَ مَاءٍ مِنْ سَحَابٍ
وَوَاحَاتٍ لَهَا دَمْعٌ سَخِينٌ
فَأَنْصِتْ يَا مُحِبُّ إِلَى الْقَوَافِي
وَقَدْ عَبَّأَتْهَا بِرَحِيقِ قَلْبِي
فَكُلُّ حِكَايَةٍ وَلَهَا فُصُولٌ
أَرَى فِي الْأُنْفِقِ هَامَاتٍ عِظَامًا
فَطَرْتُ إِلَى رِحَابِ الْبَارِ بَحْرًا
هُنَا عِلْمٌ هُنَا مَجْدٌ أَثِيلٌ !!
وَأَرْضُ الشَّوْقِ مُجْدِبَةٌ يَبَابُ
تَسِيرُ عَلَى أَشْعَتِهِ الرِّكَابُ
وَأَغْلَاسٌ يُعَانِقُهَا الضُّبَابُ
وَتَشْكُو مِنْ مَاقِيهَا الرِّحَابُ
عَلَى عُنْقِي فَيَنْكَشِفُ الْمُصَابُ
فَتُسْفِرُ عَنْ مَحَاسِنِهَا الْهَضَابُ
وَأَطْلَالًا بِهَا سَكَنْتَ رَبَابُ
فَهَذَا الْحُبُّ أَكْثَرُهُ كِذَابُ
وَتَأْثِيرٌ لَهُ عَجَبٌ عَجَابُ
إِذَا كَانَتْ بِدَايَتُهُ صَوَابُ
وَمَاءٌ قَدْ يُكَدِّرُهُ تُرَابُ
وَوَاحَاتٍ لَهَا دَمْعٌ سَرَابُ
فَحَادِيهَا لَهُ صَوْتُ عِذَابُ
لِتَصْدُرَ مِنْ سَوَاقِيهَا الْقِرَابُ
وَكُلُّ مُهَنَّدٍ وَلَهُ قِرَابُ
وَقَصْرًا لَا يُجَاوِزُهُ سَحَابُ
وَتَسْبِقُنِي إِلَى الشَّيْخِ الْعِرَابُ
هُنَا حِصْنٌ مِنَ التَّقْوَى مُهَابُ

لَيَعْرُونِي مِنَ اللَّقْيَا اضْطِرَابُ
يُزَيِّنُهُ مَعَ الشَّيْبِ الْخِضَابُ
وَيَسْرِي فِي مُحَيَّاهُ الشَّبَابُ
يَسِيلُ لَهُ مِنَ الْحُسْنِ الرِّضَابُ
تُجَلِّلُهُ مَعَ السَّمْتِ الثِّيَابُ
وَمِنْهَا جَا بِحَدَّثَنَا يُشَابُ
وَمَرْجِعُهُ صَحِيحٌ أَوْ كِتَابُ
وَشَمْسًا لَا يُغْطِيهَا حِجَابُ
مُذَلَّلَةَ الْجَنَاحِ بِهَا الصَّعَابُ
فَلَا كِبَرٌ يُعَكِّرُ أَوْ عِتَابُ
فَلَا مَنْ عَلَيْنَهَا أَوْ عِقَابُ
وَإِنْ نَالَكَ مِنْ بَعْضِ حِرَابُ
مُطَوَّقَةٌ لَكُمْ مَنَا الرِّقَابُ
وَفِيَّ يَسْتَظِلُّ بِهِ الصَّحَابُ
مِنَ الْأَحْزَانِ يَحْمِلُهَا الْجِرَابُ
فَتَنْهَمِلُ الدُّمُوعُ لَهَا انْسِكَابُ
وَنَطْوِي دَرْبَهَا وَلَهَا انْتِهَابُ
وَأَدْمَاهَا مَعَ السَّيْرِ الْإِيَابُ
وَأَبْعَدْنَا عَنِ الشَّيْخِ الْغِيَابُ
يُخَلِّدُ فِي صَحَائِفِهَا الثَّوَابُ

دَخَلْتُ عَلَى سَمَاحَتِهِ وَإِنِّي
فَكَانَ مُوْطَأً الْأَكْنَافِ سَمَحًا
رَأَيْتُ بِقَرْبِهِ ابْنًا صُمُوتًا
وَيَسْقِي شَيْخَهُ عَذْبًا نَمِيرًا
وَيَكْسُوهُ مِنَ الْإِبْرِيْزِ وَشِيَا
تَلْقَى فِي رِيَاضِ الْبَازِ عِلْمًا
يُصَدِّرُهَا مِنَ الْوَحْيَيْنِ صَفْوًا
وَكَانَ لِشَيْخِهِ بَرًّا وَفِيًّا
وَسَطَّرَ مِنْ مَسَائِلِهِ عُلُومًا
تُحَالِقُ مَنْ أَحَبَّكَ فِي وَدَادِ
وَلَمْ تُجْزِ يَدَ الْمَعْرُوفِ قِطْعًا
وَأَرْسَيْتَ التَّوَاضُّعَ فِي ثَبَاتِ
عَلَيْنَا بِالْجَمِيلِ لَكُمْ دُيُونُ
وَكُنْتَ لَنَا عَلَى الْأَحْزَانِ سَلَوَى
أَسَافِرُ وَالْمَتَاعُ بِهِ بَقَايَا
وَتُشَجِّنِي مَعَ التَّوَدِيعِ ذِكْرَى
ذَهَبْنَا نَسْبِقُ الْأَقْدَامَ شَوْقًا
وَسِرْنَا وَالضُّلُوعُ لَهَا وَجِيفُ
لَيْنَ نَاءَتْ بِنَا الْأَوْطَانُ يَوْمًا
فَإِنَّ مَوَدَّةَ الرَّحْمَنِ تَبْقَى



عَنْ أَبِي حَازِمٍ أُحَدِّثُكُمْ . . . !!

لَقَدْ كَانَتْ اللَّحَظَاتُ رَهِيبةً وَأَنَا أَمَامُ التَّابُوتِ؛ لِأَلْقِي عَلَيْهِ النَّظْرَةَ الْأَخِيرَةَ،
وَأُقَبِّلُ جَنِينَهُ، وَأَدْعُو لَهُ، لَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ الْمَرَضُ رَوْنَقَهُ، فَاللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا أَصَابَهُ كَفَّارَةً
لَهُ وَرَفْعَةً فِي دَرَجَاتِهِ.

وَتَسَعَّرَتْ عِنْدَ الْوَدَاعِ أَضْالِعِي نَارًا خَشِيتُ بِحَرِّهَا أَنْ أُحْرَقَا
مَا زِلْتُ أَخْشَى الْبَيْنَ قَبْلَ وَقُوعِهِ حَتَّى غَدَوْتُ وَلَيْسَ لِي أَنْ أَفْرِقَا
أَكْبَادُنَا خَفَافَةً وَعُيُونُنَا لَا تَسْتَطِيعُ، مِنَ الْبُكَاءِ أَنْ تَرْمِقَا

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ»^(١)، وَأَحْسَبُ أَنَّ
أَبَا حَازِمٍ مِنْهُمْ وَاللَّهُ حَسْبُهُ.

لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ الْحَدِيثُ عَنْ شَخْصٍ أَحَبَّتُهُ، وَاسْتَفَدْتُ مِنْهُ عِلْمًا وَادِّبًا،
وَكَانَ بَرَكَةً عَلَى النَّاسِ فِي سَمْتِهِ وَعِلْمِهِ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى رَبِّهِ، لَقَدْ تَرَكَ لِي مَرَارَةً
الْمَرَاثِي الَّتِي وَسَمَتْ عَلَى قَلْبِي كُلُّوْمًا، مَا تَلَبَّثُ أَنْ تَنْدَمِلَ حَتَّى تُهَيِّجَهَا الذُّكْرِيَّاتُ،
وَلَوْ لَا الْيَقِينُ بَأَنَّ هُنَاكَ لِقَاءَ قَادِمٍ، لَسَالَتِ الْعُيُونُ حُزْنًا، وَذَابَتِ الْقُلُوبُ كَمَدًا مِنَ
الْفِرَاقِ وَتَبَارِيحِهِ.

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ قَوْمًا مَا ذَكَرْتُهُمْوَا إِلَّا تَوَقَّدَ جَمْرُ الشَّوْقِ فِي خَلْدِي
وَلَا تَذَكَّرْتُ مَغْنَاهُمْ وَأَرْضَهُمْ إِلَّا كَانَ فُؤَادِي طَارَ مِنْ جَسَدِي

عَرَفْتُهُ عَامَ ٢٠١٦م حِينَ جِئْتُ لِدِرَاسَةِ الْمَاجِسْتِيرِ فِي جَامِعَةِ Bangor

فِي شَمَالِ وَيْلَزِ فِي الْمَمْلَكَةِ الْمُتَّحِدَةِ، لَهُ دُرُوسٌ وَخُطَبٌ فِي الْمَرْكَزِ الْإِسْلَامِيِّ، وَنَشَاطٌ دَعَوِيٌّ ظَاهِرٌ سَيِّمًا مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ، مَعَ تَمَكُّنٍ وَفَصَاحَةٍ فِي اللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ سَخَّرَهَا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، كَانَ مَعَ عِلْمِهِ وَوَرَعِهِ يَعْمَلُ مُحَاسِبًا (cashier) فِي مَرْكَزِ Tesco، يُقَابِلُ كُلَّ مَنْ يَلْتَقِيهِ بِابْتِسَامَتِهِ الَّتِي يُجَلِّلُهَا وَقَارُ الْعِلْمِ وَآثَرُ الشَّيْبِ.

تَرَاهُ إِذَا مَا طَاشَ ذُو الْجَهْلِ وَالصَّبَا حَلِيمًا وَقُورًا ضَائِنَ النَّفْسِ هَادِيًا
لَهُ حِلْمٌ كَهْلٍ فِي صَرَامَةٍ حَازِمٍ وَفِي الْعَيْنِ إِنْ أَبْصُرْتَ أَبْصُرْتَ سَاهِيًا

هُوَ الشَّيْخُ الْفَاضِلُ الْحَلَبِيُّ أَبُو حَازِمٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُصْطَفَى الشَّيْخِ، وُلِدَ فِي سُورِيَّةَ عَامَ ١٩٦٠ م مِنْ عَائِلَةٍ بَسِيطَةٍ، وَنَشَأَ فِي حَلَبَ كَمَا يَنْشَأُ أَتْرَابُهُ، لَكِنَّهُ كَانَ مُخْتَلِفًا عَنْهُمْ بِشَهَادَةِ مَنْ عَاصَرُوهُ، فَقَدْ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْعِلْمُ وَالْقِرَاءَةُ، وَكَأَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا، وَصَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ أَفَاتِ مَرَحَلَةِ الشَّبَابِ، وَكَانَتْ لَهُ هَيْبَةٌ فِي الْحَقِّ، فَمَا يَجْرَأُ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ عَلَى فِعْلٍ مُنْكَرٍ أَوْ إِشَاعَتِهِ رُغْمَ حَدَاثَةِ سِنِّهِ وَقَفَتْهَا، وَنَحْسَبُهُ مِمَّنْ قَالَ عَنْهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ (إِنَّ اللَّهَ لَيَعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبُوءٌ)^(١) أَيُّ: مِيلٌ إِلَى الْهَوَى.

وَجَانِبَ أَسْبَابِ السَّفَاهَةِ وَالْخَنَا عَفَافًا وَتَنْزِيهَا فَأَصْبَحَ عَلِيًّا
وَصَانَ عَنِ الْفَحْشَاءِ نَفْسًا كَرِيمَةً أَبَتْ هِمَّةٌ إِلَّا الْعُلَى وَالْمَعَالِي

دَرَسَ الْأَدَبَ الْإِنْجِلِيزِيَّ فِي جَامِعَةِ حَلَبَ، ثُمَّ يَسَّرَ اللَّهُ لَهُ الْقُدُومَ إِلَى الْمَمْلَكَةِ الْمُتَّحِدَةِ، لِيُوَاصِلَ تَعْلِيمَهُ الْعَالِيَّ عَامَ ١٩٨٧ م، وَنَالَ دَرَجَةَ الْمَاجِسْتِيرِ فِي عِلْمِ اللُّغَوِيَّاتِ مِنْ جَامِعَةِ Bangor، ثُمَّ وَاصَلَ الدُّكْتُورَاهُ، لَكِنْ بِسَبَبِ نَشَاطِهِ الدَّعَوِيِّ

(١) أخرجه أحمد (١٧٣٧١) واللفظ له، والحاثر في ((المسند)) (١٠٩٩)، وأبو يعلى (١٧٤٩).

فِي مُنَاقَشَةِ النَّصَارَى حَصَلَتْ لَهُ بَعْضُ الْمُعَوَّاتِ لِإِكْمَالِ رِسَالَتِهِ، ثُمَّ عَاشَ حَيَاةَ الْكَفَافِ، وَاشْتَغَلَ مُحَاسِبًا فِي مَرْكَزِ Tesco قُرَابَةً ٢٠ سَنَةً أَكْبَلَ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ، مُتَمَثِّلًا مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ الْمَقْدَامِ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ».

فَقَدْ نَاكَ فَقْدَانُ السَّحَابَةِ لَمْ يَزَلْ لَهَا أَثَرٌ يُثْنِي بِهِ السَّهْلُ وَالْوَعْرُ
مَسَاعِيكَ حُلِيِّ اللَّيَالِي مُرْصَعٌ وَذِكْرُكَ فِي أَرْدَانِ أَيَّامِهَا عَطْرُ

كَانَتْ رِسَالَتِي فِي الْمَاجِسْتِيرِ عَنْ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَاسْتَفَدْتُ مِنْهُ كَثِيرًا فِي بَحْثِي، وَأَذْكُرُ حِينَ أَرَدْتُ الْجُلُوسَ مَعَهُ طَلَبْتُ رَقْمَ هَاتِفِهِ؛ لِأُتَسَّقَ مَوْعِدًا، فَعَجَبْتُ بِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ هَاتِفًا جَوًّا، وَأَنَّهُ تَرَكَهُ زُهْدًا وَرَغْبَةً عَنْهُ لِإِلْهَائِهِ وَإِشْغَالِهِ، رُبَّمَا يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ طَبِيعِيًّا قَبْلَ عَشْرِينَ سَنَةً، لَكِنْ فِي مِثْلِ زَمَانِنَا هَذَا لَا يُطِيقُهُ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ.

فَقَلَّصْ بُرْدِيهِ وَأَفْضَى بِقَلْبِهِ إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى فَنَالَ الْأَمَانِيَا
صَبُورًا عَلَى صَرْفِ اللَّيَالِي وَرُزْنِهَا كُتُومًا لِأَسْرَارِ الضَّمِيرِ مُدَارِيَا
لَهُ هِمَّةٌ تَعْلُو عَلَى كُلِّ هِمَّةٍ كَمَا قَدْ عَلَا الْبَدْرُ النُّجُومَ الدَّرَارِيَا

دَرَسَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ كُتُبَ النَّصَارَى، سَيِّمًا أَنَا جِيلَهُمُ الْمُحَرِّفَةَ حَتَّى حَدَقَهَا أَكْثَرُ مِنْهُمْ، وَخَبَرَهَا بِالْجُزْءِ وَالصَّفْحَةِ، ثُمَّ اجْتَهَدَ فِي دَعْوَتِهِمْ، وَقَبْلَ ١٥ سَنَةً اقْتَنَى أَوَّلَ جِهَازٍ حَاسِبٍ إِلَيَّ، فَكَأَنَّهُ مَلَكَ الدُّنْيَا حِينَهَا؛ لِأَنَّهُ وَجَدَ بَوَابَةً لِلدَّعْوَةِ عَبْرَ بَرْنَامِجِ (البَّالْتُوكْ)، وَاسْتَمَرَّ فِي دَعْوَةِ النَّصَارَى وَالْمُنَافَحَةِ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرِسَالَتِهِ حَتَّى قُبِيلَ وَفَاتِهِ وَهُوَ فِي الْمُسْتَشْفَى.

حَدَّثَنِي ابْنُهُ حَازِمٌ أَنَّهُ رُبَّمَا نَامَ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَوَالِدُهُ يُنَاقِشُ النَّصَارَى وَيُفَنِّدُ أَبَاطِيلَهُمْ، ثُمَّ يَسْتَقِظُ آخِرَ اللَّيْلِ وَالشَّيْخُ مَكَانَهُ، لَمْ يَتَرَحَّزْ، وَكَانَهُ فِي رِبَاطٍ، وَاصِلًا لَيْلَهُ بِنَهَارِهِ حَارِسًا لِشَعْرِ مَنْ تُغَوِّرُ الْإِسْلَامَ، وَكَانَ يَكْتُبُ بِاسْمِ رُوحِ الْحَقِيقَةِ (Spirit of truth)، وَيَبْتَغِدُ عَنِ الظُّهُورِ مُؤَثِّرًا حُمُولَ الذِّكْرِ، مُتَحَرِّيًا جَادَّةَ الْإِخْلَاصِ.

يَا غَائِبِينَ وَفِي قَلْبِي أَشَاهِدُهُمْ وَكُلَّمَا انفصلوا عَنْ نَازِرِي اتَّصَلُوا
قَدْ جَدَّدَ الْبُعْدَ قُرْبًا فِي الْفُؤَادِ لَهُمْ حَتَّى كَانَهُمْ يَوْمَ النَّوَى وَصَلُوا

كَانَ عَمَلُهُ فِي Tesco مُرْهِقًا وَطَوِيلًا، وَمَعَ هَذَا مَا صَرَفَهُ ذَلِكَ عَنِ الدَّعْوَةِ حَتَّى إِنَّ الْقَسَاوِسَةَ الَّذِينَ يَدْعُونَ النَّاسَ فِي بُيُوتِهِمْ صَارُوا يَتَجَبَّوْنَ بَيْتَ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ بِسَبَبِ قُوَّةِ حُجَّتِهِ وَتَمَكُّنِهِ مِنْ دَحْضِ شُبُهَاتِهِمْ.

صَارَ اشْتِغَالُهُ بِالدَّعْوَةِ يَأْخُذُ حِيزًا كَبِيرًا مِنْ حَيَاتِهِ، تَقُولُ أُمُّ حَازِمٍ: مُنْذُ اشْتِغَالِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالدَّعْوَةِ وَالتَّعْلِيمِ لَا أَتَذَكَّرُ أَنِّي وَإِيَّاهُ ذَهَبْنَا إِلَى مَطْعَمٍ أَوْ مَقْهَى، لَقَدْ كَانَ هَمُّهُ الدَّعْوَةُ، وَيَقُولُ لِي مُعْزِيًا: لِقَاءُنَا يَا أُمَّ حَازِمَ بِالْجَنَّةِ، وَسَيَعُوْضُنَا اللَّهُ خَيْرًا، وَلَا أَذْكُرُ -الْكَلَامَ لِأُمِّ حَازِمٍ- أَنَّهُ ضَاقَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَتَضَاقُ كَثِيرًا عِنْدَمَا يَمُرُّ عَلَيْهِ مُسْلِمٌ وَفِي أَغْرَاضِهِ الَّتِي اشْتَرَاهَا خَمْرٌ، وَيَحَاوِلُ جَاهِدًا نُصْحَهُ بِالْحُسْنَى، وَكَانَ يَحْرِصُ فِي اجْتِمَاعَاتِهِ مَعَ النَّاسِ عَلَى إِفَادَتِهِمْ، حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ اجْتِمَاعَاتٌ عَابِرَةً غَيْرَ مُرْتَبَّةٍ.

كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَتَسَوَّقَ فِي Tesco؛ لِأَسْبَابٍ كَانَتْ هِيَ أَحَدَهَا؛ لِأَسْلَمَ عَلَيْهِ، وَأَجَدَّدَ بِهِ الْعَهْدَ، قُلْتُ لَهُ مَرَّةً: يَا أَبَا حَازِمٍ حَدَّثَنِي عَنْ بَعْضِ الْقَصَصِ الَّتِي مَرَّتْ بِكَ فِي الدَّعْوَةِ. فَقَالَ: كَانَ هُنَاكَ نَصْرَانِي يَعْمَلُ مَعَنَا وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُ وَفَقَدْتُهُ، ثُمَّ

عَلِمْتُ أَنَّهُ أُصِيبَ بِمَرَضٍ غُضَالٍ، تَعَذَّرَ مَعَهُ الْعِلَاجُ، وَحِينَ التَّقِيَّتُهُ قُلْتُ لَهُ: اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى شِفَائِكَ؛ فَلَا تَيَاسُ، تَأَثَّرَ الرَّجُلُ جَدًّا، ثُمَّ طَلَبَ مِنِّي أَنْ أَدْعُوَ لَهُ، وَرَجَوْتُ إِسْلَامَهُ. وَمَرَّةً كَانَتْ عِنْدَنَا مُوظَّفَةٌ مُلْحِدَةٌ فَحَدَّثَتْهَا عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَقَالَتْ: أَنَا لَسْتُ بِحَاجَةٍ إِلَى اللَّهِ فَصَحَّحَتِي جَيِّدَةٌ وَعِنْدِي بَيْتٌ جَمِيلٌ. فَاحْتَرَقَ بَيْتُهَا بِأَكْمَلِهِ فِي الْيَوْمِ التَّالِي!

يَارَبِ هَذَا الْعَصْرُ أَلْحَدَ عِنْدَمَا سَخَّرْتَ يَارَبِّي لَهُ دُنْيَاكَ
وَاعْتَزَّ حَتَّى ظَنَّ أَنَّ الْكَوْنَ فِي يُمْنِي بَنِي الْإِنْسَانِ لَا يُمْنَاكَ
أَوْ مَا دَرَى الْإِنْسَانُ أَنَّ جَمِيعَ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ يَدَاهُ مِنْ نِعْمَاكَ؟!

وَمَرَّةً جِئْتُ وَوَجَدْتُهُ يَشْرَبُ شَرَابًا طَبِيعِيًّا مِنَ الْأَعْشَابِ، وَقَالَ لِي: إِنَّهُ يَشْكُو أَلَمَ الْمَرَارَةِ، ثُمَّ تَحَدَّثْنَا عَنِ الْحِجَامَةِ وَفَوَائِدِهَا، وَذَكَرْتُ لَهُ مَنْ يَعْمَلُهَا فِي مَانِسْتِرٍ، كَانَتْ هَذِهِ بَدَايَتُهُ مَعَ الْبَلَاءِ؛ لَقَدْ أُصِيبَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِسَرَطَانِ الْكَبِدِ، وَانْتَشَرَ، ثُمَّ مَكَثَ فِي الْمُسْتَشْفَى أَشْهُرًا، حَتَّى اعْتَذَرَ الْأَطِبَّاءُ عَنْ عِلَاجِهِ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُعَادِرَ الْمُسْتَشْفَى؛ لِيَبْقَى عِنْدَ أَهْلِهِ، وَمَعَ هَذَا كَانَ رَاضِيًا حَامِدًا مُثْنِيًا عَلَى اللَّهِ، وَزَارَهُ قَبْلَ خُرُوجِهِ مِنَ الْمُسْتَشْفَى قَسِيسٌ وَمَعَهُ أَتْبَاعُهُ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَنَاقَشَهُمْ مَعَ شِدَّةِ مَرَضِهِ.

وَفِي النَّفْسِ رُوحٌ لَا تَشِيبُ بِشَيْئِهِ وَلَوْ كَانَ مَا فِي الْوَجْهِ مِنْ خَرَابٍ

كُنْتُ عَلَى تَوَاصُلٍ مَعَهُ لَمَّا رَجَعْتُ إِلَى السُّعُودِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ ابْنِهِ حَازِمٍ، وَحِينَ قَدِمْتُ لِدِرَاسَةِ الدُّكْتُورَاهِ حَرَضْتُ عَلَى زِيَارَتِهِ، وَرُزَّتُهُ وَحِينَ التَّقِيَّتُهُ رَأَيْتُ وَجْهًا عَلَيْهِ مَخَايِلُ الْمَوْتِ، قَرَأْتُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ دَعَوْتُ لَهُ، وَقَبَلْتُ جَبِينَهُ، وَقُلْتُ لَهُ يَا شَيْخَنَا: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَنَازِلِ الْعُبُودِيَّةِ الرِّضَا عَنِ اللَّهِ فِيمَا يَقْضِيهِ، وَأَبْشُرْ

بَأَجْرِ الصَّابِرِينَ وَالْعُقْبَى الْحَمِيدَةِ فَكَانَ حَامِدًا شَاكِرًا لِرَبِّهِ، وَيَدْعُو لِي قَائِلًا: اللَّهُ يَحْنُ عَلَيْكَ، وَكَانَتْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ مُلَازِمَةً لَهُ تَقَبُّلَهُ اللَّهُ.

تُوَفِّي رَحْمَةُ اللَّهِ فَجَرَ يَوْمَ السَّبْتِ ١٤ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ ١٤٤٠ هـ الْمُؤَافِقِ ٢٢ دِيَسَمْبَرِ ٢٠١٨ م عَنْ ٥٨ سَنَةٍ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ فِي الْمَرْكَزِ الْإِسْلَامِيِّ فِي مَدِينَةِ Bangor، وَدُفِنَ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ فِي شَمَالِ ويلز رَحْمَةُ اللَّهِ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

ذَهَبَ الشَّبَابُ وَسَوْفَ أَذْهَبُ مِثْلَمَا ذَهَبَ الشَّبَابُ وَمَا امْرُؤٌ بِمُخَلَّدٍ
إِنَّ الْفَنَاءَ لِكُلِّ حَيٍّ غَايَةٌ مَحْتُومَةٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ فَكَأَنَّ قَدْ

وَأَسْأَلَ اللَّهَ لَهُ أَجْرَ الشُّهَدَاءِ وَمَنَازِلَهُمْ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا تَعُدُّونَ الشُّهَدَاءَ فِيكُمْ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ. قَالَ: إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيلُ. قَالُوا: فَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونَ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ»^(٢).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ: وَالْمَبْطُونُ: هُوَ صَاحِبُ دَاءِ الْبَطْنِ - وَهُوَ الْإِسْهَالُ - قَالَ الْقَاضِي: وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي بِهِ الْإِسْتِسْقَاءُ وَانْتِفَاحُ الْبَطْنِ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي تَشْتَكِي بَطْنَهُ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَمُوتُ بِدَاءِ بَطْنِهِ مُطْلَقًا. انْتَهَى.

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

أَسْأَلُ اللَّهَ الرَّحِيمَ الْوَدُودَ أَنْ يَرْحَمَهُ وَيَتَقَبَّلَهُ فِي عِلِّيَّينَ، وَيُلْهِمَ زَوْجَهُ الْفَاضِلَةَ
أُمَّ حَازِمٍ وَابْنَهُ حَازِمًا وَبَنَاتِهِ دِيمًا وَفَاطِمَةَ الصَّبْرِ وَالسُّلْوَانَ، وَأَنْ يُبَارِكَ فِي أَعْمَارِهِمْ
وَأَرْزَاقِهِمْ، وَيَصْرِفَ عَنْهُمْ السُّوءَ، وَيَعْقِبَهُمُ الْعَاقِبَةُ الْحَمِيدَةُ فِي الدَّارَيْنِ.

وَقُلْتُ فِي رِثَائِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

دَهَمَ النَّفُوسَ بِلَوْعَةٍ وَمَرَارِ
جَادَتْ عَلَيْهِ بِدْمَعِهَا الْمِذْرَارِ
شَيْخٌ كَمِثْلِ الْكَوْكَبِ الدَّرَارِ
مَطْبُوعَةٌ أَخْلَافُهُ بِوَقَارِ
كَانَتْ مَشَاعِلُهَا مِنَ الْمُخْتَارِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَتَأَمَّلِي لُطْفَ الرَّحِيمِ الْبَارِي
فَهِيَ الَّتِي طُبِعَتْ عَلَى الْأَكْدَارِ
إِذْ قَالَ بَيْتًا ذَاعَ فِي الْأَمْصَارِ
شَتَانَ بَيْنَ جَوَارِهِ وَجَوَارِي "
تَفْنَى كَحُلْمٍ طَافَ بِالْأَسْحَارِ
نَحْوَ الْخُلُودِ بِجَنَّةِ الْأَبْرَارِ

خَطْبُ كَوْفَعِ الصَّارِمِ الْبِتَّارِ
خَطْبُ بَكْتٍ (وِيلِزْ) عَلَيْهِ وَشَامُنَا
لَمَّا تَوَى مِنْ رُكْنِهَا وَعِمَادِهَا
الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ وَالِدُ حَازِمٍ
رَجُلٌ بَنَى بِالْعِلْمِ دَعْوَتَهُ الَّتِي
لَا تَحْزِنِي يَا أُمَّ حَازِمٍ وَاصْبِرِي
مَا كَانَتْ الدُّنْيَا خُلُودًا دَائِمًا
وَتَذَكَّرِي قَوْلَ التَّهَامِي رَائِيَا
"جَاوَزْتُ أَعْدَائِي وَجَاوَرَ رَبَّهُ
مَهْمَا تَطَوَّلَ بِنَا الْحَيَاةُ فَإِنَّهَا
مَا الْمَوْتُ إِلَّا رِحْلَةٌ وَوِلَادَةٌ



رَصِيفُ الْوَدَاعِ

أَقَامَ قِسْمُ الدَّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي جَامِعَةِ الدَّمَّامِ حَفْلًا وَدَاعِيًا لِاسْتِاذِنَا الدُّكْتُورِ
السر الطاهر فَالْقَيْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي عَامِ ١٤٢٨ هـ:

رُدُّوا فُؤَادِي وَهَاتُوا كُلَّ أَشْجَانِي
وَاتْلُوا عَلَيَّ مِنَ الْأَشْعَارِ أَعْذِبَهَا
فَالْيَوْمَ وَافَيْتُ مِيعَادًا يُورِّقُنِي
وَأَحْبِسُ الدَّمْعَ خَوْفًا أَنْ تُنَاطِرَهُ
مَالِي أَصْبَرُ نَفْسًا لَا فُؤَادَ لَهَا
مَهْمَا تَقُولُ .. فَاسْمَاعِي مُغَلَّقَةٌ
تُصَافِحُ الشَّمْسُ أَجْفَانُ مُسَهَّدَةٌ
أَتَيْتُ أَرْمُقَ وَالتَّارِيخُ مُشْرَعَةٌ
ثُمَّ انْتَبَهْتُ وَلِلتَّوْدِيْعِ أَرْصِفَةٌ
فَسَافَرْتُ سُفْنِي وَالْبَحْرُ نَائِرَةٌ
قُلْ لِي بِرَبِّكَ كَيْفَ الْقَلْبُ طَاوَعَكُمْ
وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْجُرْحَ مُلْتَهَبٌ
إِنِّي أَرَاكَ سَتَغْضِ الطَّرْفَ مُبْتَعِدًا
وَتَرَحَّلُونَ بِصُمْتٍ وَالْأَسَى غُصَصٌ
دَعْنِي أُفْتَشِرْ فِي أَيَّامِ صُحْبَتِكُمْ
سَقَيْتَنِي بِعُلُومِ الْوَحْيِ مُجْتَهِدًا
عَلَّمْتَنِي خُلُقَ الْأَسْلَافِ مُتَّبِعًا
وَأَوْقِدُوا مِنْ عَظِيمِ الشَّوْقِ بُرْكَانِي
وَهِيضُوا مِنْ بَيَانِ الْحُبِّ وَجْدَانِي
تَبَعَثَتْ فِيهِ أَوْرَاقِي وَأَبْكَانِي
لَكِنْ وَشَتَكَ بِمَا أَخْفِيهِ أَجْفَانِي
وَأَزْتَمِي فَوْقَ آهَاتِي وَأَحْزَانِي
وَمُقْلَتِي بِشُمُودِ الْهَمِّ تَصْلَانِي
وَتُسْكَبُ الرُّوحُ فِي شِعْرِي وَأَوْرَانِي
أَبْوَابُهُ وَكَأَنِّي خَائِفٌ عَانَ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُكُمْ فِيهَا سَتَلْقَانِي
أَمْوَاجُهُ وَمَجَادِيْفِي بِأَيْمَانِي
عَلَى الْفِرَاقِ وَكَيْفَ الْيَوْمَ تَنْسَانِي؟
وَالْيَوْمَ أَصْبَحَ بِالتَّوْدِيْعِ يَنْعَانِي
عَنِ الْجَمِيعِ بِلَا شَوْقٍ وَتَحْنَانٍ
وَتَكْسِرُونَ مَعَ الْأَيَّامِ عِيدَانِي
دَعْنِي أُسَجِّلُ فَالتَّارِيخُ نَادَانِي
وَكَمْ رَوَيْتَ مِنَ التَّفْسِيرِ إِيْمَانِي
نَهَجَ النَّبِيِّ بِلَا زَيْغٍ وَبُهْتَانٍ

مِنَ الْحَنَانِ عَلَيْهَا كُلُّ إِحْسَانٍ
وَوَاضِعًا بِأَسَاسِ الْعَزْمِ أَرْكَانِي
مُكَلَّلًا بِضِيَاءِ الصِّدْقِ بُيَانِي
تُعِفُّ نَفْسَكَ عَنِ بُسْتَانِ خِوَانٍ
تَخْشَى الْمُهَيِّمِينَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ
لَمَّا اتَّخَذْتَ قَرَارًا فِيهِ هَجْرَانِي
ثَوْبَ الْوَدَاعِ فَسَيْفُ الْبُعْدِ أَرْدَانِي
وَالْكُلُّ يَشْهَدُ مِنْ قَاصٍ وَمِنْ دَانٍ
بَشْتِكُمْ بَعْضَهَا وَالْبَعْضُ أَعْيَانِي
هَذِي الْأَرْوَمَةَ فِي وَاحَاتِ قُرْآنٍ
بُعْدُ الدِّيَارِ وَلَوْ فِي أَرْضِ سُودَانٍ

يَا نَاسِجًا بِحَيَاتِي كُلَّ أَلْبَسَةٍ
وَرَافِعًا بِصُرُوحِ الْعِلْمِ أُبْنِيَّتِي
وَسَاقِيًا بِرَحِيقِ الشَّعْرِ قَافِيَّتِي
لَقَدْ خَبَرْتُكَ وَالْأَيَّامُ شَاهِدَةٌ
وَمَا عَلِمْتُكَ إِلَّا رَاجِيًا وَجِلًّا
لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ يَا دُكْتُورُ مَا شَجَنِي
وَمَا شَهَرْتَ سُيُوفَ الْبُعْدِ مُتَشَحًّا
لَقَدْ أَحَبَّكَ مَنْ لَاقَيْتَ قَاطِبَةً
هَذِي أَحَاسِيسُ قَلْبٍ مُرْهَفٍ دَنَفٍ
يَا شَيْخَنَا السِّرَّ لَوْلَا اللَّهُ مَا عُقِدَتْ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ جِسْرٌ لَا يُكَدِّرُهُ



بدون العلمِ

رَامَ السَّرَابَ لَعَمْرُ اللَّهِ خَسِرَانَا
كَأَنَّهُ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ سَكْرَانَا
يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ مَحْرُومًا وَظَمَانَا

مَنْ رَامَ مَجْدًا بِغَيْرِ الْعِلْمِ أَحْسَبُهُ
وَمَنْ أَعَدَّ بِغَيْرِ الْعِلْمِ عُدَّتُهُ
وَمَنْ أَرَادَ مَعِينًا غَيْرَ "حَدَّثَنَا"



مَقَادِيرُ النَّجَاحِ

يَا رَبِّ صَعْبٌ بِالْعَزْمِ سَهْلٌ، وَطَوِيلٌ بِالْحَزْمِ قَصْرٌ، وَبَعِيدٌ بِالطُّمُوحِ قَرَبٌ،
وَعُزْبَةٌ بِالْأَنْسِ وَطَنٌ، وَمُصِيبَةٌ أَلَتْ فَرَحًا لَمَّا نَظَرْتَ إِلَى الْعَاقِبَةِ، وَحَيَاةٌ فِي سِرْدَابِ
الْأَلَمِ صَابِرَةٌ؛ لِسُمُوءِ غَايَتِهَا وَتُبُلِّ طَرِيقِهَا ... إِذَنْ:

فِبِالْعَزْمِ، وَالْحَزْمِ، وَالطُّمُوحِ، وَالْأَنْسِ، وَالنَّظَرِ إِلَى الْعَاقِبَةِ، وَالصَّبْرِ، وَسُمُوءِ
الْقَصْدِ، امْزُجْ وَعَاءَ حَيَاتِكَ بِتِلْكَ الْمَقَادِيرِ الثَّمِينَةِ إِنْ أَرَدْتَ الْفَلَاحَ فِي الدَّارَيْنِ،
وَتَذَكَّرْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١).



النَّظَرِيَّةُ النَّسَبِيَّةُ

نَظَرْتُ لِحَالِ التُّجَّارِ مَعَ الدُّنْيَا وَالتُّجَّارِ مَعَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَوَجَدْتُ عَجَبًا! فَكُلَّمَا
زَادَ مَالُ الْمَرْءِ زَادَ حِرْصُهُ، وَشُحُّهُ، وَغُمُوضُهُ، وَكُلَّمَا قَلَّ مَالُهُ وَجَدْتُهُ خِلَافَ ذَلِكَ،
وَكَذَلِكَ التُّجَّارُ مَعَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ كُلَّمَا زَادَ رَصِيدُ الْعَبْدِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَأَوْجُهُ الْبِرِّ، زَادَ
حِرْصًا عَلَيْهَا وَشُحًّا بِهَا وَإِخْفَاءً لَهَا، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مُزَجَّى الْبِضَاعَةِ وَجَدْتُهُ خِلَافَ
ذَلِكَ، وَقَلَّمَا يَسْلَمُ مِنْ هَذِهِ النَّسَبَةِ أَحَدٌ.



مُتَعَةُ الْعَطَاءِ

أَقْبِلْ هُنَا فَالشَّمْسُ مُشْرِقَةٌ السَّنَا
وَأَمْلًا صَحَافَكَ مَا تُرَجِّي نَفْعَهُ
يَا بَاغِيًا لِلْخَيْرِ دُونَكَ هَذِهِ
فَعَلَى رَبِّي الْإِحْسَانِ ارْتَقِ لِلذُّرَى
وَاسْتَبِقْ فِي دَارِ الْجَزَاءِ بِضَاعَةً
فَالْمَرْءُ تَبْقَى بَعْدَهُ آثَارُهُ
بِالْبَرِّ تَبْقَى فِي سَمَائِكَ لَا تَغِيبُ
إِنَّ الْحَيَاةَ بِدُونِ بَذْلِ لَا تَطِيبُ
آيَاتِ رَبِّكَ "أَنْفِقُوا" أَئِنَّ الْمُجِيبُ؟
كَمْ مُنْفِقٍ حَازَ الْمَنَازِلَ مِنْ قَرِيبُ
فَلَعَلَّهَا تُنْجِيكَ مِنْ حَرِّ اللَّهَيْبِ
إِمَّا سَيُحْمَدُ مَا يُقَدَّمُ أَوْ يَخِيبُ



عَيْنُ الْقَنَاعَةِ

"عَيْنَاكَ الضَّيِّقَتَانِ تَبْتَلِعَانِ الْفَضَاءَ الْوَاسِعَ!!

أَلَيْسَ هَذَا عَجَبًا!!

وَكَذَلِكَ النَّفْسُ إِنْ لَمْ تَقْنَعْ، فَلَا يَزَالُ هَجِيرَاهَا ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ۝٣٠﴾^(١) حَتَّى وَلَوْ
كَانَ فِيهِ هَلَاكُهَا! فَتَهْوِي وَتَحْسِبُ أَنَّهَا فِي صُعُودٍ، وَتَذْوِي وَتَحْسِبُ أَنَّهَا رَيَّانَةٌ،
وَتَغْلُ يَدَيْهَا بِحُرِّيَّةِ الطَّمَعِ، وَيَنْكَسِرُ جِذْعُهَا بِطَلَبِ السَّرَابِ "إِنْ أُعْطِيتَ تَأَقَّتْ
وَأِلَّا تَسَلَّتْ" فَاعْمِدْ إِلَى عَيْنِ الْقَنَاعَةِ، وَاسْقِ بِهَا عَيْنَيْكَ لِتَصْفُو لَكَ الرُّؤْيَا، فَالِنَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَإِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ"^(٢).



(١) [سورة ق: آية ٣٠].

(٢) رواه البخاري ٦٤٤٦ ومسلم ١٠٥١.

إِلَى عَدَنَ

أَحْبَبْتُهَا صَادِقًا وَالْحُبُّ أَبْعَدَنِي
وَكَمْ مَضَيْتُ إِلَيْهَا طَالِبًا يَدَهَا
طَلَبْتُ مَجْلِسَهَا قَالَتْ: سَنَنْظُرُهُ
وَدَعَّعْتُهَا وَدُمُوعِي أَسْرَجَتْ فَلَمِي
لَوْ أَنَّهَا نَطَقَتْ بِالْبَيِّنِ أَعْذَرُهَا
فَلِلْقُلُوبِ أَمَارَاتٌ يُدَلُّ بِهَا
مِنَ الرِّيَاضِ فَأَجْلَانِي إِلَى عَدَنِ
وَلَمْ يَضُقْ أَبَدًا فِي صَدِّهَا عَطْنِي
وَكَانَ أَسْلُوبُهَا فِي الرَّدِّ بِالْحَسَنِ
وَأَشْعَلَتْ خَافِقِي بِالشَّوْقِ وَالشَّجَنِ
لَوْ أَنَّهَا عَلِمَتْ حُبِّي بِلَا ثَمَنِ
وَلِلْمَحَبَّةِ أَوْطَانٌ بِلَا وَطَنِ



مِيقَاتُ الْجَامِعَةِ

٢٣ جمادى الآخرة ١٤٤١هـ

❁ قَصِيدَةُ قُلْتُهَا فِي الصَّدِيقِ الشَّهْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الدَّبَّاسِ

وَإِذَا قَصَدْتَ إِلَى الْمَكَارِمِ وَالنَّدَى
رَجُلٌ لَهُ عِنْدَ الْجَمِيعِ مَوَاقِفُ
لَوْ أَنَّ جَامِعَةَ الْإِمَامِ مَشَاعِرُ
يَهْتَزُّ لِلْمَعْرُوفِ فِي طَرَبٍ لَهُ
يَا ابْنَ الدَّبَّاسِ سَقَّتْكَ أُمُّكَ مُرْضَعًا
وَتَزِيدُ جَامِعَةَ الْإِمَامِ تَمِيزًا
إِنْ جَاءَكَ الْقَصَادُ فِي حَاجَاتِهِمْ
وَكَذَاكَ أَهْلُ النَّبْلِ فِي أَخْلَاقِهِمْ
فَاقْصِدْ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ سَنَامَهَا
وَفَضَائِلُ يُمْنَى تَرَى وَشِمَالَهَا
فَمَكَانُهُ الْمِيقَاتُ فِي أَنْحَائِهَا
إِنْ أَحْجَمْتَ يَوْمَ الْكُرُوبِ لِنَائِمَهَا
بِالْجُودِ مَمْزُوجًا عَلَيْكَ لِبَانَهَا
إِنْ كُنْتَ فِيهَا نَجْمَهَا وَهَلَالَهَا
قَابَلَتْهُمْ بِالْبَشْرِ قَبْلَ تَمَامِهَا
تَبْقَى مَوَدَّتُهُمْ عَلَى أَحْوَالِهَا

عُبُودِيَّةُ الصَّمْتِ

يَا لِهَذِهِ الْعِبَادَةِ!

إِنَّهَا الْبِرُّ كُلُّهُ لَوْ أُقِيمَتْ عَلَى سَاقِ الْحَقِّ، وَمَنْ أَضَاعَهَا فَهُوَ فِي غَفْلَةٍ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا! فَالصَّامِتُ نَاجٍ، وَ(مَنْ صَمَتَ نَجَا)^(١)، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَ الصَّمْتِ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْعِبَادَةُ بِاللِّسَانِ أَلْيَقُ (فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)^(٢) إِلَّا أَنَّهَا بِالْجَوَارِحِ أَحَقُّ، فَصَمْتُ الْأُذُنِ مَثَلًا كَفُّهَا عَنِ الْحَرَامِ، وَكَذَلِكَ الْعَيْنُ... فَالصَّامِتُ بِهَذِهِ الْمَعَانِي مِنْ أَهْلِ الْوَلَايَةِ صِدْقًا (كُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ...)^(٣) فَإِنَّهُ لَمَّا صَمَتَتْ جَوَارِحُهُ عَنِ الْحَرَامِ، نَطَقَ فُؤَادُهُ بِالْقُرْبَاتِ، فَأَحْسَنَ وَاسْتَكْثَرَ، وَالْخَاتِمَةُ: أَنَّ الصَّامِتَ عَنِ الْمُبَاحِ مُهَابٌ، وَعَنِ الْحَرَامِ وَلِيٌّ، وَعَنِ الطَّاعَةِ أَنْتَ تَعْرِفُهُ!! فَكُنْ بِالْأَوَّلِ وَثِيقًا، وَبِالثَّانِي حَقِيقًا، وَإِيَّاكَ وَالْآخِرَ فَإِنَّهُ الْغُبْنُ كُلُّهُ.



(١) رواه أحمد ٦٤٨١ والترمذي ٢٥٠١ وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري ٥١٨٥ ومسلم ٤٧.

(٣) رواه البخاري ٦٥٠٢.

هَمْسَةُ مَحْزُونٍ

وَأَشْرَقَ الْفَجْرُ فَازْدَانَتْ بِهِ مُقْلِي
وَالْأَرْضُ مُخْضَرَّةٌ وَالْغَيْثُ فِي هَطَلٍ
وَمَا خَشِيتُ عَلَى رَوْضِي مِنَ الْمَحَلِ
بِهَا مَزَجْتُ عَظِيمَ الْحُبِّ بِالْمَثَلِ
قَدْ أُلْبَسْتُ بِسَنَّاكُمُ زَاهِي الْحُلِ
مَقْتُولَةً بِسُيُوفِ الْبُعْدِ وَالنَّصَلِ
مِنْ عَابِسٍ حَزَنٍ مِنْ ضَا حِكِ جَدَلِ
وَرَاكِبِ الْوَعْرِ لَنْ تَمْضِيَ بِلا كَلَلِ
عَادَتْ إِلَيَّ بِهِمْ غَيْرَ مُنْسَدِلِ
وَبَيْنَ مُبْتَسٍ قَدْ فُكَّ مِنْ غَلَلِ
وَالشَّمْسُ مُشْرِقَةٌ تَبْدُو عَلَى مَهَلِ
وَكُلُّ نَا زَلَةٍ مَكْتُوبَةٌ الْأَجَلِ

سَرَى الضَّيَاءُ فَأَشْجَانِي إِلَى أَمْلِي
حَوْلِي الْبَسَاتِينُ وَالْأَثْمَارُ يَانِعَةٌ
فِي دَوْحَتِي وَرِيَا حِينِي مُعْطَرَةٌ
وَصِرْتُ أَكْتُبُ أَبْيَاتًا مُحَبَّرَةً
يَا أَيُّهَا الْبَدْرُ أَبْيَاتِي مُعَلَّقَةٌ
لَكِنَّهَا تَبْدُو بِالْحُزْنِ وَاضِحَةٌ
وَهَكَذَا حَالَةُ الدُّنْيَا مُذْبَذَبَةٌ
يَا طَالِبَ الْمَجْدِ لَنْ تَلْقَاهُ فِي دَعَةٍ
يَا أُمَّتِي وَهُمُومِي كُلَّمَا انْسَدَلَتْ
كَمْ بَيْنَ مُبْتَهَجٍ وَالْقَيْدِ يَرْسُفُهُ
هَذَا يَقِينِي بِأَنَّ الْفَجْرَ مُبْتَسِمٌ
وَأَيُّ بَلَوَى إِذَا اشْتَدَّتْ فَعَافِيَةُ



الْمَنْهَجُ الْقَوِيمُ

فَلَقَدْ شَدَدْنَا بِالنُّصُوصِ لَهَا الْعُرَى
لَا نَرْتَضِي بَدَلًا بِهِ رَأْيًا يُرَى
وَعَلَى سَبِيلِ السَّابِقِينَ بِهَا نَرَى
إِنْ كَانَ لَيْلُ الْجَاهِلِينَ بِهِمْ سَرَى
ضَلَّ الْهَدَايَةَ سَادِرًا وَمُحِيرًا
إِنْ كَانَ قَدْ أَشْقَاهُ قَبْلُ تَكْذُرًا
تَهْدِي الَّذِي ضَلَّ الطَّرِيقَ وَكُفِّرًا
مُتَدَفِّقٌ يَغْزُو الْقُلُوبَ كَمَا تَرَى
لَمَّا رَأَتْ حَالَ الْجِهَادِ تَغَيَّرَا
كَنْزُ بِهِ الْمُخْتَارُ كَانَ مُبَشِّرَا
إِنْ مَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ وَأَذْبَرَا
أَوْ رَدَّ أَفَّاكَ عَلَيَّ تَكْسُرَا
فَالْحَقُّ حَقٌّ لَوْ تَزَيَّنْتَ الْفِرَى
وَأَسُوقُ إِسْنَادَ الصَّحِيحِ مُذْكَرَا
وَأَفَاضَهُ مِنْ هَدْيِهِ مَا نَوَّرَا

إِنْ تَسْأَلُونَ عَنِ الطَّرِيقَةِ مَنْ دَرَى
مُتَمَسِّكِينَ بِمَنْهَجٍ أَحْمَدَ كُلَّهُ
فَعَلَى النُّصُوصِ حَيَاتُنَا وَمَمَاتُنَا
وَبِهَا تَسِيرُ عَلَى الْهُدَى خَطَوَاتُنَا
وَبِهَا الشِّفَاءُ لِمَنْ بِهِ ظَمًا وَمَنْ
نَسْقِيهِ مِنْ نَهْرِ الرَّسُولِ حَلَاوَةً
فِيصِيبُهُ مِنْ قَوْلِهِ إِشْفَاةٌ
فَمَعِينُهُ صَبٌّ وَعَذْبٌ وَافِرٌ
يَا عَاذِلِي أَضَالِعِي مَحْزُونَةً
يَا عَاذِلِي تَرَفَّقَا فِيضَاعَتِي
وَأَقُولُهُ نُصْحًا وَحُبًّا مُشْفِقًا
أَوْ ظَنَّ مَفْتُونٌ بِفَقْدِ رِيَاسَةٍ
لَوْ تَعْلَمُونَ!! فَلَيْسَ هَذَا ضَائِرِي
فَأَقُولُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ
فَهَذَاكَ قَالَ الْمُصْطَفَى لِحُدَيْفَةَ^(١)

(١) عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: "نَعَمْ". قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: "نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ". قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: "قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ". قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: "نَعَمْ، دُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا". قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: "هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانِ". قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: "تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ".

عَنْ شَقَّهَا كَانَ الرَّسُولُ مُحَذَّرًا
فَبِهْدِيهِ رَسْمُ السَّلَامَةِ صُورًا
وَاتْرُكْ بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ وَكُنْ ذُرَى
وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ يَرَى
الْقَاكَ فِي سَبِّ الْأَلَى مُتَدَثِّرًا
وَاعْرِفْ لَهُمْ مَا قَدَّمُوهُ إِلَى الْوَرَى
مُحْصَى عَلَيْهِ مُبَيَّنًا وَمُقَدَّرًا

أَنَّ السَّلَامَةَ فِي الْجَمَاعَةِ دَائِمًا
فَالزَّمْ مَقَالَهَ أَحْمَدٍ وَرِكَابَهُ
وَدَعْ التَّحَزُّبَ وَابْتَعدْ عَنْ أَهْلِهِ
وَاحْفَظْ لِسَانَكَ لَا تَكُنْ مُتَفَحِّشًا
وَاعْرِفْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ مَنَزِلَةً وَلَا
أَحْسِنْ بِهِمْ ظَنًّا وَسُدَّ عُيُوبَهُمْ
فَالْكُلُّ مَوْقُوفٌ عَلَيْهِ لِسَانُهُ



شَوَاطِ

وَشَكَّى فُؤَادِي مِنْ عَظِيمِ بَلَائِهِ
فَبِهَا أَنْفُسُ بَعْضٍ مَا أُصْلَى بِهِ
وَمُحَطَّمِ الْأَضْلَاعِ مِنْ لَأْوَائِهِ
وَاللَّيْلِ فِي إِسْبَالِهِ وَغِطَائِهِ
صَالَتْ عَلَيْهِ وَأَوْضَعَتْ بِفَنَائِهِ
وَاسْتَوْثَقَتْ مِنْ صَمْتِهِ بِوَفَاتِهِ
وَكَأَنَّهُ يُبْنِي عَلَى أَنْقَاضِهِ
وَمُكَبَّلًا فِي عَجْزِهِ وَبُكَائِهِ
وَشَوَاطِ نَارٍ سُعِّرَتْ بِرِدَائِهِ

غَلَبَ الْبُكَاءُ دَمْعِي فَجَدْتُ بِمَائِهِ
وَعَلْتُ عَلَى الْأَنْفَاسِ أَنَا تُ الْجَوَى
يَا لَابِسَاتُوبِ الْعَزَاءِ مُسْهَدًا
وَمُرَاقِبًا تِلْكَ النُّجُومَ بِفَلَكَهَا
تَسْرِي عَلَيْهِ جَحَافِلُ الْهَمِّ الَّتِي
تَرَكْتُهُ نِضْوًا لَيْسَ فِيهِ بَقِيَّةٌ
لَمْ تُغْنِهِ عَنْ حُزْنِهِ أَبْيَاثُهُ
اللَّهُ يَا صَدْرًا مَلِيئًا بِالْأَسَى
مِمَّا بِهِ مِنْ حَالِ أُمَّتِهِ لَظَى

= قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: "فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَصَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ" رواه البخاري ٧٠٨٤ ومسلم ١٨٤٧.

دَدَسَن ٨٤

سَيَّارَتِي دَاتَسَن ٨٤، لِي فِيهَا ذِكْرِيَّاتٌ جَمِيلَةٌ، عِشْتُ مَعَهَا عُمْرًا، وَتَحَوَّلَاتٍ،
 فَأَنَّى أَنْسَاهَا؟! أَصْلَحُهَا بِالْيَسِيرِ فَتَقْنَعُ، وَبِأَفْكَارٍ إِبْدَاعِيَّةٍ، كَانَ تَانِكِي الْبُزْنِينَ مَثْقُوبًا،
 فَنَسْدُهُ بِتَمْرَةٍ فَيَنْصَلِحُ حَالَهُ، وَالرَّدِّيَتَرُ كَذَلِكَ، يَتَسَرَّبُ مَاؤُهُ بِهَدْوٍ وَثَبَاتٍ، وَأَعْلَمُ
 مَتَى أَقِفُ لِأَمْلَاءِهِ مِنْ جَدِيدٍ، وَأَحْيَانًا أَفَاجِئُهَا بِمَطْبٍّ أَضْرِبُهَا بِهِ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ، ثُمَّ
 أَعْتَذِرُ إِلَيْهَا، فَتَقْبَلُ اعْتِذَارِي، هَيْئَةً لَيِّنَةً مُوَاتِيَةً مُوَاسِيَةً، لَا تُكَلِّفُنِي مَالًا وَلَا تَصْنَعُ،
 وَلَا غُسْلًا وَتَرْيِيْنًا، أَلْفُتْهَا وَأَلْفَتْنِي، وَأَحْبَبْتُهَا وَأَحْبَبْتَنِي، وَرَضِيتُ عَنْهَا، وَرَضِيتَ
 عَنِّي، لَمْ يَكُنْ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ مَظَاهِرِ التَّرَفِّ، لَا مُكَيِّفَ وَلَا مُسَجِّلَ، أَسْتَمْتِعُ فِيهَا
 بِكُلِّ الْفُصُولِ الْأَرْبَعَةِ، بِهَا عَرَفْتُ مَعْنَى الشِّتَاءِ وَالْخَرِيفِ وَالصَّيْفِ وَالرَّيْبِ، لَقَدْ
 كُنْتُ أَجِدُ فِيهَا مِنَ الْأَنْسِ فِي مُرَاجَعَةِ مَحْفُوظَاتِي، الشَّيْءُ الَّذِي افْتَقَدْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ
 فِي السَّيَّارَاتِ الْحَدِيثَةِ، كَانَتْ عَلَى قُوَّتِهَا ذَاتَ حَدِيدٍ مُتَاكِلٍ مُتَهَالِكٍ، فَتَعَلَّمْتُ مِنْهَا
 الصَّبْرَ، وَالتَّوَاضُعَ، وَتَحَمُّلَ السُّخْرِيَّةِ، وَتَرَكَ التَّكَلُّفَ، كُنْتُ بِهَا فَخُورًا، أَذْهَبُ بِهَا
 إِلَى الْمُنَاسَبَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ وَأَنَا بِكَامِلِ أَنْاقَتِي، وَأَحْرِصُ أَنْ أُوقِفَهَا فِي صَدْرِ الْمَوَاقِفِ؛
 لِيَرَاهَا النَّاسُ، فَمَا كُنْتُ -وَاللَّهِ- مِمَّنْ يَخْجُلُ مِنْ مِثْلِهَا، وَهَلْ أَسْتَطِيعُ؟!

وَرُبَّمَا تَعْجَبَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنْاقَتِي وَقَارَنَهَا بِسَيَّارَتِي، إِذْ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ؟!
 وَأَعَذَّرُهُ، فَهُوَ لَا يَعْلَمُ الْأَصْرَةَ الَّتِي بَيْنَنَا! وَإِلَّا فَهَلْ كُنْتُ إِلَّا وَفِيًّا، شَامِخًا بِمَا عِنْدِي
 وَبِمَا أَمْلِكُ! مَاذَا تُغْنِينِي الْمَظَاهِرُ؟!

وَقَوْلُ الْأَعَادِي إِنَّهُ لَخَلِيعُ
 إِذَا قِيلَ لِي يَا عَبْدَهَا لَسَمِيعُ

وَهَانَ عَلَيَّ اللَّوْمُ فِي جَنْبِ حُبِّهَا
 أَصَمُّ إِنْ نُودِيتُ بِاسْمِي وَإِنَّنِي

كُنْتُ أَوْصِلُ أُخْتِي الْكُبْرَى لِعَمَلِهَا فِي الْمَدْرَسَةِ عَلَى كُرْهِ مِنْهَا، فَهِيَ تَرَى رُكُوبَهَا مِنْ بَابِ أَكْلِ الْمَيْتَةِ، فَتَطْلُبُ بِلُطْفِهَا الْمُعْتَادِ أَنْ أَقْفَ وَأَتَأَخَّرَ عَنِ الْبَوَابَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَكْلِ الْمَيْتَةِ أَنْ يَنْبَغِي وَيَعْتَدِي، لَكِنْ عَبَثًا تَحَاوَلُ، فَهِيَ وَإِنْ رَأَتْهَا مَيْتَةً لَكِنَّهَا عِنْدِي أَشْهَى مِنَ الْمَنْدِي عَلَى بَطْنٍ خَاوٍ، فَكُنْتُ أَوْصِلُهَا إِلَى الْبَابِ عِنْدَ زَمِيلَاتِهَا، فَتَخْرُجُ وَهِيَ تُتَمِّمُ بِصَوْتِ أَسْمَعُ نَعْمَهُ وَلَا أُمِيرُ حُرُوفَهُ، لَكِنَّهَا كَانَتْ غَاضِبَةً عَلَى مَا يَبْدُو!!

وَهَذِهِ السَّيَّارَةُ الْفَرِيدَةُ رَكِبَ مَعِيَ فِيهَا أَعَزُّ الْأَصْحَابِ وَخُلَاصَةُ مَشَايِخِي، بَلْ كَانَ يَسْتَوْقِفُنِي بَعْضُ النَّاسِ وَمِنْهُمْ دَوْرِيَّاتُ الشَّرْطَةِ لَا لِجُرْمٍ أَوْ لِمُخَالَفَةٍ، إِنَّمَا لِيُقَاوِضُونِي عَلَى بَيْعِهَا لَهُمْ، يَحْسِبُونَهَا رَخِيصَةً لِمَظْهَرِهَا، وَهِيَ عِنْدِي -وَاللَّهِ- ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، لَكِنْ رَأَوْهَا بَعَيْنٌ ظَالِمَةٌ، وَهَذَا حَالُ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَرَوْنَ سِوَى الْمَظَاهِرِ!

نَظَرُوا بِعَيْنِ عَدَاوَةٍ لَوْ أَنَّهَا عَيْنُ الرِّضَا لَا سَتَحْسَنُوا مَا اسْتَبَحُّوا

إِنَّ أَجْمَلَ النِّسَاءِ مَعَ مُرُورِ الْأَيَّامِ يَذْهَبُ جَمَالُهَا وَبَرِّيقُهَا، وَإِنْ قَرَحَتْهُ وَمَلَحَتْهُ، لَكِنَّ سَيَّارَتِي مَا أزدادت مَعَ تَعَاقُبِ الْحَدَثَانِ وَتَقَلُّبِ الزَّمَانِ إِلَّا جَمَالًا وَبَرِّيقًا، لَقَدْ جَرَّبْتُ السَّيَّارَاتِ بَعْدَهَا فَمَا أزددتُ لَهَا إِلَّا شَوْقًا، لَا كُرْهًا فِي الْجَدِيدِ، بَلْ لِتِلْكَ اللَّحْظَاتِ الْإِيمَانِيَّةِ الَّتِي ارْتَبَطَتْ عِنْدِي مَعَهَا فِي دُرُوسِ الْعُلَمَاءِ وَمَحَاضِرَاتِهِمْ، أَزُورُ الْمَكَاتِبَ لِلْقِرَاءَةِ وَالْإِطْلَاعِ وَالْبَحْثِ، وَلَا أُنِيسَ لِي إِلَّا سَيَّارَتِي، وَكُنْتُ أَبْذُلُهَا فِي الدَّعْوَةِ وَلِنَفْعِ النَّاسِ تَوْصِيلًا وَتَحْمِيلًا، وَبِلَا مُقَابِلٍ، فَكَأَنَّمَا ارْتَبَطَتْ هَذِهِ اللَّحْظَاتُ الذَّهَبِيَّةُ بِهَذِهِ السَّيَّارَةِ، فَهَلْ تَلُومُونَنِي إِذَا أَحْبَبْتُهَا؟!، وَهَلْ يُلَامُ قَلْبِي إِذَا عَشَقَ جَمَادًا؟!، بِاللَّهِ لَا تَسْأَلُونِي كَيْفَ فَإِنَّ لِلْقُلُوبِ قَانُونًا لَا تُدْرِكُهُ الْعُقُولُ.

أَرَى آثَارَهُمْ فَأَدُوبُ شَوْقًا وَأَسْكُبُ فِي مَرَابِعِهِمْ دُمُوعِي
وَأَسْأَلُ مَنْ بِفُرْقَتِهِمْ بَلَانِي يَمُنُّ عَلَيَّ مِنْهُمْ بِالرُّجُوعِ



دمعة سجيئة! (١)

الْقَلْبُ يَقْتُلُهُ الْأَسَى وَالدَّمْعُ سَالَ وَمَا عَسَى
تُغْنِي الدَّمُوعُ عَنِ الْكَرَامَةِ يَا لِدِلَّةِ أُمَّتِي
كَمْ بَيْنَ جُذُرَانِ السُّجُونِ أُخْتُ لَنَا تُسْقَى الْمُنُونِ
قَاسَتْ عَذَابَاتِ السِّنِينَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ أُمَّتِي
صَيْحَاتُهُنَّ تَبَدَّدَتْ تَشْكُو الْهَوَانَ وَأُسْكِرَتْ
مِنْ حُرْقَةِ الْأَسْرِ انْتَهَتْ حَتَّامَ تَغْفُو أُمَّتِي؟!
يَشْكِينَ مِنْ ظُلْمِ اللَّئَامِ حَتَّى تَمْنِينَ الْحِمَامِ
جُرْحُ الْفَضِيلَةِ غَائِرٌ وَتَظَلُّ تَنْزِفُ أُمَّتِي
مَنْ لِلْسَّبَايَا الْمُسْلِمَاتِ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ
وَالِإِلَى مَتَى هَذَا السُّبَاتِ؟! وَكَيْفَ تَصْبِرُ أُمَّتِي؟! (٢)



(١) اتَّصَلَ بِي مُدِيرُ قَنَاقَةِ (صَفَا) الْفَضَائِيَّةِ يَطْلُبُ أَنْ أَكْتُبَ قَصِيدَةً نُصْرَةَ لِأَخَوَاتِنَا الْأَسِيرَاتِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَمَا يُلَاقِيَنَّهُ فِي سُجُونِ الرَّافِضَةِ؛ لِأَنَّهُمْ سَيَقُومُونَ بِحِمْلَةِ إِعْلَامِيَّةٍ لِلْمُطَالَبَةِ بِالْإِفْرَاجِ عَنْهُمْ، قَالَ لِي: إِنَّهُمْ نَعَرَضْنَ لِابْتِشَاعِ أَنْوَاعِ التَّعْذِيبِ وَالْإِعْصَابِ، حَتَّى كَانَ لَهُنَّ هَذَا السُّؤَالُ: هَلْ يَجُوزُ لَنَا أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُنَا بَعْضًا بِاسْتِخْدَامِ صَفَائِرِنَا؟ أَيْ: أَنْ تَخْتَقِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَّا أُخْتَهَا، لِيُنْتَهِيَ هَذَا الْعَذَابُ؟! سَمِعْتُ هَذَا السُّؤَالَ فَبَكَيْتُ، وَصَارَ قَلْبِي يَنْزِفُ، أَيْ خُذْلَانٍ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا؟! اللَّهُمَّ لُطْفَكَ.

(٢) الْأَنْبِيَاءُ أَخْرَجَتْهَا قَنَاقَةُ صَفَا، وَأَنْشَدَهَا الصَّدِيقُ نَافِثُ الشَّرْهَانِ.

خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١)

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَدَتَكَ نَفْسِي
صَحْبَتُ مُحَمَّدًا وَكَتَبْتَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَأَنْتَ الشَّهْمُ يَا عَطِرَ السَّجَايَا
إِلَيْكَ تَحِيَّةٌ وَإِلَيْكَ قَلْبًا
تَلْظِي شَانِؤُوكَ بِنَارِ حَقْدٍ
وَرَأْمُوا الزُّورَ فِي قَوْلٍ وَبُهِتِ
لَقَدْ كَثُرَ الطَّغَامُ بِكُلِّ أَرْضٍ
فَنُورُ الْحَقِّ مَا غَطَّاهُ يَوْمًا
وَحَالَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَ السَّلَامُ
وَأَنْتَ بِكُلِّ مَكْرَمَةٍ إِمَامُ
وَيَا عَقْلًا بِهِ وُزْنَ الْأَنَامِ
وَفِيَّا لَا يُتَرْجِمُهُ الْكَلَامُ
وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
وَعَنْ فَضْلِ الصَّحَابَةِ قَدْ تَعَامُوا
وَهَلْ يُؤْذِي إِذَا كَثُرَ الطَّغَامُ!!
عَنِ الْإِشْرَاقِ أَنْ جَاءَ الظَّلَامُ



خَاتِمَةٌ

قَلْبِي يَسُّنُ وَكَانَ الشَّعْرُ يَشْفِيهِ
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الشَّعْرَ يُسْعِدُهُ
يَا كَمْ سَقَاهُ فَوَادِي مِنْ عُدُوبَتِهِ
مَا عَادَ يَلْقَى مَعَ الْأَبْيَاتِ رَاحَتَهُ
مَا عُدْتَ يَا قَلْبُ تَلْقَى سَلْوَةً أَبَدًا
وَالْآنَ يَعْذِلُهُ طَوْرًا وَيَكْوِيهِ
لَكِنَّهُ بِصُنُوفِ الْحُزَنِ يُشْقِيهِ
وَهَا هُوَ الْآنَ بِالْأَهَاتِ يَسْقِيهِ
فَكُلُّهَا بِسَهَامِ اللَّوْمِ تُشْحِيهِ
فَجَدَّ سَيْرَكَ نَحْوَ اللَّهِ وَابْغِيهِ



(١) قَامَتْ بِإِنْتَاجِهَا قَنَاءَةُ (وَصَال) وَأَنْشَدَهَا الشَّيْخُ نَافِثُ الشَّرْهَانِ.

الفهرس

٣	مُقَدِّمَةٌ
٤	﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾
٥	مَعَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
٦	عُبُودِيَّةُ الْبِلَاءِ
٧	يَا أَجْمَلَ الْأَسْمَاءِ
٧	وَأَثَارَهُمْ
٨	رِسَالَةٌ إِلَى فَرَنْسَا
١٠	سِرُّ تَمَيِّزِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
١١	أُمِّي الَّتِي سَبَقَتْ
١٢	غُرْبَةٌ
١٤	الْمَحْرَقَةُ
١٧	رَحْلَةُ الْخُلُودِ
١٨	رَفِيقُ الْمَجْدِ
١٩	قُرُوزْنِي (بَوَابَةُ الشُّهَدَاءِ)
٢١	وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ
٢٢	الصُّحْبَةُ
٢٣	مَا عَاشُوا طَوِيلًا
٢٣	طَعْمُ الْهَوَى
٢٤	بَيْنَ شَهَادَتَيْنِ
٢٥	الْعُزْلَةُ الطَّيِّبَةُ

- ٢٥ أَبْغَى رِضَاكَ ❁
- ٢٦ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ❁
- ٢٦ مِنْهُ ❁
- ٢٧ رَفِيقَةُ الْعُمْرِ . . . أُمُّ عَبْدِ الْإِلَهِ ❁
- ٢٧ فَمَا صَبْرِي يُفِيدُ ❁
- ٢٨ مَسَاءُ الْحُبِّ ❁
- ٢٨ لَهَا فِي الْقَلْبِ ❁
- ٢٩ إِلَى سَاكِنَةِ الْقَلْبِ ❁
- ٣٠ نَاءَتِ الْأَيَّامِ ❁
- ٣١ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْخَيَالِ ❁
- ٣٢ حَافِظَاتِ الْقُرْآنِ ❁
- ٣٣ قَلْبِكَ أَوَّلًا ❁
- ٣٣ تَهْنِئَةُ الْعِيدِ ❁
- ٣٤ يَا رَبِّ ❁
- ٣٤ طَيِّبُ الْخَطَرَاتِ ❁
- ٣٥ خَرَابُ الْعُمْرَانِ ❁
- ٤٠ بُقْعَةُ النُّورِ ❁
- ٤١ مَجْزَرَةُ الْحَوْلَةِ ❁
- ٤٣ الشَّبِيحَةُ عَامَ ٧١٧ هـ ❁
- ٤٥ مَنِحُ الْمَحَنِ ❁
- ٤٦ جِرَاحُ الشَّامِ ❁

- ٤٧ إِشْرَاقَةٌ . . الْبَحْرُ الْحَزِينُ ❁
- ٤٨ بُذُورُ الصَّيْفِ ❁
- ٤٩ الرَّقْمُ ٢٨ ❁
- ٥٠ تَغَالِبُ عَيْنِي ❁
- ٥١ أُمِّي ❁
- ٥١ امْتِثَالُ مِنَ الرِّجَالِ ... أَبُو جَمَالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ❁
- ٦٣ شَكْوَتُ فِرَاقِهِ ❁
- ٦٤ طِفْلَةُ الْمَسْرَى رَبَّى ❁
- ٦٩ بِصَرَاحَةِ الْوَضْعِ مَا يُطْمَنُّ !! ❁
- ٧٣ سَمَاحَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ❁
- ٧٤ مِنْ أَيِّ مَعْدِنٍ أَنْتَ ؟ ❁
- ٧٧ أَوْدِيَةُ الْمُنُونِ ❁
- ٧٨ شَمْسُ الْمَغِيبِ ❁
- ٧٨ انْبِلَاجُ الصُّبْحِ ❁
- ٧٩ الْخَشْبُ الْمُسْنَدُ ❁
- ٧٩ شَحْرُورُ ❁
- ٨٠ بَعْدَ ثَمَانِينَ سَنَةً ❁
- ٨٠ أَعْطَيْتُهُ قَلْبِي ❁
- ٨١ مَاتَتْ الْبُقْعَاءُ ❁
- ٨١ التَّافَهُ ❁
- ٨٢ لَكَ فِي الْفَوَادِ ❁

- ٨٢ الْجَامِعُ الْأُمَوِيُّ ❁
- ٨٢ بَلَسَمُ الْقَلْبِ ❁
- ٨٣ طَالَ السُّهَادُ ❁
- ٨٣ الْقَوْمُ الْقَلْبُ ❁
- ٨٤ بَيْنِي وَبَيْنَ سَلِيمٍ رَحْمَةُ اللَّهِ ❁
- ٨٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ❁
- ٨٥ أَيَا لَيْلِ الشَّجِيِّ ❁
- ٨٦ عِتَابٌ وَجَوَابُ ❁
- ٨٧ حُثَاةُ الْيَوْمِ ❁
- ٨٨ الْأَحْوَازُ الْمُحْتَلَّةُ ❁
- ٨٩ حُلَّةُ الْأَشْرَافِ ❁
- ٩٠ عَقْدُ الْحَبِّ ❁
- ٩١ وَرَحَلَ سَلِيمٌ...!! ❁
- ٩٩ سُؤَالُ الْقَلْبِ ❁
- ١٠١ عَنْ أَبِي حَازِمٍ أُحْدِثُكُمْ...!! ❁
- ١٠٨ رَصِيفُ الْوَدَاعِ ❁
- ١٠٩ بِدُونِ الْعِلْمِ ❁
- ١١٠ مَقَادِيرُ النَّجَاحِ ❁
- ١١٠ النَّظَرِيَّةُ النَّسَبِيَّةُ ❁
- ١١١ مُتَعَةُ الْعَطَاءِ ❁
- ١١١ عَيْنُ الْقَنَاعَةِ ❁

- ١١٢ إلى عَدَنَ ❁
- ١١٢ مِيقَاتُ الْجَامِعَةِ ❁
- ١١٣ عُبُودِيَّةُ الصَّمْتِ ❁
- ١١٤ هَمْسَةُ مَحْزُونٍ ❁
- ١١٥ الْمَنْهَجُ الْقَوِيمُ ❁
- ١١٦ شَوَاطِئُ ❁
- ١١٧ ددسن ٨٤ ❁
- ١١٩ دَمْعَةُ سَجِينَةٍ! ❁
- ١٢٠ خَالُ الْمُؤْمِنِينَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ❁
- ١٢٠ خَاتِمَةٌ ❁
- ١٢١ الْفَهْرَسُ ❁



التصميم الداخلي للكتاب

Tharwat Sultan

TharwatSultan@yahoo.com

للتواصل: 00201019530152